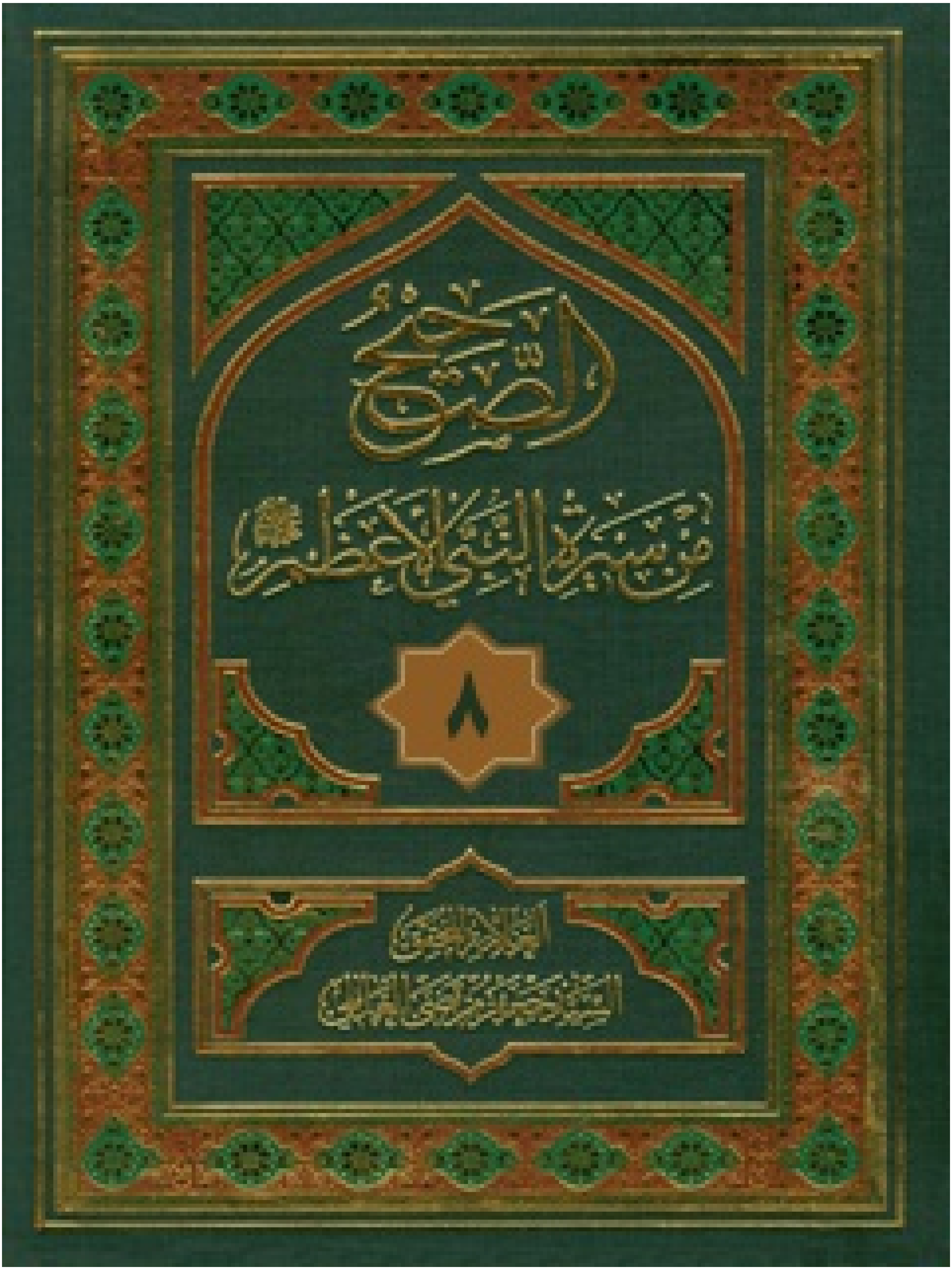

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٨

بسم الله الرحمن الرحیم

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم

کاتب:

سید جعفرمرتضی حسینی عاملی

نشرت فی الطباعة:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد ۸

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

[تتمه القسم ...]

الباب الثامن: غزوه بنی النضیر

اشاره

ص: ٨

الفصل الأول: النصوص و الآثار

اشاره

تمهید ضروری:

هناک بعض الأحداث الهامه، و المواقف الحساسه، التی تحمل فی طیاتها الکثیر من العبر و العظات، و تترک لها آثارا بارزه علی منحی و عمق الفکر الإنسانی، و الرسالی، و علی الفهم الدقیق للمسار العام فی خط الرساله .. هذا عدا عن التأثیر الظاهر لها فی البنیه العقائدیه، و فی اللاشعور، و الشعور الوجدانی، المهیمن علی الموقف، و الحرکه، و السلوک، للانسان فی مختلف مراحله و أدواره، و فی کثیر من أحواله و أطواره.

و لکن هذه الأحداث و المواقف بالذات، و خصوصا ما کان منها فی العهد النبوی الشریف لم تنل قسطها من البحث و التقصی، من قبل العلماء و أهل الفکر بل مروا علیها- تقریبا- مرور الکرام، فبدت: و کأنها أمورا تافهه و حقیره، و محدوده و صغیره، و خیّل إلی الکثیرین: أنها لیس فیها ما ینفع و لا ما یجدی .. فکان طبیعیا أن تبقی الکثیر من جوانبها، و حقائقها، و ظروفها و ملابساتها رهن الابهام، و الاهمال. و کأنها لیست حقیقه ثابته، و إنما هی محض وهم أو خیال.

و لا نبعد کثیرا إذا قلنا: إن غزوه بنی النضیر، کانت واحده من هذه الأحداث، التی لها هذه الحاله التی أشیر إلیها، فهی حدث فرید و متمیز، لا یقل فی أهمیته عن أی من الأحداث الکبری فی العهد النبوی

الشريف ..

و يتضح ذلك بصوره أجلى و أتم من خلال در استنا لكثير من النصوص و الآثار التى وردت فى هذه الواقعه .. و لا أدلّ على ذلك من أنهم يقولون:

إن سوره الحشر- بتمامها- قد نزلت فى هذه المناسبه .. و هذا يبرهن على الأهميه البالغه لهذه الواقعه، و على أنها كانت تمثل تحولا- كبيرا و إيجابيا، فى مسيره العمل و العاملين فى سبيل اللّه سبحانه من جهه .. كما أنها تعتبر- من الجهه الأخرى- ضربه قاسيه و قاصمه لأعداء اللّه، و أعداء دينه من الكافرين ..

فقد كان اليهود- الذين كان بنو النضير- أقواهم شوكه، و أشدهم شكيمه، و أعزهم عزه يعيشون فى قلب الدوله الإسلاميه، و حيث كان بإمكانهم الإطلاع على أدق دقائقها، و على حقائق خفاياها و نواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقى و الدقيق لما تملكه من قدرات و إمكانات ماديه و معنويه .. و على كل الواقع الذى كان قائما فى داخل المجتمع الإسلامى، سواء على مستوى العلاقات و الإرتباطات فيما بين فئات ذلك المجتمع، أو سائر المجالات، و مختلف المواقع.

كما أنهم- أعنى اليهود- كانوا يملكون أذرعه، ظاهره، و خفيه، ممتده هنا و هناك، و فى عمق المجتمع الإسلامى الجديد، حتى على مستوى بعض القيادات فيه، و التى كانت تساهم بشكل فعال فى صنع القرار، أو فى عرقلته و تعطيله.

ثم إن لليهود الهيمنه الروحيه و الثقافيه و العلميه على الأكثريه الساحقه، التى يفترض فيها: أن تكون القاعده الصلبه، و القويه، التى تعتمد عليها تلك القياده فى تنفيذ القرار، و فى فعاليته، و قوه تأثيره، ثم فى الحفاظ عليه و حمايته على المدى القريب أو البعيد على حد سواء ..

هذا .. و علینا أن لا ننسی أن الیهود کانوا یملکون قوه کبیره فی حساب الثروات و الأموال ..

و یکفی أن نذکر: أنهم کانوا یملکون من (الحلیّ) الشی ء الکثیر، قال بعضهم: إنهم کانوا یعیرونه للعرب من أهل مکه و غیرهم. و کان یکون عند آل أبی الحقیق (۱)، و سیأتی فی غزوه خیبر: أن آل أبی الحقیق قد قتلوا بسبب ذلک الحلیّ کما ذکر ذلک غیره أیضا (۲).

هذا .. بالاضافه إلی ما کان للیهود من دیون علی الناس، قد بلغت حدا، جعلهم یجدون فیها حائلا دون تسهیل أمر رحیلهم، لو لا أن تصدی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لحل هذا المشکل بالصوره التی لم یبق لهم معها أی خیار، حینما أمرهم بالوضع (أی حذف بعض المال) و بالتعجیل فی الآجال (۳).

و علینا أن لا ننسی: أن هذه الضربه القاسیه و القاصمه التی تلقاها الیهود عامه، و بنو النضیر بصوره أخص، إنما تمثل إضعافا لواحد من أهم مصادر القوه و التحدی لدی أعداء الإسلام و المسلمین، و لا سیما بالنسبه إلی المشرکین، و کل من یتعاطف معهم من القبائل و الطوائف فی المنطقه العربیه، حیث خسروا واحدا من أهم حلفائهم، و ذوی القوه و النفوذ فیهم.

و قد نجد فیما یأتی من فصول إلماحه أو أکثر إلی هذا الأمر، و إلی غیره من أمور فرض علینا البحث التذکیر بها، و الإلماح إلیها.

و لذا .. فإننا سوف نکتفی هنا بهذا القدر، و نبدأ- بحول اللّه و قوته- بالحدیث عن غزوه بنی النضیر، حسبما یتهیأ لنا فی نطاق مراعاه نسق۴.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۷.

۲- الاموال ص ۲۴۲ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۳۶.

۳- المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۴.

الكتاب و مستواه، و كثير من الأمور الأخرى التى لا بد لنا من مراعاتها، فيما يرتبط بمقتضيات البحث بصوره عامه ..

فنقول .. و من اللّه نستمد الحول و القوه، و منه نطلب التوفيق و التسديد.

إننا نذكر فى البدايه نصا لهذه الغزوه، نختاره مما هو بحوزتنا من نصوص، و سوف يكون هذه المره لإبن كثير فى سيرته، و فى بدايته و نهايته، مع حذف بعض ما رأينا من المناسب حذفه .. ثم نشير فى نهايه النص إلى جانب من المصادر و المراجع، التى يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص هذه الغزوه:

فنقول:

نص ابن كثير:

قال ابن كثير عن سوره الحشر فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سوره بنى النضير.

و حكى البخارى عن الزهرى، عن عروه أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بسته أشهر قبل أحد.

و قد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه، عن عبد اللّه بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهرى به.

و هكذا روى حنبل بن إسحاق، عن هلال بن العلاء، عن عبد اللّه بن جعفر الرقىّ، عن مطرف بن مازن اليمانى، عن معمر، عن الزهرى، فذكر غزوه بدر فى سابع عشر رمضان سنه إثنتين.

قال: ثم غزا بنى النضير، ثم غزا أحدا فى شوال سنه ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنه أربع.

و قال البيهقى: و قد كان الزهرى يقول: هى قبل أحد.

قال: و ذهب آخرون إلى أنها بعدها، و بعد بئر معونه أيضا.

قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم، فإنه بعد ذكره بئر معونه و رجوع عمرو بن أميه و قتله ذينك الرجلين من بنى عامر، و لم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ؛ و لهذا قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : (لقد قتلت رجلين لأديّنهما).

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى ديه ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أميه، للعهد الذى كان صلى الله عليه و آله وسلم أعطاهما، و كان بين بنى النضير و بين بنى عامر عهد و حلف، فلما أتاهم صلى الله عليه و آله وسلم قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه و رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخره و يريحنا منه.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخره كما قال، و رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر و عمر و على، فأتى رسول اللّه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام و خرج راجعا إلى المدينه.

فلما استلبث النبى صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه قاموا فى طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينه، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلا المدينه. فأقبل أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به.

قال الواقدى: فبعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم محمد بن مسلمه يأمرهم بالخروج من جواره و بلده، فبعث إليهم أهل النفاق يثبّتونهم و يحرضونهم على المقام و يعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، و حمى حيى بن

أخطب، و بعثوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أنهم لا يخرجون، و نابذوه بنقض العهود.

فعند ذلک أمر الناس بالخروج إليهم.

قال الواقدی: فحاصروهم خمس عشره ليله.

و قال ابن إسحاق: و أمر النبی صلى الله عليه و آله وسلم بالتهيّؤ لحربهم و المسير إليهم.

قال ابن هشام: و استعمل على المدينه ابن أم مكتوم، و ذلک فی شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال، و نزل تحريم الخمر حينئذ، و تحصنوا فی الحصون، فأمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بقطع النخيل و التحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخيل و تحريقها.

قال: و قد كان رهط من بنی عوف بن الخزرج منهم عبد اللّه بن أبی و وديعه و مالک و سويد و داعس قد بعثوا إلى بنی النضير أن اثبتوا و تمنعوا، فإنا لن نسلمکم، إن قوتلتم قاتلنا معکم و إن أخرجتم خرجنا معکم.

فتربصوا ذلک من نصرهم فلم يفعلوا، و قذف اللّه فی قلوبهم الرعب، فسألوا رسول اللّه أن يجليهم و يكفّ عن دمائهم على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقه.

و قال العوفی: عن ابن عباس، أعطى كل ثلاثه بعيرا يعتقبونه (و) و سقا (۱).

رواه البيهقی.

و روى من طريق يعقوب بن محمد، عن الزهری، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمه، عن أبيه، عن جده، عن محمد بنر.

۱- الوسق: حمل البعير.

مسلمه، أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بعثه إلى بنى النضير و أمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال.

و روى البيهقى و غيره أنه كانت لهم ديون مؤجله، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : ضعوا و تعجّلوا.

و فى صحته نظر. و اللّه أعلم.

قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (۱) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، و منهم من سار إلى الشام، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر: سلّام بن أبى الحقيق و كنانه بن الربيع بن أبى الحقيق و حيى بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

فحدثنى عبد اللّه بن أبى بكر أنه حدّث أنهم استقبلوا بالنساء و الأبناء و الأموال، معهم الدفوف و المزامير و القيان يعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤى مثله لحى من الناس فى زمانهم.

قال: و خلّوا الأموال لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، يعنى النخيل و المزارع، فكانت له خاصه يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف و أبا دجانه ذكرا فقرا فأعطاهما، و أضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصّمه.

حكاه السهيلى.

قال ابن إسحاق: و لم يسلم من بنى النضير إلا رجلان و هما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش و أبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

قال ابن إسحاق: و قد حدثنى بعض آل يامين أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ب.

۱- النجاف: أسكفه الباب.

قـال ليـامين: ألم تر مـا لقيت من ابن عمک و ما همّ به من شأني؟ فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله لعنه اللّه.

قال ابن إسحاق: فأنزل اللّه فيهم سوره الحشر بكاملها، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته، و ما سلط عليهم به رسوله، و ما عمل به فيهم. إلى أن قال ابن كثير:

فأسرهم بالمحاصره بجنوده و نفسه الشريفه ست ليال، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا و صالحوا على حقن دمائهم و أن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم، على أنهم لا يصحبون شيئا من السلاح إهانه لهم و إحتقارا، فجعلوا يخرّبون بيوتهم بأيديهم و أيدى المؤمنين، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

إلى أن قال:

و قـد روى البخـارى و مسـلم جميعـا عن قتيبه، عن الليث، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وسـلم حرّق نخـل بنى النضـير و قطع، و هى البـويره، فـأنزل اللّـه: (مـا قطعتـم مـن لينـه أو تركتموهـا قـائمه على أصولهـا فبـإذن اللّه و ليخزى الفاسقين).

و عنـد البخـارى من طريـق جويريه بن أسـماء، عن نـافع، عن ابن عمر، أن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وسـلم حرق نخـل بنى النضير و قطع، و هى البويره، و لها يقول حسان بن ثابت:

و هان على سراه بنى لؤىّ حريق بالبويره مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام اللّه ذلک من صنيع و حرّق فى نواحيها السعير

ستعلم أيّنا منها بسترو تعلم أى أرضينا نضير قال ابن إسحاق: و قال كعب بن مالک يذكر إجلاء بنى النضير و قتل

كعب بن الأشرف فاللّه أعلم:

لقد خزيت بغدرتها الحبور (۱)كذاك الدهر ذو صرف يدور

و ذلك أنهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير

و قد أوتوا معا فهما و علماو جاءهم من اللّه النذير

نذير صادق أدّى كتاباو آيات مبينه تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق و أنت بمنكر منا جدير

فقال: بلى لقد أديت حقايصدقنى به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشدو من يكفر به يخز الكفور

فلما أشربوا غدرا و كفراو جدّ بهم عن الحق النفور

أرى اللّه النبى برأى صدق و كان اللّه يحكم لا يجور

فأيده و سلّطه عليهم و كان نصيره نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعافذلّت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم و قد علته بأيدينا مشهّره ذكور

بأمر محمد إذ دسّ ليلاإلى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكرو محمود أخو ثقه جسور

فتلك بنو النضير بدار سوءأبارهم بما اجترموا المبير (۲)

غداه أتاهم فى الزحف رهوا (۳)رسول اللّه و هو بهم بصير

و غسان الحماه مؤازروه على الأعداء و هو لهم وزير

فقال السّلم و يحكم فصدواو خالف أمرهم كذب و زور

فذاقوا غبّ أمرهم و بالالكل ثلاثه منهم بعير

و أجلوا عامدين لقينقاع و غودر منهم نخل و دور ا.

١- الحبور: جمع حبر، و هم علماء اليهود.

٢- أبارهم: أهلكهم.

٣- رهوا: يسيرا سهلا.

و قد ذكر ابن إسحاق جوابها لسمال اليهودى، فتركناها قصدا.

قال ابن إسحاق: و كان مما قيل فى بنى النضير قول ابن لقيم العبسى، و يقال: قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعى:

أهلى فداء لامرى ء غير هالك أحل اليهود بالحسىّ المرسّم (١)

يقيلون فى جمر العضاه و بدلواأهيضب عودا بالودىّ المكمم (٢)

فإن يك ظنّى صادقا بمحمدتروا خيله بين الصّلا و يرمرم (٣)

يؤمّ بها عمرو بن بهثه إنهم عدو و ما حىّ صديق كمحرم

عليهن أبطال مساعير فى الوغى يهزّون أطراف الوشيج المقوّم (۴)

و كل رقيق الشفرتين مهنّدتوورثن من أزمال عاد و جرهم

فمن مبلغ عنى قريشا رسالهفهل بعدهم فى المجد من متكرم

بأن أخاهم فاعلمنّ محمداتليد الندى بين الحجون و زمزم

فدينوا له بالحق تجسم اموركم و تسمو من الدنيا إلى كل معظم

نبى تلاقته من اللّه رحمهو لا تسألوه أمر غيب مرجّم

فقد كان فى بدر لعمرى عسيرهلكم يا قريش و القليب الملمّم

غداه أتى فى الخزر جيه عامداإليكم مطيعا للعظيم المكرم

معانا بروح القدس ينكى عدوه رسولا من الرحمن حقا لم يتعلم

رسولا من الرحمن يتلو كتابه فلما أنار الحق لم يتعلثم

أرى أمره يزداد فى كل موطن علوا لأمر حمه الله محكم ح.

١- الحسى: ما يحسى من الطعام. و المزنم: الرجل يكون فى القوم ليس منهم، يريد: أحلهم بأرض غربه فى غير عشائرهم، و انظر الروض الأنف ج ٢ ١٧٧.

٢- جمر: الأصل خمر. و ما اثبته من ابن هشام، و العضاه: شجر، و اهيضب: مكان مرتفع. و الودى: صغار النخل، و المكمم: الذى خرج كمامه.

٣- الصلا: موضع، و يرموم جبل.

۴- الوشيج: شجر الرّماح.

قال ابن إسحاق: و قال على بن أبى طالب، و قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين، و لم أر أحدا يعرفها لعلى.

عرفت و من يعتدل يعرف و ايقنت حقا و لم أصدف

عن الكلم المحكم اللاء من لدى اللّه ذى الرأفه الأرأف

رسائل تدرس فى المؤمنين بهن اصطفى أحمد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزاعزيز المقامه و الموقف

فيا أيها الموعدوه سفاهاو لم يأت جورا و لم يعنف

ألستم تخافون أدنى العذاب و ما آمن اللّه كالأخوف

و أن تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب أبى الأشرف

غداه رأى اللّه طغيانه و اعرض كالجمل الأجنف

فانزل جبريل فى قتله بوحى إلى عبده ملطف

فدسّ الرسول رسولا له بأبيض ذى هبه مرهف

فباتت عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرف

و قلن لاحمد ذرنا قليلافإنا من النّوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال أظعنوادحورا على رغم الآنف

و أجلى النضير إلى غربهو كانوا بدار ذوى أخرف

إلى أذرعات ردافا و هم على كل ذى ذمر أعجف و تركنا جوابها أيضا من سمال اليهودى قصدا.

ثم ذكر تعالى حكم الفى ء، و أنه حكم بأموال بنى النضير لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و ملكها له، فوضعها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حيث أراه اللّه تعالى.

كما ثبت فى الصحيحين، عن عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بنى النضير مما افاء اللّه على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فكانت لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم خاصه، فكان يعزل نفقه أهله

سنه ثم يجعل ما بقى فى الكراع و السلاح عده فى سبيل اللّه، إلى أن قال:

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم و عفان، قالا: حدثنا معتمر، سمعت أبى يقول: حدثنا أنس بن مالک، عن نبى اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء اللّه، حتى فتحت عليه قريظه و النضير، قال:

فجعل يردّ بعد ذلک.

قال: و إن أهلى أمرونى أن آتى نبى اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه، أو بعضه. و كان نبى اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أعطاه أم أيمن أو كما شاء اللّه.

قال: فسألت النبى صلى الله عليه و آله وسلم فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى و جعلت تقول: كلا و اللّه الذى لا إله إلا هو لا أعطيكهن و قد أعطانيهن أو كما قالت، فقال النبى صلى الله عليه و آله وسلم : لک كذا و كذا. و تقول:

كلا و اللّه.

قال: و يقول لک كذا و كذا، و تقول: كلا و اللّه. قال: و يقول لک كذا و كذا، حتى أعطاها حسبت أنه قال عشره أمثاله، أو قال قريبا من عشره أمثاله أو كما قال.

أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به.

ثم ذكر ابن كثير و غيره:

قصه عمرو بن سعدى القرظى:

حين مر على ديار بنى النضير و قد صارت بعدها ليس بها داع و لا مجيب، و قد كانت بنو النضير أشرف من بنى قريظه، حتى حداه ذلک على الإسلام و أظهر صفه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من التوراه.

قال الواقدى حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: لما خرجت بنو النضير من المدينه أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم، فرأى

خرابها و فكّر، ثم رجع إلى بنى قريظه فوجدهم فى الكنيسه، فنفخ فى بوقهم؛ فاجتموا، فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل. و كان لا يفارق الكنيسه و كان يتألّه فى اليهوديه. قال: رأيت اليوم عبرا قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خاليه بعد ذلك العز و الجلد، و الشرف الفاضل، و العقل البارع، قد تركوا أموالهم، و ملكها غيرهم، و خرجوا خروج ذل، و لا و التوراه ما سلّط هذا على قوم قط للّه بهم حاجه، و قد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيّته فى بيته آمنا، و أوقع بابن سنينه سيدهم، و أوقع ببنى قينقاع فأجلاهم و هم أهل جد يهود، و كانوا أهل عده و سلاح و نجده، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم. و كلّم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى و تعالوا نتبع محمدا، و اللّه إنكم لتعلمون انه نبى قد بشرنا به و بأمره ابن الهيّبان أبو عمير و ابن حراش، و هما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه و أمرانا بإتباعه، جاءانا من بيت المقدس و أمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما و دفّناهما بحرّتنا هذه.

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم.

ثم أعاد هذا الكلام و نحوه، و خوّفهم بالحرب و السباء و الجلاء، فقال الزبير بن باطا: قد و التوراه قرأت صفته فى كتاب باطا، التوراه التى نزلت على موسى، ليس فى المثانى الذى أحدثنا.

قال: فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمان من إتباعه؟ قال: أنت يا كعب، قال كعب: فلم؟ و التوراه ما حلت بينك و بينه قط.

قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا و عقدنا فإن اتبعته اتبعناه و إن أبيت أبينا.

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فذكر ما تقاولا فى ذلك، الى أن

قال عمرو: ما عندی فی أمره إلا ما قلت. ما تطیب نفسی أن أصیر تابعا! رواه البیهقی (۱).ا.

۱- السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۴۵- ۱۵۶ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۷۴- ۸۱ و النصوص المتقدمه موجوده- کلا- أو بعضا- فی المصادر التالیه: الثقات ج ۱ ص ۲۴۰- ۲۴۳ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۹ و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۷ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸- ۲۲ و الوفاء ص ۶۸۹- ۲۱۳ و التنبیه و الاشراف ص ۲۱۳ و البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۲- ۲۱۳ و دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۲- ۴۳۱ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۰- ۴۶۳ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۶- ۱۹۷ و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۷- ۲۶۲ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۷- ۱۷۳ و تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۵۹ و ۳۶۰ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و ۱۱۹- ۱۲۳ و الکامل لابن الأثیر ج ۳ ص ۱۷۳ و ۱۷۴ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۳۹۷ و ۳۹۸ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۱۹۹- ۲۱۲ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۳ و شرحه بهامشه، نفس الصفحات و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۳۵۷- ۳۶۱ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۳ و أنساب الأشراف قسم حیاه النبی (صلی اللّه علیه و آله) ج ۱ ص ۳۳۹ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۵۵۰- ۵۵۵ ط دار المعارف و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ فما بعدها، مدارک التنزیل بهامشه، نفس الجزء و الصفحه، و تفسیر جامع البیان ج ۲۸ ص ۱۹ فما بعدها، و غرائب القرآن بهامشه ج ۲۸ ص ۲۹ فما بعدها و الجامع لاحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲ فما بعدها و فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ فما بعدها و أحکام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ فما بعدها و أسباب النزول ص ۲۳۶- ۲۳۹ و أحکام القرآن لابن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۴ فما بعدها و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ فما بعدها و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و ۷۱- ۷۲، و کذلک فی ج ۴ ص ۴۹۸ فما بعدها و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲، قسم ۲ ص ۲۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶- ۴۸۸ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۵۳ فما بعدها و تفسیر البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۷- ۲۰۲ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۵- ۳۵۶ و مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۶۵- ۳۸۳ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳- ۲۷۰ و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج ۴ ص ۳۳۰- ۳۴۴ و عمده القاری ج ۱۲ ص ۴۳ و ج ۱۷ ص ۱۲۵ فما بعدها.

و النضير إسم جبل نزلوا به، فسموا باسمه (۱).

القتال .. فی بنی النضیر:

یقول الیعقوبی، بعد أن ذکر إنذار النبی صلی الله علیه و آله وسلم إیاهم بالخروج من دیارهم و أموالهم؛ فلم یمتثلوا استنادا لوعود ابن أبی و المنافقین:

(.. فسار إلیهم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بعد العصر، فقاتلهم، فقتل منهم جماعه، و خذلهم عبد اللّه بن أبی و أصحابه، فلما رأوا: أنه لا ـ قوه لهم علی حرب رسول اللّه طلبوا الصلح؛ فصالحهم علی أن یخرجوا من بلادهم و لهم ما حملت الإبل، من خرتی (۲) متاعهم؛ لا یخرجون معهم بذهب، و لا فضه، و لا سلاح) (۳).

و قال ابن الجوزی: (فقاموا علی حصنهم یضربون بالنبل و الحجاره) (۴).

و عند البعض: أنه لما جاء یستعینهم: (هموا بالغدر به، و خرجوا یجمعون الرجال و السلاح) (۵).

و سیأتی- حین الحدیث عن خراب بیوتهم- ما یدل علی ذلک أیضا ..

و بعد أن ذکر الواقدی قدوم النبی (صلی اللّه علیه و آله) لحصارهم، قال:۲.

۱- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۹.
۲- الخرتی: أرادأ المتاع، راجع: لسان العرب ج ۲ ص ۱۴۵.
۳- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۹.
۴- الوفاء ص ۶۸۹ و راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ و راجع: سیره مغلطای ص ۵۳ و راجع البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الکازرونی و غیره و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۷۱ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۵.
۵- البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۲.

(.. و جعلوا يرمون ذلك اليوم بالنبل و الحجاره، حتى أظلموا، و جعل أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يقدمون من كان تخلف فى حاجته، حتى تتاموا عند صلاه العشاء؛ فلما صلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم العشاء رجع إلى بيته فى عشره من أصحابه، عليه الدرع، و هو على فرس، و قد استعمل عليا على العسكر، و يقال: أبا بكر.

و بات المسلمون يحاصرونهم، يكبرون حتى أصبحوا.

ثم أذن بلال بالمدينه؛ فغدا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بأصحابه الذين كانوا معه، فصلى بالناس فى فضاء بنى خطمه، و استخلف على المدينه ابن ام مكتوم) (۱).

و سيأتى عن قريب: أن بعض النصوص تقول: إنه صلى الله عليه و آله وسلم حصرهم، و طلب منهم: أن يعطوه عهدا؛ فأبوا؛ فقاتلهم يومهم ذاک، ثم غدا على بنى قريظه، و دعاهم إلى أن يعاهدوه؛ ففعلوا، فغدا على بنى النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء.

و إنما قاتلهم لأنه كان بينهم و بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عهد و مده، فنقضوا عهدهم (۲).

قال السمهودى بعد ذكره روايه ابن إسحاق:

(و أصح منه ما رواه ابن مردويه، بسند صحيح: أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم : أخرج إلينا فى ثلاثه من أصحابک، و يلقاک ثلاثه من علمائنا، فان آمنوا بک اتبعناک.

فاشتمل اليهود الثلاثه على الخناجر، فأرسلت إمرأه من بنى النضيرر.

۱- مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۱ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۵.

۲- تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹. و مصادر كثيره أخرى ستأتى فى الفصل الثانى حين الكلام حول تاريخ غزوه بنى النضير.

إلی أخ لها من الأنصار مسلم، تخبره بأمر بنی النضیر؛ فأخبر أخوها النبی صلی الله علیه و آله وسلم بأمر بنی النضیر قبل أن یصل إلیهم، فرجع و صبحهم بالکتائب؛ فحصرهم یومه، ثم غدا علی بنی قریظه، فحاصرهم فعاهدوه؛ فانصرف عنهم إلی بنی النضیر، فقاتلهم حتی نزلوا علی الجلاء إلخ) (۱).

نصوص أخری حول قضیه بنی النضیر:

و فی بعض النصوص: أنه (صلی اللّه علیه و آله) أجّلهم عشرا- أو ثلاث لیال- فمن رؤی بعد ذلک ضربت عنقه، فمکثوا أیاما یتجهزون، و أرسلوا إلی ظهر لهم بذی الجدر، و تکاروا من أشجع ابلا، فأرسل إلیهم ابن أبی: أن معه الفین من قومه، و غیرهم من العرب، یدخلون معهم حصنهم، و یموتون عن آخرهم، و تمدهم قریظه، و حلفاؤهم من غطفان، فطمع حیی بن أخطب إلخ ... (۲)

و تذکر بعض النصوص: أنهم حین حاصرهم (صلی اللّه علیه و آله) و قطع نخلهم، قالوا: نحن نخرج من بلادک.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): لا أقبله الیوم. و لکن اخرجوا منها،۷.

۱- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۹۸ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۲۹۶- ۲۹۷ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۵ و قال الکاندهلوی: و أخرجه أیضا أبو داود من طریق عبد الرازق عن معمر بطوله مع زیاده، و عبد الرزاق، و ابن المنذر و البیهقی فی الدلائل کما فی بذل المجهود ج ۴ ص ۱۴۲ عن الدر المنثور. و عن عبد بن حمید فی تفسیره و راجع: شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و المصنف ج ۵ ص ۳۵۹ و راجع: تفسیر لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ و أسباب النزول ص ۲۳۷ و راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و عبد بن حمید، و أبی داود، و ابن المنذر و البیهقی فی الدلائل و راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۴- ۲۶۳ و راجع: تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۵۹.

۲- راجع علی سبیل المثال: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۷.

و لكم دماؤكم، و ما حملت الإبل، إلا الحلقه، فنزلت يهود على ذلك.

و كان حاصرهم خمسه عشر يوما .. إلى أن قال: و تحملوا على ستمائه بعير (۱).

و نلاحظ هنا: إختلاف النصوص فى مده الحصار، من خمسه عشر يوما حسبما أشير إليه آنفا .. إلى:

ست ليال (۲)

و قيل خمسا و عشرين (۳) أو ثلاثا و عشرين و فيها نزلت صلاه الخوف (۴)۵.

۱- الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و عمده القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و حول حصرهم خمسه عشر يوما راجع: الوفاء ص ۶۹۰ و التنبيه و الاشراف ص ۲۱۳ و دلائـل النبوه لأبى نعيم ص ۴۲۹ و تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و سيره مغلطاى ص ۵۳ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵- ۱۶۶ عن الكازرونى و غيره، و السـيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۳ و انساب الأشراف (قسم حياه النبى (صلى اللّه عليه و آله)) ص ۳۳۹.

۲- تاريـخ ابن الوردى ج ۱ ص ۵۹ و البـدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ عن سـيره ابن هشام، و عن الوفاء، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۹۸ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۰ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۴ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲.

۳- عمده القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۵

۴- عمده القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و الجامع للقيروانى ص ۲۷۸ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۵.

أو نیفا و عشرین (۱)

أو قریبا من عشرین (۲)

أو عشرین (۳)

أو إحدی و عشرین (۴)

و من جهه أخری روی عن بعض أهل العلم: أن بنی النضیر قد ألقوا الحجر علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأخذه جبرئیل (۵).

و فی نص آخر: أنه لما أشرف حامل الصخره بها أخبر النبی (صلی اللّه علیه و آله) جبرائیل بالأمر (۶).

و کان الذین ذهبوا مع النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی بنی النضیر، لا یبلغون عشره، و هم: أبو بکر، و عمر، و علی، و طلحه، و الزبیر، و سعد بن معاذ، و أسید بن حضیر، و سعد بن عباده (۷).

(و فی روایه: لما رأوا قله أصحابه صلی الله علیه و آله وسلم قالوا: نقتله، و نأخذ ۰.

۱- مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۷.
۲- السیره النبویه لدحلان ج ۲ ص ۲۶۱.
۳- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۵.
۴- البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ عن الکازرونی و غیره و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۲ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و الکشاف ج ۴ ص ۴۹۸ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ و مدارک التنزیل بهامش لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴.
۵- دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۳.
۶- دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۵ و راجع: مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۶۵.
۷- دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۵ و المغازی ج ۱ ص ۳۶۴ و عمده القاری ج ۱۷ ص ۱۲۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰.

أصحابه أساری إلی مکه؛ فنبیعهم من قریش) (۱).

(و لزم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم الدرع فبات فیه) (۲).

(و کان سعد بن عباده یحمل التمر إلی المسلمین) (۳).

و لم یغثهم أحد، و لم یقدر ابن أبی أن یصنع شیئا، فجهدهم الحصار، و ضاقت علیهم الأحوال؛ فأرسلوا إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله) بقبولهم الجلاء (۴).

و بعد حصارهم، و قطع نخلهم (قالوا: یا محمد نخرج من بلادک، و اعطنا مالنا، فقال: لا، و لکن تخرجون و لکم ما حملت الإبل، فلم یقبلوا ذلک، فبقوا أیاما ثم قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل، فقال: لا و لکن تخرجون و لا یحمل أحد منکم شیئا، فمن وجدنا معه شیئا من ذلک قتلناه؛ فخرجوا علی ذلک) (۵).

و کان منهم جماعه من أولاد الأنصار، لأن المرأه من الأنصار کان إذا لم یعش لها ولد تجعل علی نفسها: إن عاش لها ولد تهوده، فلما أجلیت بنو النضیر، قال آباء أولئک: لا ندع أبناءنا، و أنزل اللّه: لا إکراه فی الدین، و هی مخصوصه بهؤلاء الذین تهودوا قبل الإسلام، و إلا .. فإکراه۵.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳.

۲- مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۷۲.

۳- مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۷۲ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۵.

۴- راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱.

۵- تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲ ص ۱۶۹- ۱۷۰ عنه و راجع حول عدم قبول النبی (صلی اللّه علیه و آله) منهم: لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴- ۲۴۵ و مدارک التنزیل بهامشه نفس الجلد و الصفحه. و غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البیان ج ۲۸ ص ۳۳- ۳۸ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۵۵.

الکفار الحربیین سائغ إلخ ... (۱).

و قد ذکر البعض: أن ابن یامین قد جعل لرجل عشره دنانیر، لیقتل عمرو بن جحاش (۲).

و ذکر البعض: أن المسلمین قد مشوا إلی بنی النضیر علی أرجلهم؛ لأنهم کانوا علی میلین من المدینه، و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی حمار فحسب (۳) أو علی جمل (۴).

و کانت منازلهم بناحیه الفرع، و ما یقربها، بقریه یقال لها: زهره (۵).

لیخبرن بما هممتم به:

و تذکر النصوص: انهم حین ائتمروا بالقاء الصخره علیه (صلی اللّه علیه و آله) قال لهم: سلام بن مشکم: لا تفعلوا، و اللّه، لیخبرن بما..

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۷ و الجامع لأحکام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ عن أبی داود و لباب التأویل ج ۱ ص ۱۸۵ و فتح القدیر ج ۵ ص ۲۷۵ عن أبی داود و النسائی و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم، و ابن حبان، و ابن مردویه و البیهقی فی السنن و الضیاء فی المختاره و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۸ عنهم و عن ابن منده فی غرائب شعبه و عن النحاس فی ناسخه و عبد بن حمید و سعید بن منصور.

۲- مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۷۴.

۳- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و راجع ص ۲۶۱ و ذکر المسافه فی فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۷. و راجع: الجامع لاحکام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱.

۴- غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البیان ج ۲۸ ص ۳۸ و راجع: الجامع لاحکام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱.

۵- و سیأتی توضیح ذلک مع مصادر أخری إن شاء اللّه تعالی ..

هممتم به، و إنه لنقض العهد الذی بیننا و بینه (۱). زاد الواقدی: ألا فو اللّه، لو فعلتم الذی تریدون، لیقومن بهذا الدین منهم قائم إلی یوم القیامه، یستأصل الیهود، و یظهر دینه (۲).

و فی نص آخر: إنه (صلی اللّه علیه و آله) حین قام من بین أصحابه، و ابطأ، و لم یرجع قال: کنانه بن صوریا: جاءه و اللّه الخبر الذی هممتم به (۳).

و فی نص آخر: أنه قال لهم: هل تدرون لم قام محمد؟!

قالوا: لا و اللّه، ما ندری، و ما تدری أنت!

قال: بلی و التواره إنی لأدری، قد أخبر محمد ما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسکم، و اللّه، إنه لرسول اللّه، و ما قام إلا لأنه أخبر بما هممتم به، و إنه لآخر الأنبیاء، کنتم تطمعون أن یکون من بنی هارون، فجعله اللّه حیث شاء.

و ان کتبنا، الذی درسنا فی التوراه التی لم تغیر و لم تبدل: أن مولده بمکه، و دار هجرته یثرب، و صفته بعینها لا تخالف حرفا مما فی کتابنا، و ما یأتیکم به أولی من محاربته إیاکم، و لکأنی أنظر الیکم ظاعنین، یتضاغی صبیانکم، قد ترکتم دورکم خلوفا و أموالکم، و إنما هی شرفکم، فأطیعونی فی خصلتین، و الثالثه لا خیر فیها.ا.

۱- الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۷ و دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳ و عمده القاری ج ۱۷ ص ۱۲۵.

۲- مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۶۵.

۳- الثقات ج ۱ ص ۲۴۱ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۵۵۲ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۶۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و زاد: من الغدر، فلا تخدعوا انفسکم و اللّه، إنه لرسول اللّه، فأبوا أن یقبلوا.

قالوا: ما هما؟

قال: تسلمون و تدخلون مع محمد، فتأمنون على أموالكم، و أولادكم، و تكونون من عليه أصحابه، و تبقى بأيديكم أموالكم، و لا تخرجون من ديارکم.

قالوا: لا نفارق التواره، و عهد موسى.

قال: فإنه مرسل إليكم: أخرجوا من بلدى، فقولوا: نعم، فإنه لا يستحل لكم دما و لا مالا، و تبقى أموالكم، إن شئتم بعتم، و إن شئتم أمسكتم.

قالوا: أما هذا فنعم.

قال: أما و اللّه إن الأخرى خيرهن لى، قال: اما و اللّه، لو لا أنى أفضحكم لا سلمت، و لكن و اللّه، لا تعير شعثاء باسلامى أبدا، حتى يصيبنى ما أصابكم؛ و ابنته شعثاء التى كان حسان ينسب بها، فقال:

سلام بن مشكم: قد كنت لما صنعتم كارها إلخ ..) (۱).

ثم أرسل اليهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) محمد بن مسلمه و ذكّرهم بما كانوا ذكروه له من علامات النبى الموعود، و المنطبقه على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و تستمر الروايه إلى أن تذكر رفض حيى بن أخطب مغادره بلادهم، فقال له سلام بن مشكم:

لا تفعل يا حيى، فو اللّه، إنک لتعلم و نعلم معک: أنه رسول اللّه:

و أن صفته عندنا، و إن لم نتبعه، حسدناه حين خرجت النبوه من بنى۳.

۱- مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۵- ۳۶۶ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ۴۲۶- ۴۲۷ و يوجد ملخص عنه فى اعلام الورى ص ۸۸- ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۳- ۱۶۹ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳.

هارون؛ فتعال؛ فلنقبل ما أعطانا من الأمن، و نخرج من بلاده فقد عرفت أنک خالفتنی فی الغدر به، فاذا کان آوان الثمر جئنا، أو جاءه من جاء منا إلی ثمره؛ فباعها و صنع ما بدا له، ثم انصرف إلینا؛ فکأنا لم نخرج من بلادنا إذا کانت أموالنا بأیدینا إلخ .. (۱)

و فی نص آخر: (فجاء عمرو بن جحاش إلی رحی عظیمه، لیطرحها علیه، فأمسک اللّه یده، و جاء فأخبره، فخرج رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم راجعا إلی المدینه.

ثم دعا علیا، و قال: لا تبرح مقامک؛ فمن خرج علیک من أصحابی، فسألک عنی، فقل: توجه إلی المدینه، ففعل ذلک علی، حتی انصبوا إلیه، ثم تبعوه و لحقوا به) (۲).

کانت تلک طائفه من النصوص الوارده حول قضیه بنی النضیر، و قد حان الآن وقت تسجیل ما یفید و یجدی فی الإستفاده منها، أو فی التأیید، أو التفنید، لأی منها، فنقول.۴.

۱- دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۸- ۴۲۹.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۰ و راجع البحار ج ۲۰ ص ۱۶۴ عن الکازرونی و غیره و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴.

ص: ۳۳

الفصل الثانی: قبل أن تدق الطبول

اشاره

بدایه:

قد تقدمت فی الفصل السابق طائفه من النصوص التی تتحدث عن غزوه بنی النضیر، أو عن بعض ما یتصل بها، و سنجد فیما یلی من مطالب و فصول کثیرا من النصوص التی اقتضی البحث إیرادها، لسبب أو لآخر ..

و حیث إن لنا الکثیر من الوقفات و التساؤلات، بل و تراودنا شکوک قویه حول عدد منها، فإننا نشیر إلی شی ء من ذلک ضمن البحوث التی أوردناها فی هذا الفصل و فیما یلیه من فصول، فنقول ..

و من اللّه نستمد العون، و منه نطلب التوفیق و التسدید.

إن أول ما یطالعنا فی نصوص قضیه بنی النضیر هو:

الإختلافات الفاحشه:

إن هناک الکثیر من الموارد التی اختلفت فیها النصوص و تناقضت بصوره فاحشه و ظاهره.

و ما دام: أن المهم هو الإلماح إلی أن الواقع لا یمکن أن یکون هو کل ما تضمنته تلک الروایات و المنقولات، و إنما هو واحد، و واحد فقط ..

فإننا نکل أمر تقصّی هذه الإختلافات إلی القاری ء نفسه، إن وجد ضروره إلی ذلک.

و لأجل ذلک، فنحن نصرف عنان الکلام إلی الترکیز علی مفاصل أساسیه، نجد أنها بحاجه لمزید من البحث، و الجهد. و إن کنا قد اکتفینا فیها بما یتناسب فی حجمه و مستواه مع سائر بحوث الکتاب و فصوله.

و أول ما نبدأ الحدیث عنه هنا هو:

تاریخ غزوه بنی النضیر:

قالوا: إن غزوه بنی النضیر کانت سنه أربع، فی شهر ربیع الأول منها، خرج إلیهم عشیه الجمعه لتسع مضین من ربیع الأول، ثم راح إلیهم عشیه الثلاثاء.

و قد جعلها ابن إسحاق بعد سریه بئر معونه. و هذا مذکور فی معظم المصادر فلا حاجه إلی تعداد مصادره ..

و لکن قال الزهری، و کذا روی عن عروه و عن عائشه: إنها کانت بعد غزوه بدر بسته أشهر [(۱)](). ۲

۱- راجع: دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۴۴۲- ۴۴۳- ۴۴۴ و لیراجع فی قول الزهری وحده، أو منضما إلی غیره المصادر التالیه: الروض الأنف ج ۳ ص ۳۵۰ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۴ و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۵۹ و أحکام القرآن لابن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۵ و سیره مغلطای ص ۵۳ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۰ و الجامع للقیروانی ص ۲۷۸- ۲۷۹ و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۷ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۲- ۳۳۴ و الأموال ص ۱۵ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۳۶ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۰ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۱۹- ۱۹۷ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۷ عن البیهقی فی الدلائل، و عن ابن مردویه، و عن الحاکم و صححه. و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۳ و ۲۵۵ و ۲۵۶ و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰- ۱۶۲ عنه و زاد المعاد ج ۲

و هو ما جرى عليه البخارى، و ذهب إليه النووى و غيره (۱).

أما نحن فنقول:

إن هذا هو الصحيح، و ذلک للأمور التاليه:

۱- إنهم يقولون: إن أبا سلمه بن عبد الأسد قد استفاد من أرض بنى النضير (۲) و من المعلوم: أن أبا سلمه قد مات قبل شهر ربيع الأول سنه أربع، و قبل بئر معونه.

و قال ابن حبان؛ بعد ذكره غزوه بنى النضير مباشره: (ثم رجع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى المدينه، ثم بعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أبا سلمه بن عبد الأسد إلى ماء لبنى أسد إلخ .. (۳)).۳.

۱- راجع: بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۲۳- ۲۱۳ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۰۵ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۳ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع: مرآه الجنان ج ۱ ص ۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳۶ و جوامع الجامع ص ۴۴۸. و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵ حيث استغرب من السهيلى ترجيحه قول الزهرى و راجع أيضا: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲- ۱۹۷.
۲- الطبقات الكبرى ج ۱ ص ۵۸ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۰. و قالا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أعطاه أرضا تسمى (بويله)، و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۷ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۹.
۳- الثقات ج ۱ ص ۲۴۳.

۲- إنهم يقولون: إن الحارث بن الصمه قد استفاد هو الآخر من أراضى بنى النضير (۱)

مع أنهم يدّعون: أن الحارث هذا قد قتل فى بئر معونه، فکیف تکون غزوه بنی النضیر بعدها ..

هذا .. بالإضافه إلى أننا قد قدمنا: أن تاريخ سريه بئر معونه كان قبل السنه الرابعه، فراجع ما ذكرناه هناك.

و جعل قتله فى بئر معونه دليلا على ضعف هذا الخبر (۲).

لیس بأولى من العكس، أى جعل استفادته من أراضى بنى النضير دليلا على عدم صحه قتله فى بئر معونه. و لا أقل من أنه يدل على تقدم غزوه بنى النضير على تلك الغزوه التى يقال: إنه قد قتل فيها. و يتأكد ذلك إذا عرفنا أن أحدهما ليس ناظرا إلى الآخر. مع ملاحظه:

أنه لا داعى للجعل و الوضع فى أى من الموردين، بالنسبه إلى هذا الرجل بخصوصه.

تذكير بما سبق:

و لنا هنا ملاحظه و هى: أن ابن التين قد قوّى أن تكون غزوه بنى٩.

۱- مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۱ عن المدارک، و عن معالم التنزیل و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۹ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جوامع الجامع ص ۴۸۷ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۵ و الکشاف ج ۴ ص ۵۰۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و راجع ص ۱۴- ۲۴ و أحكام القرآن لإبن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۱- ۱۷۷۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ عن غير ابن إسحاق، و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۹.
۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۹.

النضیر بعد سریه بئر معونه، و ذلک إستنادا إلی دلیل لا یصح، و قد ذکرناه مع جوابه فی سریه بئر معونه فی الجزء السابق من هذا الکتاب، فلیراجع هناک.

۳- إنه لا شک فی کون غزوه بنی النضیر قد کانت قبل حرب الخندق بثمانیه أشهر فی أقل الأقوال.

و قد قوّینا: أن تکون الخندق قد حصلت فی السنه الرابعه من الهجره و لیس فی السنه الخامسه منها (۱). فتکون غزوه بنی النضیر قبلها ..

بل إن ابن إسحاق، الذی ذکر: أن إجلاء بنی النضیر قد کان بعد أحد أی فی السنه الرابعه .. قد ذکر: ان فتح قریظه کان مرجعه (صلی اللّه علیه و آله) من الأحزاب (أی الخندق)، و بینهما سنتان (۲).

فاذا کان بینهما سنتان (و إذا کانت قریظه التی هی بعد الخندق مباشره) فی السنه الرابعه فلا شک فی کون غزوه بنی النضیر قد حصلت فی السنه الثانیه، بعد بدر مباشره، لا بعد غزوه أحد.

۴- إن بعض النصوص تذکر: ان سبب غزوه بنی النضیر هو: أن کفار قریش کتبوا- بعد بدر- إلی الیهود یهددونهم، و یأمرونهم بقتال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؛ فأجمع حینئذ بنو النضیر علی الغدر، و أرسلوا إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله): أن اخرج إلینا فی ثلاثین من أصحابک.

ثم تذکر الروایه کیف: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) غدا علیهم۱.

۱- راجع کتابنا: حدیث الإفک ص ۹۶- ۱۰۶ و الجزء السادس من هذا الکتاب حین الحدیث عن تحرر سلمان المحمدی (الفارسی) من الرق.

۲- مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه و راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۲ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و راجع: الجامع لأحکام القرآن ج ۲۱۸) ص ۳۶ و راجع أیضا: تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۲۱.

بالکتائب فحصرهم، و طلب منهم العهد، فقاتلهم یومه ذاک ثم ترکهم و غدا إلی بنی قریظه، و دعاهم إلی أن یعاهدوه ففعلوا؛ فانصرف عنهم إلی بنی النضیر بالکتائب، فقاتلهم حتی نزلوا علی الجلاء (۱).

و عند العسقلانی: ان هذا أقوی مما ذکره ابن إسحاق من أن سبب غزوه بنی النضیر هو طلبه (صلی اللّه علیه و آله) منهم المساعده فی دیه العامریین (۲).

۵- إن عددا من النصوص یذکر: أن کعب بن الأشرف کان لا یزال حیا إلی حین غزوه بنی النضیر، و أنه قد قتل حینها، أو بعدها ..

و من المعلوم: أن قتل کعب بن الأشرف قد کان علی رأس خمسه و عشرین شهرا من الهجره، و معنی ذلک هو صحه ما ذکر من أن هذه الغزوه قد کانت بعد سته أشهر من بدر.

و نذکر من الشواهد علی دور کعب فی هذه الغزوه ما یلی:

ألف: إن بعض النصوص تقول: إنه لما جاء النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی بنی النضیر یستسلفهم فی دیه العامریین قصد أولا کعب بن الأشرف، فلما دخل علیه قال کعب: مرحبا یا أبا القاسم و أهلا. و قام کأنه۵.

۱- راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و عبد بن حمید، و ابن المنذر و البیهقی، و ابی داود و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۳ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳، و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۳۶۰ و سنن أبی داود ج ۳ ص ۱۵۶- ۱۵۷ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۴۴۵- ۴۴۶ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۵ عن ابن مردویه، و عبد بن حمید فی تفسیره عن عبد الرزاق و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۲۰ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۱ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۳۹۷ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ و مدارک التنزیل بهامشه نفس الصفحه و أسباب النزول ص ۲۳۶.

۲- فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۵.

يصنع له الطعام، و حدث نفسه بأن يقتل رسول اللّه، و يتبع أصحابه، فنزل جبرئيل إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) فأخبره (۱).

ب: إن كعب بن الأشرف ذهب إلى مكه فى أربعين رجلا، فاجتمع بأبى سفيان، و كان فى أربعين رجلا أيضا، و تعاهدا بين الأستار و الكعبه، فنزل جبرائيل بسوره الحشر؛ فبعث النبى (صلى اللّه عليه و آله) محمد بن مسلمه بقتله؛ فقتله فى الليل ثم قصد إليهم، و عمد على حصارهم، فضرب قبته فى بنى خطمه (۲).

ج: و لكن ذكر الشيخ المفيد (رحمه اللّه) و غيره: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان حين قتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) للعشره، الذين خرجوا يلتمسون غرّه من المسلمين، قال المفيد (رحمه اللّه):

(و فى تلك الليله قتل كعب بن الأشرف و اصطفى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أموال بنى النضير) (۳).

و يفهم من الأربلى و غيره أيضا: أن قتل ابن الأشرف كان أثناء حصار بنى النضير، فراجع (۴)...

۱- تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و اعلام الورى ص ۸۹ و البحار ج ۲ ص ۱۶۳- ۱۶۹ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳. و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶.

۲- مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶ و راجع: بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و شرحه بهامش نفس الصفحه و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴. و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۵۸ و راجع: مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و راجع: غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۳.

۳- الإرشاد للمفيد ص ۵۰ و كذا فى مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

۴- راجع: كشف الغمه ج ۱ ص ۲۰۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ و راجع المصادر المتقدمه ..

د: و لکن آخرین یذکرون: أنه (صلی اللّه علیه و آله) إنما أمر بقتل کعب حین ذهب إلی بنی النضیر، یستعینهم فی دیه العامریین، فاطلع علی محاولتهم الغدر به، فانصرف راجعا، و أمر بقتل کعب بن الأشرف ثم أصبح غادیا علیهم بالکتاب، و کانوا بقریه یقال لها زهره، فوجدهم ینوحون علی کعب، فقالوا: یا محمد، واعیه إثر واعیه، ثم حشدوا للحرب، و فی آخره: قالوا: ذرنا نبکی سویعه، ثم أئتمر أمرک (۱).

و علی کل حال، فإن عددا من المؤرخین و المؤلفین قد صرحوا بأن غزوه بنی النضیر، کانت صبیحه قتل ابن الأشرف (۲).

ه: و یؤید ذلک الشعر المنسوب إلی أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی هذه المناسبه؛ فمنها قوله (علیه السلام)

و ان تصرعوا تحت أسیافه کمصرع کعب أبی الأشرف إلی أن قال:

فدس الرسول رسولا له بابیض ذی هبه مرهف

فباتت عیون له معولات متی ینع کعب لها تذرف

و قلن لاحمد ذرنا قلیلافانا من النوح لم نشتف ه.

۱- راجع بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ عن البخاری و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ عن مسلم و أبی داود و الترمذی، و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ و راجع: تاریخ الخمیس ح ۱ ص ۴۶۱.
۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ عن معالم التنزیل، و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۶ عن عبد بن حمید فی تفسیره و راجع: الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ و الکشاف ج ۴ ص ۴۹۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶، و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳ و المصادر المتقدمه فی الهامش السابق و راجع مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۷ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۸- ۱۵۹ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ عن عبد بن حمید فی تفسیره.

فخلاهم ثم قال اظعنوادحور على رغم الآنف

و أجلى النضير إلى غربهإلخ .. (۱)

فإن هذه الأبيات إنما تقرر القصه المذكوره فيما تقدم ..

و: و يؤيـد ذلك أيضا: أن البعض يقول: إن آيه: فأتاهم اللّه من حيث لم يحتسـبوا (۲)، يقال: نزلت فى كعب بن الأشرف (۳). و كذا قوله:

و قذف فى قلوبهم الرعب، قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (۴).

و معنى ذلك: أن قتل كعب كان سببا فى هزيمتهم، و أن قتله قد كان بعد غدرهم، و إعلانهم للحرب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كما يفهم من الآيات الشريفه.

ز: و أخيرا، فإن بعض النصوص تقول:- و ذاك أمر غريب حقا- إن كعب بن الأشـرف قد اعتزل قتال بنى النضـير، و زعم: أنه لم يظاهر على المسـلمين، فتركه النبى (صلى اللّه عليه و آله) ثم انبعث يهجوه و المؤمنين، ثم سار إلى قريش يستدعيهم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)۶.

۱- السيره النبويه لإبن هشام ج ۳ ص ۲۰۷ و السيره النبويه لإبن كثير ج ۳ ص ۱۵۲- ۱۵۳ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۷۹.
۲- الحشر الآيه: ۲.
۳- الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و راجع: مجمع البيان ج ۹ ص ۱۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه و راجع غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۴ و مـدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳ عن أبى صالـح، و السـدى، و ابن جريج و التفسـير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۹ و راجع: الكشـاف ج ۴ ص ۴۹۹ و جوامع الجـامع ص ۴۸۴ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۵.
۴- فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶.

إلخ ... (۱).

و لعل المراد: أنه اعتزل قتال بدر، و إلا.. فإن بقاءه إلى ما بعد غزوه بنى النضير، مما تضافرت النصوص التاريخيه على خلافه فراجع حكايه مقتله فى سيره ابن هشام، و الطبرى، و تاريخ الخميس، و غير ذلک.

۶- و سيأتى أنهم يقولون: إن آيه: لا إكراه فى الدين قد نزلت فى غزوه بنى النضير، و معلوم أن هذه الآيه قد وردت فى سوره البقره، التى نزلت فى أوائل الهجره و يبعد: ان يستمر نزولها إلى ما بعد بدر، حيث نزلت سوره الأنفال. و لم يرد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لهم ضعوا هذه الآيه فى السوره الفلانيه، فالظاهر: انها فى جمله الآيات التى نزلت تدريجا، فراجع فى كيفيه نزول القرآن ما ذكرناه فى كتابنا: حقائق هامه حول القرآن الكريم، فصل: الترتيب و النزول.

۷- و نشير أخيرا إلى أن الحاكم قد ذكر: أن إجلاء بنى النضير و بنى قينقاع قد كان فى زمان واحد (۲).

تهافت ظاهر:

و بعد ما تقدم؛ فإن القول بأن هذه القضيه قد حصلت فى السنه الرابعه، لا يجتمع مع القول بأنها كانت متزامنه مع قتل كعب بن الأشرف- كما صدر من البعض (۳)- لأن ابن الأشرف قد قتل قبل هذا التاريخ بحوالى سنتين. كما يعلم بالمراجعه لكتب التاريخ و الروايه.۹.

۱- تاريخ المدينه ج ۲ ص ۴۶۱- ۴۶۲ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۹ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۵ كلاهما عن البخارى و البيهقى.

۲- فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶.

۳- راجع على سبيل المثال ما قاله اليعقوبى فى تاريخه ج ۲ ص ۴۹.

سبب غزوه بنی النضیر:

لقد ذکرت معظم المصادر: أن سبب هذه الغزوه هو: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد جاءهم یستعینهم فی دیه العامریین، الذین قتلهما بعض أصحابه بعد سریه بئر معونه، فأرادوا الغدر به، فجاءه الخبر من السماء. إلی آخر ما تقدم ذکره.

قال البعض: (و کانوا قد عاهدوا النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی ترک القتال، و علی أن یعینوه فی الدیات) (۱).

و لکننا نجد فی مقابل ذلک أقوالا أخری، و هی:

الأول: إن السبب هو أنهم قد طلبوا من النبی (صلی اللّه علیه و آله): أن یخرج إلیهم فی ثلاثه نفر، لیناقشوه فی أمر الدین، و کانوا قد خبأوا الخناجر، فأرسلت إلیه إمرأه منهم- بواسطه أخیها- تعلمه بخیانتهم فلما أخبره بالأمر، رجع قبل أن یصل إلیهم (۲).

و یبدو أن هذه هی نفس الروایه القائله: إنهم طلبوا إلیه أن یخرج الیهم فی ثلاثین رجلا، و هم فی مثلهم، ثم لما رأوا: أنه لا یمکن التفاهم فیما بین هذا العدد الکبیر اقترحوا خروجه (صلی اللّه علیه و آله) فی ثلاثه، و منهم کذلک .. و قد کان ذلک بسبب تهدید قریش لهم بعد غزوه بدر (۳)،۹۷

۱- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۰ و راجع: بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۳، و شرحه للأشخر الیمنی، مطبوع بهامشه، نفس الجلد و الصفحه.

۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳ و ۲۶۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۲.

۳- راجع هذه القضیه فی دلائل النبوه للبیهقی ج ۲ ص ۴۴۵ ۴۴۶ و المصنف ج ۵ ص ۳۵۹- ۳۶۱ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ و مدارک التنزیل مطبوع بهامشه نفس الصفحه و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۱ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۳۹۷

و قد تقدم: أن العسقلانی قد اعتبر هذه الروایه أقوی مما ذکره ابن إسحاق، و وافقه علیه جل أهل المغازی، من ان السبب هو أنه خرج إلیهم فی دیه العامریین (۱).

و قد عرفنا فیما تقدم. أن هناک العدید من الدلائل و الشواهد التی تؤکد علی أن غزوه بنی النضیر، قد کانت قبل بئر معونه ..

فإن العامریین المشار إلیهما هما اللذان قتلا بعد بئر معونه، فلا ینسجم ذلک مع ما تقدم. و لا یصح ما ذکره ابن إسحاق، و إن کانا قد قتلا قبل ذلک، و فی مناسبه و قضیه أخری، فلا إشکال فیه من هذه الناحیه.

الثانی: قیل: إنه إنما ذهب إلیهم لأخذ دیه العامریین لأن بنی النضیر کانوا حلفاء لبنی عامر (۲). فیسهل الدفع منهم؛ لکون المدفوع لهم من حلفائهم (۳).

و لکن لا ندری لماذا یرید أن یأخذ الدیه من حلفاء المقتول، فهل جرت عاده العرب علی ذلک؟!

أم أنه یرید إذلال بنی النضیر فی ذلک؟!

فإذا کان کذلک، فهل المراد الإیحاء بأن ناقض العهد فی الحقیقه ۰.

۱- فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۵.
۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۳ و ۲۶۴.
۳- السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰.

هو نفس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و ذلک بغيا منه و تعديا فى أمر لاحق له به .. نعوذ باللّه من الخطأ و الخطل، فى القول و العمل ..

الثالث: إن البعض يقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد ذهب إلى بنى النضير، ليسألهم كيف الديه عندهم، و ذلک للعهد الذى كان بينهم و بين بنى عامر (۱) ..

و لا ندرى لماذا لم يكتف بارسال بعض أصحابه إليهم ليسألوهم عن ذلک، و هل كان ثمه اتفاق خاص فى مقدار الديه فيما بين بنى النضير و بنى عامر، يختلف عن مقدارها لدى سائر الناس الذين يعيشون فى تلک المنطقه؟!

و إذا كان كذلک، فكيف يريد هو أن يدفع خصوص هذا المقدار الذى اتفق عليه هؤلاء، و لماذا لا يدفع المقدار المتعارف عليه فيما بين سائر الناس؟! ..

و إذا كان يريد أن يدفع المقدار المتعارف عليه بين عامه الناس، فهل كان (صلى اللّه عليه و آله) يجهل هذا المقدار؟!.

و إذا كان- و العياذ باللّه- يجهل به، فهل لم يكن أحد من أصحابه، من سائر أهل المدينه، و سائر القبائل و الأقوام الذين يعيشون فيها و حولها، يعلم بمقدار الديه؟! حتى يحتاج إلى المسير مع جماعه من أصحابه إلى خصوص بنى النضير؟! ..

ام أن المقصود هو إظهار: ان النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن يعرف أحكام الشريعه السابقه- شريعه اليهود خاصه- دون غيرهم من سائر اهل الملل. فلا بد أن يتفضل عليه اليهود، و يعلّموه مما عندهم، و يصبح مدينا لهم، هو و شريعته، و كل اتباعه من بعده.ق.

۱- المصدر السابق.

ثم ليثبت من خلال ذلك: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يعمل، بشريعه اليهود و أحكامهم!!

مع أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان يخالفهم فى كل شى ء حتى لقد عبروا عن استيائهم من أنه يريد أن لا يدع من أمرهم شيئا إلا خالفهم فيه (۱).

لا ندرى .. و لعل الفطن الذكى يدرى ..

فإنا للّه و انا إليه راجعون .. و لا حول و لا قوه إلا باللّه.

الرابع: قد تقدم أن بنى النضير لما هزم المسلمون فى أحد ارتابوا و نقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود إلى مكه، و حالفوهم و عاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحده على محمد، ثم دخل أبو سفيان فى أربعين و كعب بن الأشرف فى أربعين المسجد، و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبه. ثم رجع كعب و أصحابه إلى المدينه، و نزل جبرائيل، فأخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بما تعاقد عليه كعب بن الأشرف و أبو سفيان، و أمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمه الأنصارى، و كان أخاه من الرضاعه (۲).

الخامس: ورد فى نص آخر ما ملخصه: أنه ذهب مع أصحابه يستقرض مالا ـ من كعب بن الأشرف، فحدث كعب نفسه بقتل النبى، فاخبره جبرائيل، فقام كأنه يقضى حاجه، و عرف: أنهم لا يقتلون أصحابهک.

۱- راجع حول إصرار النبى (صلى اللّه عليه و آله) على مخالفه اليهود: الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ۱۰۶.

۲- راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۵۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و قد تقدمت بقيه المصادر حين الحديث عن تاريخ غزوه بنى النضير، فلتراجع هناک.

و هو حی، و أخذ طریق المدینه، فاستقبله بعض أصحاب کعب، فأخبر کعبا بذلک، و رجع المسلمون.

فأخبرهم ابن صوریا بأن رب محمد أطلعه علی ما هموا به، و أنه سوف یأمرهم بالجلاء إن لم یسلموا، فاختاروا الجلاء (۱).

و قد أسلفنا: أننا نرجّح هذه الروایه التی تنص علی وجود کعب بن الأشرف، و علی دور له فی قضیه بنی النضیر، و قد استحق بذلک الدور أن یأمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) بقتله فقتل.

ولکننا لا ندری حقیقه هذا الدور، فلعل کعبا قد عاقد أبا سفیان علی حرب النبی (صلی اللّه علیه و آله) ثم هجا المسلمین، و شبب بنسائهم، ثم حاول نقض العهد حین طلب منه النبی (صلی اللّه علیه و آله) الوفاء بتعهداته المالیه، حیث قد کان ثمه عهد ینص علی التعاون فی الدیات.

و کان ذلک من کعب بالتعاون مع قومه، حین انتدب عمرو بن جحاش لتنفیذ المهمه.

فکان أن ترکهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و قفل عائدا إلی أصحابه، فأمر بقتل کعب بن الأشرف، ثم غدا علی بنی النضیر بالکتائب.

فإن من الطبیعی أن نجد رسول الإسلام الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) یتحمل منهم نقض العهد أکثر من مره، من أجل أن یقطع لهم کل عذر، و تعلل فی ذلک، و لیتضح لکل أحد ما بیتوه من مکر و خداع، و ما۶.

۱- راجع: اعلام الوری ص ۸۹۸۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۳ و ۱۶۹ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۵۳ و تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۵۹ و تفسیر البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۹ و راجع: مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۶.

أبطنوه من ختل و غدر، و يحق اللّه الحق بكلماته، و ليخزی الفاسقين، بفضل صبر الرسول (صلی اللّه عليه و آله) و أناته.
الصحيح من السيره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۸ ۵۰ سبب غزوه بنی النضير: ..... ص : ۴۵

الأسباب و العوامل سببا واحدا لما حصل ..

روايه لا يعتمد عليها:

و تقدم فی الفصل الأول من هذا الباب روايه تقول: إنهم حين جاءهم الرسول (صلی اللّه عليه و آله) و معه بعض أصحابه. فكروا فی أن يقتلوه، و يأخذوا من جاء معه من أصحابه أسری، و يبيعوهم من أهل مكه.

و نحن نشك فی هذه الروايه أيضا؛ فإن أسر من جاء معه و بيعهم إلی أهل مكه، معناه إثاره حرب طاحنه فيما بين بنی النضير، و بين الأوس و الخزرج، و من معهم من سائر المسلمين، و لن يمكنهم الوصول بهم إلی مكه قبل أن تندر الرؤوس، و تطيح الأيدی، و تخرب البلاد، و تهلك العباد ..

و قد جرب اليهود حظهم مع الأوس و الخزرج فيما سبق، و استطاع هؤلاء أن يخرجوا أولئك من المدينه ليعيشوا حواليها، و فی أطرافها. و قد كان هذا و أمر اليهود مجتمع؛ فكيف تكون الحال بعد أن أجلی منهم بنو قينقاع مع كون العلاقات بين بنی قريظه و النضير غير متكافئه و لا طبيعيه بسبب التمييز الظالم لبنی النضير عليهم، حسبما أوضحناه حين الحديث، حول كونهم بمنزله بنی المغيره فی قريش كما سيأتی ان شاء اللّه تعالی.

و بعد أن أصبح بنو النضير أضعف ناصرا و أقل عددا، فإن التفكير بهذا الأمر يصبح فی عداد المحالات و الممتنعات ..

و ذلک أمر ظاهر لا یحتاج إلی بیان، و لا إلی إقامه برهان.

نقض العهد .. و التکبیر:

و قد ورد فی بعض النصوص: أنهم حین أبلغوا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بنقض بنی النضیر للعهد أظهر التکبیر، و قال:

اللّه أکبر، حاربت یهود. و کبّر المسلمون بتکبیره (۱) کما تقدم: أن المسلمین باتوا یحاصرون بنی النضیر، و یکبرون حتی أصبحوا ..

و نقول:

إن إظهار المسلمین للتکبیر، و تکبیر النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالذات أمر له دلالاته الهامه، و آثاره الظاهره، و یتضح بعض ذلک ضمن النقاط التالیه:

۱- لقد کان من الطبیعی أن یتوقع الیهود: أن یواجه النبی (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمون نقضهم للعهد بکثیر من القلق، و عدم الارتیاح، بل و حتی بالخوف، و بالوجوم الناجم عن الإرتباک، و التزلزل ..

و لکن النبی (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمین قد قابلوا ذلک- و بسرعه غیر متوقعه- بموقف لا یمکن أن یخطر للیهود علی بال، الأمر الذی من شأنه أن یربکهم، و یوقعهم فی حیره، و یثیر لدیهم أکثر من۶.

۱- راجع فی ذلک ما یلی: الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۷- ۵۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۰ و تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۹ عنه و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲، و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۵۵۳ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسیر البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۰ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۴ و عمده القاری ج ۱۷ ص ۱۲۶.

سؤال، ثم هو يزعزع ثباتهم، و يذكى مخاوفهم، بصوره كبيره و خطيره

۲- إنه إذا كان يوجد فيما بين المسلمين من ينظر إلى اليهود نظره إجلال و إكبار، و يكنّ لهم فى نفسه قدرا من الثقه و الإحترام؛ فان معنى ذلک هو أن نشاطات المنافقين- و على رأسهم عبد اللّه بن أبى- فى التخذيل عن حربهم، و الصد عن مواجهتهم، لسوف تجد مجالا واسعا، و لسوف تترک آثارها السلبيه على تماسک الصف الإسلامى فى مواجهتهم ..

و لعل وجود أبناء للمسلمين فى بنى النضير لسوف يجعل اتخاذ موقف حازم ضدهم على درجه من الصعوبه بالنسبه لكثير من الآباء، و من يتصل بهم بسبب، أو بآخر.

و لأجل ذلک؛ فإن توفّر جو حماسى جماهيرى، لسوف يضعف حاله التردد لدى هؤلاء و أولئک، و ينقلهم من أجواء الإنسياقات العاطفيه، و الإندهاش و الإنبهار بالإنتفاخات غير الواقعيه، التى تؤثر فى نشوء حاله من التقديس غير المنطقى.- ينقلهم- إلى أجواء الشعور بالقوه، ثم التغلب على عوامل الضعف النفسى من خلال مساعده العامل الداخلى، بعامل خارجى يعطيه القدره على الصمود و التصدى، كما و يعطيه المناعه و المصونيه من التأثر بعامل العاطفه منفصلا عن الإحساس بالمسؤوليه، أو التأثر بعامل التوهمات، و التقديسات، التى لا ترتكز على الدليل المقنع، و لا تقوم على التأمل القاطع لكل الشبهات، و لكل التساؤلات المنطقيه، التى يثيرها العقل الفطرى السليم و الراشد ..

و هكذا، فإن هذا العامل المساعد للإحساس الواقعى بالمسؤوليه، و القادر على المواجهه الحازمه، القائمه على الدرايه و العقل. لسوف يضعف من قدره اليهود و المنافقين على التأثير فى درجه التصميم على التصدى، أو التأثير فى خلخله الوضع الداخلى، و تمييع الموقف

بالإستفاده من عامل العاطفه أو عامل الإنبهار القائم على التخيل و التوهم غير المنطقى و لا المسؤول.

۳- و إذا كان القرآن الكريم، و النبى الأمى (صلى اللّه عليه و آله) و كذا التاريخ الطويل الزاخر بالأحداث قد قدم للمسلمين صوره تكاد تكون واضحه عن الحاله الأخلاقيه الذميمه لليهود، و عن طموحاتهم اللامنطقيه و اللامشروعه و التى كانوا يدعمونها بتعاليم دينيه مزيفه، و يعملون على تحقيقها بسياساتهم الخبيثه فى مجال الإعلام و السياسه، و الإقتصاد، و كل نشاطاتهم الإجتماعيه- إذا كان كذلك- فان صدق هذه النبوءه، المتمثل فى بروز صفه الغدر و الخيانه فيهم على صعيد الواقع بصوره ملموسه و ظاهره للعيان، لسوف يمسح عن أعين الكثيرين غبار الخداع و الانخداع، و لسوف يكون فى ذلك آيه أخرى تدل على صدق هذا النبى الأكرم، و على حقانيه موقفه، و صواب سياساته منهم و يقطع من ثم كل عذر، و يزيل كل شبهه، فقد، تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ (۱)، وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ (۲).

نقض العهد و المؤامره:

هذا، و نجد: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اعتبر تآمرهم على حياته، و محاولتهم اغتياله، و إن لم ينجحوا فى مجال تنفيذ ذلك، نقضا للعهد يبرر مواجهتهم بالموقف الصارم و الحازم.

و واضح: أن إغتيال القياده الإسلاميه هو أجلى مظاهر الخيانه، و أخطرها، و لا يجب أن ننتظر من الخائنين إعلانهم للحرب، و التصدى۹.

۱- البقره: ۲۵۶

۲- الكهف: ۲۹.

الفعلی و الظاهر لها، کما ربما یفترضه البعض.

المعاهدات فی الإسلام:

و یحدثنا التاریخ: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد عاهد بنی النضیر، کما عاهد غیرهم، و لعل أبرز عهد عقده هو عهد الحدیبیه، حیث أمر بکتابه نسختین للکتاب (۱) لأن بالکتابه یتم الحفاظ علی النص، و یمکن الإلتزام به، و یکون مرجعا لا یمکن التشکیک و لا المراء فیه، فیما إذا ثار خلاف، و قد اعتبر الإسلام هذه العهود وسیله لا یقاف الحروب، و للمنع من نشوبها، یتوفر للإنسان المسلم فی ظلها حریه التعبیر، و حریه العمل و الحرکه کما سنری.

و هذا بالذات هو السر فی أننا نجد الإسلام قد أولی العهود و الإتفاقات أهمیه بالغه، و رسم لها حدودها، و بین بوضوح تام مختلف الأصول و الأهداف التی لا بد من رعایتها، و الحفاظ علیها فیها.

و بدیهی: أن دراسه هذا الموضوع بعمق، و الإلمام بجمیع جوانبه إسلامیا و تاریخیا، یتطلب بذل جهد کبیر، و یحتاج إلی دراسه مستقله و منفصله، و إلی وقت یتیح الفرصه للإطلاع علی قدر کاف من الآیات الشریفه و النصوص الوارده عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) و الأئمه (علیهم السلام)، ثم دراسه المعاهدات التی عقدت فی صدر الإسلام و ظروفها، و لا نجد أنفسنا قادرین علی توفیر ذلک فی ظروفنا الراهنه. إلا أن ذلک لا یمنع من إیراد إلماحه سریعه، ترتکز- عموما- علی بعض ما ورد فی هذا المجال فی خصوص نهج البلاغه، فنقول:

من عهد الأشتر:

قال (علیه السلام) فی عهده لمالک الأشتر:ا.

۱- آثار الحرب فی الفقه الإسلامی ص ۶۵۹ عن السیاسه الشرعیه، للبنا.

(.. و لا تدفعن صلحا دعاک إلیه عدوک و للّه فیه رضا؛ فإن فی الصلح دعه لجنودک، و راحه من هموک، و امنا لبلادک، و لکن الحذر کل الحذر من عدوک، بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب لیتغفل، فخذ بالحزم، و اتهم فی ذلک حسن الظن.

و إن عقدت بینک و بین عدوک عقده، أو البسته منک ذمه؛ فحط عهدک بالوفاء، و ارع ذمتک بالإمانه، و اجعل نفسک جنه دون ما أعطیت؛ فانه لیس من فرائض اللّه شی ء الناس أشد علیه إجتماعا، مع تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم من تعظیم الوفاء بالعهود.

و قد لزم ذلک المشرکون فیما بینهم دون المسلمین لما استوبلوا من عواقب الغدر (۱)؛ فلا تغدرن بذمتک، و لا تخیسنّ بعهدک، و لا تختلن عدوک؛ فإنه لا یجتری ء علی اللّه إلّا جاهل شقی.

و قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بین العباد برحمته، و حریما یسکنون إلی منعته، و یستفیضون إلی جواره؛ فلا إدغال، و لا مدالسه و لا خداع فیه.

و لا تعقد عقدا تجوز فیه العلل، و لا تعوّلن علی لحن قول بعد التأکید و التوثقه، و لا یدعونک ضیق أمر لزمک فیه عهد اللّه إلی طلب انفساخه بغیر الحق، فان صبرک علی ضیق أمر ترجو إنفراجه، و فضل عاقبته خیر من غدر تخاف تبعته، و أن تحیط بک من اللّه طلبته، فلا تستقیل فیها دنیاک و آخرتک) (۲)..)

۱- هذا یؤید بما قدمناه فی الجزء الثانی من هذا الکتاب من أن العرب کانوا أوفیاء بعهودهم، و قد فرض علیهم هذا الأمر طبیعه الحیاه التی کانوا یعیشونها حیث رأوا: أنه لا یمکنهم العیش بدون ذلک.

۲- نهج البلاغه بشرح عبده ج ۳ ص ۱۱۷- ۱۱۸ و معادن الحکمه ج ۱ ص ۱۰۹ و تحف العقول ص ۱۲۶ و دعائم الإسلام ج ۱ ص ۳۵۰، و البحار ج ۸ ص ۶۰۹ ثم شرحه، و ج ۷۷ ص ۲۴۰ عن النهج و التحف، و مستدرک الوسائل ج ۳ ص ۱۹۵ و أضاف العلامه المحقق الأحمدی: أن بعضه قد نقل فی کنز العمال ج ۱۵ ص ۱۶۵- ۱۶۶ عن الدینوری، و ابن عساکر، و مآثر الإنافه ج ۳ ص ۶ عن صبح الأعشی، و مفتاح الأفکار. و أشار إلیه النجاشی فی رجاله ص ۷ و ذکر سنده أیضا الشیخ فی الفهرست. و قال فی معجم رجال الحدیث ج ۳ ص ۲۲۲: طریق الشیخ إلی عهد مالک الأشتر صحیح. و ذکره فی نهج السعاده ج ۵ ص ۵۸ عن جمع ممن تقدم، و قال: روی قطعه منه مسندا فی تاریخ الشام ج ۳۸ ص ۸۷ و فی النسخه المرسله ص ۱۹۳. و ذکر فی خاتمه المستدرک ص ۲۱۸ عن مجله المقتطف ۴۲ ص ۲۴۸: أنه نقله عن نسخه السلطان بایزید الثانی، و فی دستور معالم الحکم ص ۱۴۹ شواهد لهذا العهد، و نقله فی مصادر نهج البلاغه عن جمع ممن تقدم، و عن نهایه الإرب للنویری ج ۶ ص ۱۹. ثم ذکر فی مصادر نهج البلاغه بعض من شرح هذا العهد، مثل: آداب الملوک لرفیع الدین التبریزی، و أساس السیاسه فی تأسیس الرئاسه للکجوری الطهرانی، و التحفه السلیمانیه للبحرانی، و الراعی و الرعیه لتوفیق التفکیکی، و السیاسه العلویه لآل مظفر (خطیه). و شرح عهد أمیر المؤمنین (علیه السلام) للمجلسی، و شرح عهد أمیر المؤمنین (علیه السلام) للمولی محمد باقر القزوینی، و شرح عهد أمیر المؤمنین (علیه السلام) للمیرزا حسن القزوینی، و شرح عهد أمیر المؤمنین (علیه السلام) للمیرزا محمد التنکابنی. و شرح عهد أمیر المؤمنین (علیه السلام) للشیخ هادی القائینی البیرجندی، و شرح الفاضل بدایع نکار المثبت فی المآثر و الآثار، و

نصايح الملوک لأبی الحسن العاملی. و مقتبس السیاسه و سیاج الرئاسه للشیخ محمد عبده، انتزع من شرحه و طبع علی حده، و القانون الأکبر فی شرح عهد الأشتر للسید مهدی السویج (مخطوط) و مع الإمام فی عهده لمالک الأشتر للشیخ محمد باقر الناصری. و نزید هنا فی ما یرتبط بشروحه، ما اورده السید هبه الدین الشهرستانی فی مقدمته لکتاب الراعی و الرعیه ص ۸- ۹ و الشیخ آقا برزک الطهرانی فی کتابه الذریعه ص ۳۷۳- ۳۷۵ و ج ۱۵ ص ۳۵۳، حیث اضافا إلی شروح العهد: شرح الحسین الهمدانی الموسوم بهدیه الحسام لهدایه الحکام. و شرح محمد صالح الروغنی القزوینی، من علماء القرن الحادی عشر، و دستور حکمت. و ترجمه الوصال الشیرازی المتوفی سنه ۱۲۷۴ و نظمه شعرا بالفارسیه. و ترجم محمد جلال هذا العهد إلی الترکیه، و نظمه شعرا بالترکیه. فرمان مبارک لجواد فاضل. و عنوان ریاست (ترجمه لهذا العهد أیضا للسید علی أکبر بن سلطان العلماء السید محمد النقوی اللکنهوی). هذا کله عدا عن شرح شراح النهج له فی ضمنه کالمعتزلی و ابن میثم و غیرهما. بقی أن نشیر إلی أن صاحب الذریعه قد قال فی ج ۱۵ ص ۲۶۲: (نسخه العهد بخط یاقوت المستعصمی موجوده فی المکتبه الخدیویه بمصر تاریخ فراغها سنه ثمانین و ستمائه کما فی فهرسها.)

الوفاء بالعهد:

أما بالنسبه إلى ضروره الإلتزام بالعهود و الوفاء بها، حتى لغير المسلمين، فإن اللّه تعالى يقول: فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ (۱).

و يقول سبحانه: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا (۲).

و يقول: .. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ .. إلى أن تقول۴.

۱- التوبه: ۴.

۲- الإسراء: ۳۴.

الآیه: وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها (۱).

فقد جعل اللّه العهد مع الأعداء عهدا للّه سبحانه ..

الشرط الأساس فی کل عهد:

و بعد .. فإن أمیر المؤمنین (علیه السلام) قد قرر أن الشرط الأساس فی کل عهد هو أن یکون (للّه فیه رضا) کما ورد فی عهده (علیه السلام) للأشتر (رحمه اللّه).

و واضح: أن رضا اللّه سبحانه إنما هو فی حفظ مصلحه الإسلام العلیا، و کرامه المسلمین، و حریتهم فی الدعوه إلی اللّه سبحانه بأمن و دعه و إطمئنان.

و حین یکون الداعی للصلح الذی فیه رضا اللّه سبحانه، هو العدو فان معنی ذلک هو أن العدو قد اعترف بک، و بموقعک، و اصبح علی إستعداد لأن یقبل شروطک العادله، و معنی ذلک هو أنک تکون قد سجلت نصرا من أقرب طریق و أیسره.

و أما إذا دعاک هذا العدو إلی صلح ظالم و فیه ذل للمسلمین، و وهن علی الإسلام، فإن من الطبیعی أن ترفض صلحا کهذا لأنه تسجیل إنتصار للعدو من أسهل طریق ..

و ثمه شرط آخر:

و ثمه شرط آخر، لابد من توفره فی أی عهد، و ذلک من أجل أن یحتفظ بقیمته، و بفعالیته، فی حسم الصراع، ثم من أجل أن لا یوجب عقد العهد ضعفا فی موقف المسلمین، و فتح باب التشکیک فی حقهم، أو إعطاء فرصه المناوره للباطل.۱.

۱- النحل: ۹۱.

و هـذا الشـرط لابـد للجـانب المحق من الاهتمـام به، و العمل على توفيره بصوره أجلى و أتم، و هو أن (لا تعقـد عقـدا تجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقه).

أى أنه لا بـد أن لا يكون فى العهـد إبهامات يمكن التشبث بها من قبل العـدو، كما أنه لا بد أن يكون نفس العهد هو المعيار و المرجع و الفيصل فى الأمور، فلا يعتمد على مواعيد أو لحن قول، فان ذلك يوجب و هنا فى العهد نفسه، و فيه فتح باب النقض، و الخيانه، من دون أن يكون ثمه حرج ظاهر فى ذلك ..

و ذلك يعتمد على نباهه و دقه ذلك الذى يتصدى لعقد العهد، و هو يتحمل مسؤليه أى تقصير فى هذا المجال.

العهود لا تنقض، و هى ملزمه للجميع:

۱- و نجـد فى نص المعاهـده التى كتبهـا على أمير المؤمنين (عليه السـلام) فيمـا بين ربيعه، و اليمن، ما يـدلّ على أن العهـد ملزم لكل الآخرين الذين ينتمى إليهم المباشرون لعقد العهد .. و ذلك يقطع أى عذر، و يمنع من أى تعلل، أو محاوله خداع.

و هـذا مطلب عادل، و سـليم، فان كل الأمور التى تمسّ حياه المجتمعات، لا يمكن أن يعتمـد فيها مبدأ موافقه كل فرد منها و لا سيما مع اختلاف المصالح، و تشـتت الآراء، و تباين الأهواء، حسبما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) فى الفقره المنقوله عنه فى عهده للأشتر النخعى (رحمه اللّه) ..

۲- إن عتب العاتبين، و غضب الغاضبين، لا يجوز أن يجعل ذريعه لنقض العهد، ما دام أن إرضاء كل أحد غير ممكن، و لا سيما فى الأمور المرتبطه بمستقبل الجماعات، و علاقاتها و مواقفها، حتى و لو كان العاتبون

و الغاضبون فريقا ثالثا، يريد أن يحصل على مكاسب سياسيه أو غيرها، و يكون له دور ما فى التحرك السياسى، أو تأثير- إيجابى أو سلبى- على ساحه الصراع.

فإذا كان القانون العام هو عدم نقض العهد بسبب ذلك، فلا بد أن تنقطع أطماع الطامعين، ما دام أن عتبهم و غضبهم، لن يجدى نفعا، و لن يؤثر شيئا.

۳- إن العهد لا ينقض لأجل استذلال قوم قوما، و لا لمسبه قوم قوما؛ فان تعرض فريق للاستذلال من قبل فريق آخر، بسبب عقده للعهد، و كذا اتخاذ عقد العهد من قوم وسيله لتعييرهم و مسبتهم، لا يبرر للعاقدين له نقض عهدهم ..

و إذن .. فإن من يقدم على عهد، لا بد و أن يعلم مسبقا: أنه لا بد له من الوفاء بما عقده، حتى فى أشق الأحوال، و أصعبها، فهو إذن عالم بما يفعل، و مطلع على نتائجه مسبقا، و قد أقدم مختارا على ذلك .. فعليه أن يتحمل نتائج ما أقدم عليه ..

و قد أشار على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذلك كله فى العهد الذى كتبه بين اليمن و ربيعه، فقد جاء فيه:

(.. لا يـ نقضون عهدهم لمعتبه عاتب، و لا لغضب غاضب، و لا لإستذلال قوم قوما و لا لمسبه قوم قوما على ذلك شاهدهم و غائبهم، و سفيههم و عالمهم، و حليمهم و جاهلهم، ثم إن عليهم عهد اللّه إلخ ..) (۱).۴

۱- نهج البلاغه ج ۳ ص ۱۴۸ الرساله رقم ۷۴.

إحترام أموال المعاهدين:

و حين يكون المعاهـدون يتمتعون بحمـايه دوله الإسـلام، فـان أموالهم- كأموال المسـلمين- لا تمس، بل تبقى لهم، و يمارسون حريتهم التجاريه بصوره تامه ..

قال على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى كتاب له إلى عمال الخراج:

(و لا تمسّن مال أحد من الناس، مصل، أو معاهد، إلا أن تجدوا فرسا، أو سلاحا إلخ) (۱).

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون:

و قد كتب على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عماله:

(و اعزز المسلمين، و لا تظلم المعاهدين) (۲). و كتب أيضا إلى عامل آخر له، يقول:

(أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شـكوا منك غلظه و قسوه، و إحتقارا و جفوه، و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشده، و داول لهم بين القسوه و الرأفه، و أمزج لهم بين التقريب و الإدناء و الإبعاد و الإقصاء (۳).۳.

۱- نهج البلاغه بشرح عبده ج ۳ ص ۹۰ الرساله رقم ۵۱.

۲- تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰۰- ۲۰۱.

۳- نهج البلاغه ج ۳ ص ۲۱ الرساله رقم ۱۹، و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۶۱ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰۳.

من نتائج الصلح و العهد:

و عن نتائج الصلح و العهد، فهی:

۱- دعه الجنود.

۲- الراحه من الهموم.

۳- الأمن لبلاد المسلمین.

و ذلک معناه: أنک أصبحت قادرا علی التخطیط للمستقبل لأنک قد ارتحت من همومک، و أصبحت قادرا أیضا علی تنفیذ خططک، لأنک تملک الوقت الکافی، و الطاقات الفاعله، المهیأه للعمل الجاد و الدائب، دونما مانع أو رادع ..

کما أن هذا السلم و الأمن لسوف یجنب بلادک التعرض للأزمات الإقتصادیه الحاده، و یحفظ مرافقها الإقتصادیه و الحیویه من التدمیر، أو التعطیل، أو صرفها فی مواجهه متطلبات الحرب.

هذا، عدا عن حفظ القوی الفاعله و المؤمنه من أن تتعرض للتدمیر، أو للتشویه، ثم ما ینشأ عن ذلک من آثار إجتماعیه لا تجهل.

و یجب أن لا ننسی أن حاله عدم الإستقرار، بل و الخوف و عدم الأمن فی أحیان کثیره، من شأنها أن تشل حرکه المجتمع فی المجالات المختلفه، و تمنعه من أن یقوم بدوره علی النحو المطلوب و المؤثر.

ثم هناک الحاله الفکریه و النفسیه و کثیر من السلبیات الأخری، التی تنشأ عن ظروف الحرب، و تتفاعل بصوره تصاعدیه فی کثیر من المجالات، و القطاعات ..

و کل ذلک یمثل هموما حقیقیه لأی حاکم یشعر بمسؤولیاته الإلهیه، و الإنسانیه تجاه مجتمعه و أمته.

العهد .. و الحذر:

و إذا كان عقـد العهـد مع العدو لا يعنى أن العدو قد تنازل عن كل طموحاته، و صـرف النظر عن كل مراداته و خططه، فإنه ربما يكون قد قارب ليجد الفرصه للوثوب، و ايراد الضربه القاصمه ..

فقـد جاء النهى عن الإطمئنان لهـذا العـدو، حيث قد تقدم قول أمير المؤمنين (عليه السـلام) فى عهده للأشتر: (و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فان العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم و اتهم فى ذلك حسن الظن).

و قال تعالى: وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ (١).

الخيانه فى حجمها الكبير:

و بما أن اللّه سـبحانه قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حريما يسـكنون إلى منعته، و يسـتفيضون إلى جواره، فـان الشـرط الأساس فيه هو أنه لا إدغال. و لا مـدالسه و لا خـداع فيه؛ فإذا رأى أن العـدو لا يعمل بشـروط الصـلح و مقتضـيات العهـد، و إنما هو يتآمر، و يعـد العـده للغدر، فان نفس هذه الأعمال تكون نقضا منه للعهد، و تخليا عن شـروطه، فلا معنى حينئذ للالتزام بهذا العهد، من طرف واحد، و إنما لا بد من نبذ العهد إليه و معاملته معامله الخائن المجرم قال تعالى:

وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَهً، فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (٢).

و عن على (عليه السلام): الوفاء لأهل الغدر غدر عند اللّه، و الغدر٨.

١- التوبه: ٧

٢- الأنفال: ٥٨.

بأهل الغدر وفاء عند اللّه (۱).

و بالنسبه إلى بنى النضير، فإنهم قد مارسوا الخيانه فى أبشع صورها و أفظعها، حين تآمروا على القياده الإسلاميه و الإلهيه، فردّ اللّه كيدهم إلى نحورهم، و حفظ اللّه نبيه، و أعز دينه، و أدال المسلمين من أعدائهم، من أسهل الطرق، و أيسر السبل.

الوفاء بالعهد ضروره حياتيه:

و نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أوجب على واليه الوفاء بالعهد. بل هو قد طلب منه أن يجعل نفسه جنه دون ما أعطاه.

و قد علل ذلك بأنه من الأمور التى اتفقت عليها جميع الناس، رغم تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم، و ذلك إنطلاقا من إحساسهم بضروره ذلك، حين رأوا: عواقب الغدر الوخيمه، التى من شأنها أن تدمر حياتهم، و تقضى على كل نبضات الراحه و الإستقرار فيها.

و لكنهم قد خالفوا ضميرهم و وجدانهم، و كل المعايير الأخلاقيه، و العقليه فى تعاملهم مع المسلمين، حيث أجازوا لأنفسهم نقض عهودهم معهم، و تحمّل كل ما لذلك من تبعات و نتائج .. و ذلك يدلل على عدم إنسجامهم مع قناعاتهم و لا مع فطرتهم فى مواقفهم تجاه الإسلام و المسلمين ..

و قد اعتبر (عليه السلام): من يخيس بعهده، و يغدر بذمته، و يختل۶.

۱- نهج البلاغه ج ۳ ص ۲۱۰ الحكمه رقم ۲۵۹ و غرر الحكم ج ۱ ص ۶۰ و روض الأخيار ص ۱۱۱ و ربيع الأبرار ج ۳ ص ۳۷۵ و مستدرک الوسائل ج ۲ ص ۲۴۹. و غرر الخصائص الواضحه ص ۵۹ و مصادر نهج البلاغه ج ۴ ص ۴ و ص ۴۰۱ عن بعض من تقدم و عن شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۲۱۶.

عـدوه، و یجتری علی اللّه جاهلاـ لاـ یعرف الأـمور و مواردهـا، و لا الصالـح من الطالـح، و هو شـقی أیضا، لأنه بالإضافه إلی أنه یکون متجرئا علی اللّه سبحانه فی ذلک، فإنه یکون قد جرّ علی نفسه الکثیر من المصائب و البلایا نتیجه لسیاساته الخاطئه هذه.

و خلاصه الأمر: إن العهـد فی الإسـلام لیس وسـیله للمکر و الخـداع بهدف الإیقاع بالعدو، و إنما هو أمانه ضـمیریه، ذات قاعده إیمانیه أساسیه؛ فلابد من رعایتها و الوفاء بها و لا یسوغ نقض العهد (بغیر حق) حتی و لو کان فیه ما یوجب الضیق کما تقدم فی عهد علی (علیه السلام) للأشتر، و روی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قوله:

(لا دین لمن لا عهد له) (۱).

و قد مدح اللّه من یفی بعهده فقال: وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا (۲).

و قد ذم علی (علیه السلام) عمرو بن العاص فقال: (و یسأل فیبخل، و یخون العهد) (۳).

و قد ذم (علیه السلام) أهل البصره بقوله: (و عهدکم شقاق) (۴).

و قال (علیه السلام): (و قد ترون عهود اللّه منقوضه فلا تغضبون و انتم لنقض ذمم آبائکم تأنفون) (۵).۴.

۱- السنن الکبری ج ۹ ص ۲۳۱ و غرر الخصائص الواضحه ص ۶۰.
۲- البقره: ۱۷۷.
۳- نهج البلاغه ج ۱ ص ۱۴۵ الخطبه رقم ۸۰.
۴- النهج الخطبه رقم ۱۲ ج ۱ ص ۴۰ و الأخبار الطوال ص ۱۵۱ و ربیع الأبرار ج ۱ ص ۳۰۸.
۵- النهج الخطبه رقم ۱۰۲ ج ۱ ص ۲۰۴.

الغدر عجز، و عدم ورع:

و قـد قال على (عليه السـلام): (إن الوفاء توأم الصدق، و لا أعلم جنه أوقى منه، و لا يغدر من علم كيف المرجع. و لقد أصـبحنا فى زمان قـد إتخـذ أكثر أهله الغـدر كيسا، و نسـبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم؟ قاتلهم اللّه، قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيله، و دونه مانع من أمر اللّه و نهيه؛ فيدعها رأى عين بعد القدره عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدين) (۱).

الغادر هو الذى يعاقب:

و طبيعى أن ينـال العقـاب خصوص اولئـك الـذين ينقضون العهـد، و يخونون أماناتهم، و قـد أوضـح ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما قال:

(مع أنى عارف لذى الطاعه منكم فضله، و لذى النصيحه حقه، غير متجاوز متهما إلى برى ء، و لا ناكثا إلى وفى) (۲).

السلاح فى أيدى المعاهدين:

كمـا أن من الطـبيعى: أن يحتـاط الحـاكم الإسـلامى، فلاـ يترك فى أيـدى المعاهـدين، الـذين يعيشون فى ظـل حكمه، و تحت حمـايته، من السـلاح و التجهيزات مـا يشـكل خطرا على أمن الـدوله، مع التأكيـد على إحـترام كـل مـا يعـود إليهم من أمـوال و ممتلكات، و عدم المساس بها فى أى حال، قال على أمير المؤمنين (عليه السلام):۹.

۱- نهج البلاغه بشرح عبده ج ۱ ص ۱۸۸ الخطبه رقم ۴۰.

۲- نهج البلاغه، بشرح عبده ج ۳ ص ۴۱ الرساله رقم ۲۹.

(.. و لاـ تمسّن مال أحد من الناس، مصل و لا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام؛ فإنه لا ينبغى للمسلم أن يدع ذلك فى أيدى أعداء الإسلام؛ فيكون شوكه عليه الخ ..) (۱).

موقف له دلالاته:

و من المعلوم أن مواقف على أمير المؤمنين تعتبر التجسيد الدقيق و الحى لمفاهيم الإسلام، و أحكامه، و سياساته، و التاريخ يحدثنا: أنه حين بلغه (عليه السلام) إغاره خيل معاويه على بلاد المسلمين، خطب (عليه السلام) خطبه الجهاد المعروفه، و قد جاء فيها:

(هذا أخو غامد، و قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكرى، و أزال خيلكم عن مسالحها. و لقد بلغنى: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمه، و الأخرى المعاهده، فينتزع حجلها، و قلبها، و قلائدها، و رعاثها (۲) ما تمنع منه إلا بالإسترجاع و الإسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلا منهم كلم، و لا أريق لهم دم؛ فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا) (۳).

و نحن نسجل هنا ما يلى:

۱- إن هذا الموقف منه (عليه السلام) يوضح لنا قيمه الإنسان فى الإسلام. و اهتمامه البالغ فى الحفاظ على موقعه، و على كرامته و وجوده،۲.

۱- نهج البلاغه ج ۳ ص ۹۰ الرساله رقم ۵۱.

۲- الرعاث: جمع رعثه، القرط و الحجل: الخلخال. و القلب: السوار.

۳- نهج البلاغه، بشرح عبده ج ۱ ص ۶۴- ۶۵ خطبه رقم ۲۶ و الأخبار الطوال ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و الغارات ج ۲ ص ۴۷۵ و ۴۷۶ و المبرد فى الكامل ج ۱ ص ۲۰ و العقد الفريد ج ۴ ص ۷۰ و معانى الأخبار ص ۳۱۰ و أنساب الأشراف ط الأعلمى ج ۲ ص ۴۴۲.

حتی إن الرجل الأول فی الدوله الإسلامیه لیعانی من الألم و الأسی بسبب الإعتداء علی کرامه الإنسان ما یجعل الموت أسفا علی ما جری أمرا مقبولا، بل یجعله هو الجدیر و اللائق به. ثم هو (علیه السلام) یقرر: أن هذا الحدث لا بد أن یؤثر بهذا المستوی أیضا فی کل إنسان مسلم، من کان و مهما کان.

۲- إنه یعطی: أن أمیر المؤمنین (علیه السلام)- و هو الذی یمثل نظره الإسلام الأصیله- ینظر بعین المساواه إلی کل من هم تحت سلطته، أو تحت حمایته، فهو یتألم للمرأه کما یتألم للرجل، و هو یتألم کذلک للمعاهده و التی هی علی غیر دینه، بنفس المستوی الذی یتألم فیه للمسلمه، و هو یطلب موقفا حازما تجاه الإعتداء علی کرامتهما معا من کل مسلم، بنفس القوه و الفعالیه و التأثیر فی رفع الظلامه و اعاده الحق إلی نصابه.

۳- إنه (علیه السلام) قد حاول إثاره الناس و تحریکهم بأسلوب عاطفی یلامس مشاعرهم و أحاسیسهم؛ فتحدث عن سلب المغیرین حلی النساء المسلمات و المعاهدات، و فی ذلک إثاره عاطفیه، و تحریک لا شعوری للناس، الذین سوف یسوؤهم الإعتداء علی هذا الموجود الذی یمثل جانب الرقه، و الحنان فی المجتمع.

۴- إنه (علیه السلام) إنما توقع من المرء (المسلم) أن یموت أسفا، و اعتبره جدیرا بذلک، و حریا به ..

و لعل هذا الأمر یشیر إلی أن الإسلام هو ذلک الدین الذی یغرس فی الإنسان معانی إنسانیته، و یربیه تربیه إلهیه یحیا بها وجدانه، و تتنامی فیها خصائصه و مزایاه الإنسانیه، فیصبح حی الشعور، صافی النفس، سلیم الفکر، إلهیّ المزایا ..

۵- کما و نجده صلوات اللّه و سلامه علیه .. قد أهدر دماء

المعتـدين، و اعتبر أن أدنى جزاء لهم هو أن ينـالهم كلم و جرح، و تهرق دمـاؤهم. رغم أن ما ارتكز عليه بيانه، و جعله منطلقا له فى تقريره هذا الجزاء القاسى هو أمر لا يزيد على سلب الحجل و القلب و الرعاث من إمرأه مسلمه و أخرى معاهده ..

و ذلـك لأـن الميزان فى العقـاب إنمـا هو درجه الجرأه على اللّه و على المحرمـات، ثم مـا ينشـأ عن ذلك من فساد و إفساد، فى البلاد و العباد ..

۶- إنه (عليه السـلام) إنما ركّز على الجانب الإنسانى؛ فحاول أن يؤكد للناس لزوم نصـره الضعيف، و الدفاع عنه و الحفاظ عليه، و أن ذلـك هو مسؤوليه كـل فرد قـادر بالنسبه إليه .. و قـد أثـار إنتباه الناس إلى جانب الضـعف هـذا حين قال: (ما تمنع منه إلا بالإسترجاع و الإسترحام) ..

و ليكن من ثم مبدأ نصره الضعيف و الدفاع عنه من الأوليات التى يفرضها الوجدان الحى، و الضمير الإنسانى ..

۷- ثم هناك الجانب التربوى، الـذى يسـتهدف تركيز مفهوم العـداله فى التعامل، فلا يفرق بين مسـلم و معاهـد، ثم مفهوم عـدم التغاضى عن المعتدين و المجرمين، و عدم التواكل فى رد العدوان. إلى غير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا.

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن:

اشاره

و بعـد فإننـا حين نقرأ التاريـخ، فمـا يلفت نظرنـا هـو تكرّر الغـدر من اليهـود، و اسـتمرارهم فى نقض العهود و المواثيق، مره بعد أخرى، كما كان الحال بالنسبه لبنى قينقاع، و بنى النضير، و بنى قريظه.

و نجد فى مقابل ذلك إلتزاما تاما من قبل النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالعهود و المواثيق المعقوده.

و نحن نشير هنا إلى الأمور الثلاثه التاليه:

الأول:

بالنسبه لعدم التزام اليهود فى عهودهم نقول:

إن ذلک طبیعی بالنسبه إلى قوم يزنون الأمور بموازين الربح و الخساره فى الدنيا؛ فإن من كان كذلک، لا یلتزم بالصدق- مثلا- لأجل أن له قيمه أخلاقيه أو إنسانيه، أو لأن فيه رضا اللّه سبحانه و تعالى و إنما یلتزم به لأنه يجلب له نفعا دنيويا ملموسا، أو يدفع عنه ضررا كذلک .. و بدون ذلک؛ فإنه لا یجد مبررا و لا دافعا للالتزام به، بل هو حين یلتزم بصدق لا يشعر بنفعه الدنيوى يجد نفسه متناقضا مع مبدئه، و مع منطلقاته فى التفكير و فى العمل، التى رضيها لنفسه.

و كذلک الحال بالنسبه لسائر الكمالات و الفضائل الإنسانيه، و بالنسبه لكل الإلتزامات، و العهود، و المواثيق، التى يفرضها عليه واقع دنيوى معين؛ فانه إذا تجاوز ذلک الواقع، فسوف لا يجد ما يبرر التزامه بذلک الكمال، و تلک الفضيله، أو وفاءه بهذا العهد و الميثاق، أو ذاک. بل كل المبررات متضافره لديه، و كل القناعات حاكمه عليه بلزوم نقضها، و النكث بها، و الإلتزام بضدها.

الثانى:

بالنسبه لإلتزام النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين بعهودهم و مواثيقهم، فقد اتضح: أنهم لا بد أن يكونوا فيها على العكس من اليهود تماما، إذ قد أصبح من البديهى: أن العهد، و الميثاق و كل شى ء آخر يفرضه عليهم الشرع، و العقل، و الإنسانيه، إنما يمثل لهم قيمه أخلاقيه و إنسانيه، و حدّا شرعيا، لا بد لهم من الالتزام به، و الوقوف عنده، إن ذلک يمثل جزءا من وجودهم، و من شخصيتهم، و إن الإخلال به سوف يوقعهم فى تناقض مع أنفسهم بالدرجه الأولى، و لسوف يجعلهم وجها لوجه مع

أحكام العقل، و مقتضيات الفطره.

الثالث:

أما بالنسبه لموقف المسلمين الصارم و الحازم من ناقضى العهود و المواثيق، فإن ذلك هو ما تفرضه عليهم المسؤوليات الإنسانيه و الإسلاميه أيضا، بعد أن رضى أولئك المعتدون و الناقضون للعهود بتحمّل نتائج عملهم، و أصبحوا و باء يريد أن يغتال فرص الخير من بين ايدى أهلها، و أحق الناس بها .. و ذلك لأن نقض العهود معناه إستخدام مناشى ء القوه فى سبيل ضرب مواقع الخير، و مناشئه، و تكريس الإمتيازات لجهه الشر، و الإنحراف، الذى لا بد و أن تنال سلبياته، و يمتد و باؤه الى كل مواقع الخير، و السلامه و يقضى عليها ..

فتصبح الحركه لضرب الشر فى مواقعه و مناشئه حاله طبيعيه يمارسها الإنسان المسلم، و مسؤوليه إلهيه و إنسانيه، و عقليه، و فطريه، يفرضها واقع الحياه، و حق الدفاع عن الوجود، و عن الإنسانيه و الفطره.

الجرأه و مبرراتها:

و بعد كل ما تقدم، فان السؤال الذى ربما يراود ذهن البعض هو:

انه قد تقدم: ان اليهود، و كل من لا يؤمن بالآخره، و كذلك كل من يرى:

ان الدنيا هى كلّ شى ء بالنسبه إليه .. لا يمكنهم ان يقدموا على الموت و على التضحيه بالنفس إلا فى حالات نادره، تتدخل فيها عناصر من شأنها أن تلقى و لو فى فترات قصيره و خاطفه تأثيرات تلك الرؤيه، و ذلك الفهم الخاطى ء، لموضوع المعاد و الجزاء، و للآخره، و انعكاسات ذلك الفكر، أو حيث لا يكون ثمه لهم خيار آخر يمكنهم اللجوء اليه، و الاعتماد عليه.

و معنى ذلك هو: أن اليهود، و كذلك المشركون، سوف لا يكونون

قادرین علی اتخاذ قرار الحرب، و هم یرون أنها سوف تحرق الاخضر و الیابس؛ فکیف یمکن فهم غدرهم بعهودهم، و نقضهم لمواثیقهم، ثم سعیهم لإثاره الحروب مع الآخرین، ثم تحالفهم مع المشرکین و المنافقین لحرب المسلمین؟! ألیس الأنسب بطریقتهم فی التفکیر، و الأحری و الأجدر بهم، فی ظل مادیتهم، و عدم إیمان الکثیرین منهم بالآخره، أن یعیشوا بسلام مع المسلمین، و مع غیرهم، و أن یبتعدوا بأنفسهم عن کل ما یثیر، و یوجب تأزما فی العلاقات، مع أی طرف کان؟!

و الجواب:

إن ذلک صحیح فی حد نفسه لو لا أن الیهود کانوا واقعین تحت تأثیر التصورات و الأمور التالیه:

۱- إنهم یرون: أن الخطر الذی یتهددهم من جهه المسلمین، أعظم و أشد، و هو حتمیّ بالنسبه إلیهم .. أما الخطر الآتی من قبل نکث العهود، و ما ینشأ عنه من حروب، و مشاکل، فلیس- بنظرهم بهذه الدرجه من الحتمیه، و لا هو بهذا المستوی من الخطوره، فقد کانت الحرب نفسها تخضع لإحتمالات إیجابیه بالنسبه إلیهم.

سواء علی مستوی القرار لدیهم، لاحتمال مساعده المشرکین و المنافقین لهم. أو علی مستوی القرار لدی الفریق الآخر، و هم المسلمون- و لا سیما بملاحظه وجود المنافقین فیهم- حیث یرون أن الوضع العام للمسلمین لا یسمح لهم باتخاذ قرار الحرب، الأمر الذی یجعل ارتکاب أخطار الحرب أهون علیهم، و أقرب إلی احتمالات السلامه لهم.

أو علی مستوی النتائج، و الآثار، بالنسبه لکلا الفریقین علی حد سواء.

۲- إن المسلمین، و إن کانوا قد أثبتوا- و لا سیما فی حرب بدر-

أنهم مقاتلون من الدرجه الأولى، و أنهم لا يهمهم شی ء سوى رضا اللّه سبحانه ..

فإن هذا الامتياز يمكن أن يصبح غير ذى أهميه، حينما يكون ثمه حصون، قادره على جعل كل هذه الكفا آت بدون أثر و لا جدوى، و هو ما أشار إليه سبحانه بقوله: وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ (١).

و من الواضح: أن المسلمين لم يثبتوا بعد: أن لديهم قدرات، و كفاءات لمواجهه حصون اليهود، أو غيرهم.

٣- إن اليهود يعتقدون: أنهم أبناء اللّه و أحباؤه، و أنهم شعب اللّه المختار، و معنى ذلك هو أن دعوه محمد (صلى اللّه عليه و آله) سوف تصبح خطرا أكيدا على امتيازهم هذا الذى يرون فيه مبرر وجودهم، و رمز كل عزتهم، و خلاصه مجدهم.

فكانوا يجدون أنفسهم ملزمين بإضعاف أمر هذه الدعوه، و إسقاطها، بقدر ما هم مكلفون بالحفاظ على حياتهم و وجودهم، و كل خصائصهم.

و هم معنيّون أكثر من أى فريق آخر بذلك؛ لأن خسارتهم هذه الورقه، و فقدانهم هذا الأمر إنما يعنى خسارتهم لكل شی ء.

و ما ذلك إلا لأنهم يزنون الأمور بميزان مادى تحت من جهه ..

و لأن الحاله الشعوريه الإنفعاليه قد أصبحت هى المهيمنه على كل تفكيرهم، و على كل تصوراتهم، و هى التى تحركهم فى هذا الإتجاه تاره، و فى ذاك الإتجاه أخرى.٢.

١- الحشر: ٢.

التصویر الحاقد، و التزویر الرخیص:

و یحاول البعض أن یقول: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد ذهب إلی بنی النضیر، لیطلب منهم مساعده لدفع دیه العامریین، و لما کانت النضیر حلیفه عامر؛ فلا شک أن تعقیدات نتجت عن ذلک، و إن کانت المصادر لا تتحدث عنها.

و لربما فکر محمد بأن علی الیهود أن یدفعوا أکثر مما یدفعه متوسط سکان المدینه، فراق للیهود أن یدفعوا أقل (۱).

و نقول:

إن ملاحظه العبارات الآنفه الذکر تعطینا: أن الهدف هو الإیحاء بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان یطلب من بنی النضیر، دفع شی ء لم یکونوا ملزمین بدفعه.

و أنه قد أحرجهم بطلبه ذاک، للحلف الذی کان بینهم و بین بنی عامر.

و إذن فبنوا النضیر یصبحون ضحیه أطماع مالیه لا مبرر لها، و لا یصح مطالبتهم بها، لا واقعا، و لا أخلاقیا ..

کما أن إحراجهم بسبب الحلف المشار إلیه، یصبح عملا لا إنسانیا و لا أخلاقیا.

فکیف إذا کانت المساومه فیما بین المستجدی، و الضحیه، قد بلغت حدا نتجت عنه تعقیدات نزل الوحی الشیطانی بها علی هؤلاء رغم أن المصادر لم تتحدث عنها؟!.

و فوق ذلک، فقد بلغ الصلف، و الظلم، و الإبتزاز حدا من الدناءه و السوء جعل محمدا- و العیاذ باللّه- یفکر فی أن یحمّلهم القسط الأکبر فی۲.

۱- محمد فی المدینه ص ۳۲۲.

دیه رجلین لم یکن لهم فی قتلهما ید، لا من قریب، و لا من بعید، و ینزل الوحی الشیطانی أیضا علی هؤلاء لیقول لهم: إن محمدا قد فکر فی ذلک، لکن راق للیهود أن یدفعوا أقل ..

و لکن الیهود المظلومین (!!) الذین وقعوا فی فخ الأطماع الرخیصه (!!) عادوا فاستسلموا لهذا الظلم المقیت (!!) و أعلنوا أنهم علی استعداد لأعطاء جواب مرض.

ثم تعاملوا مع هذا الذی یرید أن یبتزهم بأخلاقیه عالیه و نبیله، حین طلبوا منه أن یستریح، بینما کانوا یعدون له الطعام ..

مزید من التجنی:

ثم یتابع هذا الحاقد کلامه عن ذکر إرسال النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلیهم یأمرهم بمغادره المدینه، تحت طائله الموت فی مده عشره أیام، علی أن یبقی نخلهم لهم؛ و یحتفظوا بنصف المحصول، فیقول:

(إن هذا الإنذار لا یتناسب مع الإهانه، أو الإدعاءات الغامضه، بصدد خیانه مقصوده ..

و مع ذلک یمکن لهذه الادعاءات: أن لا تبدو غامضه لرجل غربی فی أیامنا هذه؛ فقد کان الفریقان یعلمان کیف عامل بعض المسلمین کعب بن الأشرف. و کان محمد یعلم جیدا- حسب الآراء السائده فی الجزیره العربیه انذاک- أنه إذا سنحت الفرصه المناسبه انتهزها أعداؤه، و قتلوه. و کان التأخیر فی إعطاء الجواب لإتاحه الفرصه لقتله، و لهذا اعتبر عملا عدائیا ..) (۱).

و نقول:۳.

۱- محمد فی المدینه ص ۳۲۲ ۳۲۳.

إننا لم نفهم السبب فی وضوح هذه الإدعاءات، و خروجها عن الغموض لخصوص الرجل الغربی فی أیامنا هذه (!!).

كما أن هذا الباحث (!!) لم يقل لنا: ما هو حجم الإنذار الذی يتناسب مع الإهانه و الخيانه، إذا كان إنذاره (صلى اللّه عليه و آله) لا يتناسب معهما (!!).

فهل يقصد هذا الباحث (!!) أن المفروض هو أن يكون قتل بنی النضير هو الجزاء العادل لخيانتهم، و تآمرهم، و نقضهم للعهد؟

أم أنه يقصد: أن طلب الجلاء منهم مع إحتفاظهم بنخلهم، و يكون لهم نصف المحصول، كان جزاء ظالما، لا يصح طلبه من الخائن المتآمر، الناقض للعهود، و المواثيق؟! ..

و بعد .. فان هذا الباحث (!!) يريد أن يوحی لقرّائه بأن كعب بن الأشرف قد قتل مظلوما أيضا، و أن المسلمين قد عاملوه بقسوه لا يستحقها.

و لا ندری إن كان قبل أن يظهر تعاطفه مع هذا الرجل قد اطلع على سلسله خيانات ابن الأشرف، و مواقفه الظالمه، و سعيه الحثيث للايقاع بالمسلمين، أم لم يطّلع على شی ء من ذلک ..

و هل يستطيع: أی نظام حكم غربی- يدعی لنفسه الحضاره و الرقی- فی هذا العصر، أن يحكم على أمثال كعب بن الأشرف و يجازيه بأقل مما حكم عليه به المسلمون، و جازوه به؟! ..

و بعد كل ما تقدم، لماذا اعتبر هذا الباحث: أن ما يذكره النبی (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمون عن خيانات بنی النضير، و تآمرهم، و نقضهم العهد مجرد إدعاءات غامضه؟! و ها نحن نراها واضحه وضوح الشمس، و تقدم تفصيلات وافيه، مستندها الوحی الإلهی عن خطط

الیهود، و مواقفهم. و لم یستطع الیهود: أن یدفعوا التهمه عن أنفسهم، و لا حاولوا ذلک و لو مره واحده ..

هذا کله، عدا عما تقدم من أن أخبار المؤامره و الخیانه قد وصلت إلی المسلمین أیضا عن طریق بعض الیهود أنفسهم (۱).

و نکتفی بهذا القدر من الأسئله، التی لن تجد لها لدی هؤلاء الحاقدین جوابا مقنعا و مفیدا ..

فإنما هی:

(شنشنه أعرفها من أخزم).).

۱- تقدم ذلک مع مصادره حین الکلام عن إخبار المرأه أخاها المسلم عن تآمر الیهود علی حیاه النبی (صلی اللّه علیه و آله).

الفصل الثالث: القرار و الحصار

اشاره

القرار الحكيم:

لقـد كان من المتوقع- بعد نقض بنى النضـير للعهد، و خيانتهم الظاهره- أن يكون قرار النبى (صـلى اللّه عليه و آله) هو حربهم و قتالهم، و إباده خضـرائهم؛ فإن ذلك هو الجزاء العادل لكل خائن و غادر، و لا سيما إذا كان يخطط و يتآمر، ثم يعمل على تنفيذ خططه بضرب الإسلام فى الصميم، على مستوى ضرب مقام النبوه و القياده فى أعلى مستوياتها، و أخلص تجلياتها.

و لكن الملاحظ هو أن الرسول الأعظم (صـلى اللّه عليه و آله) قد آثر أن يعامل بنى النضـير- كما عامل بنى قينقاع قبلهم- بمزيد من الرفق و التسامح، و لعل ذلك يرجع إلى الأمور التاليه:

۱- إن هؤلاء القوم قـد عاشوا دهرا فى هـذه المنطقه، و أصـبحت لـديهم الكثير من العلاقات الإقتصاديه و التجاريه، و غيرها، إلى جانب علاقات الصداقه و المحبه مع سائر أهل البلاد الذين قبل كثير منهم الإسلام دينا و هداهم اللّه للايمان ..

و إذن .. فقد يعز على الكثيرين ممن لهم معهم علاقات كهذه أن يروهم و قد حاقت بهم المصائب و البلايا، و اختطفت الكثيرين منهم أيدى المنايا، فيعتبرون أنهم قد عوملوا بقسوه بالغه، و بلا شـفقه و لا رحمه، و قد كان يمكن أن يكون الموقف أكثر مرونه و انعطافا و ملاءمه من ذلك.

۲- إن الكثيرين من الناس كانوا مبهورين بأهل الكتاب و اليهود بالـذات، و ينظرون إليهم على أنهم مصـدر العلوم و المعارف، و عندهم الكثير من الخفايا و الأسرار .. و على هذا فقد يفسر ضربهم بقسوه على أنه ناشى ء عن حاله من التخوف منهم، أو الحسد و البغى عليهم. و إذا كـان كـذلك فلا حرج من أن يتخيلهم المتخيلون شـهداء و أبطالا لا بـد من التأسف عليهم، بل و الحنين إليهم ..

۳- و مـن جهـه أخرى، فـإن رؤيه ذلّهم و صـغارهم، ثم مراقبه مـا يصـدر منهم خلال ذلـك من مواقـف مـاكره و عـادره، و من مخالفات صريحه للأعراف، و لأحكام العقل و الفطره، و الضمير، لسوف يساهم فى كشف زيفهم و خداعهم و غشهم للإسلام و للمسلمين.

كما أن رؤيه الكرامات الإلهيه الظاهره، و التأييدات الربانيه الخفيه منه تعالى لنبيه و للمسلمين، و نصره تعالى عليهم لسوف يرسخ حقانيه موقف الإسلام، و نبى الإسلام منهم.

هذا .. مع توفر المزيد من الفرص للإنسان المسـلم الواعى للتأمل و التدبر فى ذلك كله، بعيدا عن الإنفعالات و التشـنجات، و فى منأى عن أعمال التضليل و التزوير، التى ربما يمارسها الكثيرون من المنافقين، و باقى اليهود الذى يتعاطفون معهم.

و من هنـا .. فقـد جاء قرار إجلائهم عن المـدينه ليكون القرار الحكيم و الصائب، و ليكون هو الأوفق و الأنسب و الأقرب لتحقيق الأهداف الإلهيه الساميه و الكبرى.

و قد أبلغهم النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) بقراره هذا، عن طريق رسول أرسله إليهم، ليرى ماذا يكون جوابهم و يعلم الناس حقيقه موقفهم ..

لماذا كان الرسول أوسيا؟:

إن النص التاريخی يقول: إن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) حين أراد أن ينذر بنی النضير، قال: أدعوا لی محمد بن مسلمه، فحين أتی أرسله إليهم ينذرهم بوجوب مغادرتهم مساكنهم (۱) و لا بد لنا من وقفه هنا، لنعلم السر فی إختياره (صلی اللّه عليه و آله) هذا الرجل بالذات- محمد بن مسلمه- ليكون رسوله إلی يهود بنی النضير، فنقول:

إن الأوس كانوا حلفاء لبنی النضير (۲)، و لربما كان يدور بخلدهم أن يكون للأوس دور إيجابی لصالحهم، و لا أقل من أن يكون لهم موقف فيه شی ء من العطف، و عدم القسوه تجاههم ..

إذا عرفنا ذلك، فإن إختيار رجل الأوس ليحمل رساله النبی (صلی اللّه عليه و آله) إليهم يأمرهم فيها بالجلاء، لسوف يزيد من يأسهم، و يضاعف من تخوفاتهم و هو يمثل ضربه روحيه موفقه ساهمت فی المزيد من إضعاف معنوياتهم، و جعلتهم يراجعون حساباتهم بجديه، ثم يرضخون للأمر الواقع.

و يكفی أن نذكر شاهدا علی ذلك: أنهم حين جاءهم محمد بن مسلمه الأوسی بالخبر، قالوا:۴.

۱- الثقات ج ۱ ص ۲۴۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۲، و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۶۷ و دلائل النبوه لأبی نعيم ص ۴۲۷. و إرسال محمد بن مسلمه إليهم موجود فی مختلف المصادر، فراجع علی سبيل المثال: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۴ و تفسير القمی ج ۲ ص ۳۵۹ و اعلام الوری ص ۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و السيره النبويه لإبن كثير ج ۳ ص ۱۴۷ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و ۱۶۴ و ۱۶۹ عن بعض من تقدم، و عن الكازرونی و غيره. و راجع سائر المصادر التی سلفت و ستأتی.

۲- دلائل النبوه لأبی نعيم ص ۴۲۵ و راجع: مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۶۴.

(يا محمد، ما كنا نظن: أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس.

فقال محمد بن مسلمه: تغيرت القلوب، و محا الإسلام العهود.

فقالوا: نتحمل.

فأرسل إليهم عبد اللّه بن أبى: لا تخرجوا إلخ ..) (۱).

بل فى بعض النصوص: أن محمد بن مسلمه هو الذى تولى إخراجهم من ديارهم (۲).

و قال الواقدى: (كان محمد بن مسلمه الذى ولى قبض الأموال و الحلقه، و كشفهم عنها) (۳).

و واضح: أن ذلك أيضا يضاعف ذلهم و خزيهم، و يزيد من آلامهم، و قد كان يفترض فيهم: أن يأخذوا من ذلك عظه و عبره، و أن يرجعوا حساباتهم، بشأن هذا الرسول و دعوته؛ فقد تبين لهم أن الإسلام قد هيمن على القلوب و غيّرها، و محا الإسلام العهود، و معنى ذلك هو أن ثمه رعايه إلهيه له (صلى اللّه عليه و آله)، و لدينه، و رسالته الظافره، و قد تجاوزت هذه الرعايه كل التوقعات، و قلبت جميع الموازين لديهم، و لدى غيرهم من المشركين، الذين كانوا يعيشون فى المنطقه، و كانوا يتعاملون مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) و مع الدين الذى جاء به من موقع التحدى، و المكابره، و الجحود .. فما كان أحراهم بعد أن عاينوا ما عاينوا من آيات بينات، و من كرامات و معجزات، أن يسلموا و يشهدوا لنبى الإسلام بالرساله و النبوه، و لكنهم لم يفعلوا .. بل جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم۷.

۱- الثقات ج ۱ ص ۲۴۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۶۷.
۲- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.
۳- المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۷.

ظلما و علوا.

حامل اللواء:

و قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام): تقدم إلى بنى النضير، فأخذ أمير المؤمنين الرايه، و تقدم، و جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أحاط بحصنهم (۱).

و حسب نص آخر: و حمل لواء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على بن أبى طالب (۲).

و لكن الواقدى قال: (و قد استعمل عليا (عليه السلام) على العسكر، و قيل: أبا بكر) (۳).

و نقول: لا بد من الإشاره هنا إلى أمرين:

الأول: بالنسبه لاستعمال أبى بكر على العسكر، فإنه قول منسوب إلى مجهول، لم يجرؤ الواقدى على ذكر اسمه، و لا مستنده، و نحن نشك فى كونه مختلقا و موضوعا على أبى بكر؛ و ذلك لما قدمناه من أن عليا كان۵.

۱- تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و عنه فى البحار ج ۲۰ ص ۱۶۹ و الصافى ج ۵ ص ۱۵۴.
۲- الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و الوفاء ص ۶۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۷۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۵ و زاد المعاد ج ۱ ص ۷۱ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۴- ۲۶۵ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱.
۳- المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۱ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۵.

صاحب لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی بدر و فی کل مشهد (۱).

و قد صرحوا بأنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یؤمّر علی علی أحدا (۲)، و قد کان (علیه السلام) فی غزاه بنی النضیر، فکیف یکون قد أمّر أبا بکر علیه؟!

و عدا عن ذلک کله .. فإن أبا بکر لم یکن معروفا بالشجاعه و الإقدام، إن لم نقل: إن الأمر کان علی عکس ذلک تماما، حسبما أوضحناه فی الجزء الثالث من هذا الکتاب، حین الکلام حول حرب بدر، و ما یذکر من شجاعه أبی بکر فیها، لبقائه مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی العریش.

و من الواضح: أن إماره الجیوش و رایاتها إنما تکون بید الشجعان و أصحاب النجده، قال علی (علیه السلام)؛ و هو یحث أصحابه علی القتال:ه.

۱- راجع: ترجمه الإمام علی أمیر المؤمنین، من تاریخ ابن عساکر (بتحقیق المحمودی) ج ۱ ص ۱۴۵. و ذخائر العقبی ص ۷۵ عن أحمد فی المناقب، و الطبقات الکبری ج ۳ قسم ۱ ص ۱۴ و کفایه الطالب ص ۳۳۶ و فی هامشه عن کنز العمال ج ۶ ص ۳۹۸ عن الطبرانی، و راجع: هامش ص ۱۸۰ من احتجاج الطبرسی عن الریاض النضره ج ۲ ص ۲۶۷ و ۲۰۲ عن نظام الملک فی أمالیه. و راجع أیضا مناقب أمیر المؤمنین لإبن المغازلی ص ۲۰۰ و المناقب للحوارزمی ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و عمده القاری ء ج ۱۶ ص ۲۱۶ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۵۰۰ و تلخیصه بهامش نفس الصفحه للذهبی و صححاه علی شرط الشیخین و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۸۸ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۵۱۴- ۵۱۵ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۳۴ و فتح الباری ج ۶ ص ۸۹ عن أحمد و أسد الغابه ج ۴ ص ۲۰ و أنساب الأشراف (بتحقیق المحمودی) ج ۲ ص ۱۰۶، و شرح النهج للمعتزلی الشافعی ج ۶ ص ۲۸۹، و الغدیر للعلامه الأمینی ج ۱۰ ص ۱۶۸ عنه.

۲- المناقب لابن شهر آشوب ج ۴ ص ۲۲۳ و البحار ج ۴۷ ص ۱۲۷ عنه.

(ورايتكم فلا تميلوها، و لا تجعلوها إلا بأيـدى شـجعانكم، و المانعين الـذمار منكم؛ فان الصابرين على نزول الحقائق، هم الـذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها؛ حفا فيها، و وراءها، و أمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، و لا يتقدمون عليها، فيفردوها) (۱).

و لعـل الهـدف من تلـك الأكـذوبه التى نسـبها الواقـدى إلى القيـل هو التشـكيك فيمـا هو حق و صـدق فيمـا يرتبط بعلى (عليه السلام)، و التخفيف من حده النقد الموجه إلى أبى بكر، بسبب ما عرف عنه من إحجام عن خوض الغمرات، و الفرار فى مواطن الخطر، و التحدى الحقيقى، كما جرى له فى أحد و خيبر و غيرهما، مما هو مسطور فى كتب الحديث و التاريخ.

الثـانى: إن من الواضـح: أن حمله (عليه السـلام) لرايه رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، و قيـادته للعسـكر لممّـا يزيـد فى رعب اليهود، و يهزمهم نفسيا. كيف لا .. و قـد كانت أخبار مواقفه و بطولاته فى بدر- و كذا فى أحد، لو صح كون غزوه بنى النضـير بعدها، و قد استبعدناه- قد أرهبت و أرعبت القاصى و الدانى، من أعداء اللّه و أعداء رسوله و دينه.

فهو قـد قتل نصف قتلى المشـركين، و شارك فى قتل النصف الثانى فى حرب بـدر، و فى أحـد- لو كانت القضـيه بعـدها- كان الفتح و حفظ الإسـلام على يديه، و قد آثرت قريش الفرار على البقاء و القرار، حينما علمت أنه (عليه السـلام) يلاحقها فى غزوه حمراء الأسد، رغم ما كانت تشعر به من زهو و خيلاء بالنسبه للنتائج التى تمخضت عنها حرب أحد.۹.

۱- نهج البلاغه ج ۲ ص ۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۵ ص ۱۷ و الفتوح لإبن أعثم ج ۳ ص ۷۳ و صفين ص ۲۳۵ و الكافى ج ۵ ص ۳۹.

الفتح على يد على (عليه السلام):

اشاره

لما توجه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى بنى النضير عمد إلى حصارهم، فضرب قبته فى أقصى بنى خطمه من البطحاء.

فلما أقبل الليل رماه رجل من بنى النضير بسهم، فأصاب القبه، فأمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن تحول قبته إلى السفح، و أحاط بها المهاجرون و الأنصار. (و عند الواقدى: أنها حولت إلى مسجد الفضيخ).

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فقال الناس: يا رسول اللّه، لا نرى عليا. فقال (صلى اللّه عليه و آله): أراه (۱) فى بعض ما يصلح شانكم؛ فلم يلبث أن جاء برأس اليهودى الذى رمى النبى (صلى اللّه عليه و آله)- و كان يقال له: عزورا- فطرحه بين يدى النبى (صلى اللّه عليه و آله).

فقال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): كيف صنعت؟

فقال: إنى رأيت هذا الخبيث جريا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، يطلب منا غره.

فأقبل مصلتا بسيفه، فى تسعه نفر من اليهود؛ فشددت عليه، و قتلته، فأفلت أصحابه، و لم يبرحوا قريبا؛ فابعث معى نفرا فإنى أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) معه عشره، فيهم أبو دجانه سماك بن خرشه، و سهل بن حنيف؛ فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن؛ فقتلوهم، و جاؤا برؤوسهم إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) فأمر أن تطرح فى بعض آبار بنى خطمه.

و كان ذلك سبب فتح حصون بنى النضير.م.

۱- فى مغازى الواقدى و السيره الحلبيه: دعوه فإنه فى بعض شأنكم.

و فی ذلک یقول حسان بن ثابت:

للّه أی کریهه أبلیتهاببنی قریظه و النفوس تطلّع

أردی رئیسهم و آب بتسعهطورا یشلّهم و طورا یدفع یشلهم بالسیف: یضربهم و یطردهم.

و حسب نص الواقدی و دحلان: أن القبه کانت من غرب (ضرب من الشجر) علیها مسوح، أرسل بها إلیه سعد بن عباده فأمر بلالا فضربها فی موضع المسجد الصغیر الذی بفضاء بنی خطمه و صلی بالناس فی ذلک الفضاء، فلما رماها، (عزوک) بالسهم حولت إلی مسجد الفضیخ.

إلی أن تقول الروایه: فیئسوا من نصرهم، فقالوا: نحن نخرج من بلادک الخ (۱).

و نحن نسجل هنا الأمور التالیه:

۱- الحکمه .. و المعجزه:

إن تحویل النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) قبّته إلی السفح، حتی لا تنالها ید العدو، یعطینا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان یتحرک من موقع الحکمه و التدبیر، وفقا لأحکام العقل و جریا علی مقتضیات الفطره.

و أما المعجزه، و التصرف الإلهی الغیبی، فإنما کان فی حالات خاصه، حیث تمس الحاجه لذلک، و تفرضه ضروره حفظ الإسلام، و رمزه الأول، کما کان الحال بالنسبه لإخبار جبرائیل (علیه السلام) للنبی (صلی۲.

۱- راجع ما تقدم فی المصادر التالیه: الإرشاد للمفید ص ۴۹ ۵۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۲- ۱۷۳ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۶- ۱۹۷ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۱- ۳۷۲ و کشف الغمه للإربلی ج ۱ ص ۲۰۱ و ۲۵۵ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲.

اللّه علیه و آله) بتآمر بنی النضیر علی حیاته (صلی اللّه علیه و آله)، حینما ذهب إلیهم یستمدهم فی دیه العامریین، حسبما تقدم .. و کما کان الحال بالنسبه إلی الإمداد بالملائکه فی حرب بدر، إلی غیر ذلک من موارد فرضت التدخل الإلهی، و حدوث المعجزه و الکرامه، من أجل حفظ الإسلام فی منطلقاته الأساسیه، و فی رموزه الأولی و الکبیره.

و لعل تحول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی السفح بعد وصول النبل إلی تلک الخیمه کان یهدف إلی تعلیم المسلمین هذا الدرس بالذات بالاضافه إلی دروس أخری تأتی ..

۲- الشعور بالمسؤولیه:

إن تحرک أمیر المؤمنین (علیه الصلاه و السلام) لمواجهه الخطر الیهودی إنما جاء من منطلق الإحساس بالمسؤولیه، و نتیجه للشعور بالواجب، و الثقه باللّه سبحانه .. حتی و لو لم یصدر الأمر به من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، تفادیا لبعض السلبیات.

و هذا الإحساس و الشعور لم نجده عند سائر الصحابه، الذین کانوا حاضرین مع النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و شهدوا ما شهده علی (علیه السلام)، و عاینوا ما عاینه.

۳- الأسرار العسکریه:

إن سریه تحرک أمیر المؤمنین (علیه الصلاه و السلام)، و عدم إفصاح النبی (صلی اللّه علیه و آله) عن طبیعه المهمه التی کان أمیر المؤمنین بصدد تحقیقها، حتی إنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یشر إلی أن طابعها کان عسکریا أو استطلاعیا، أو تموینیا، أو غیر ذلک ..

إن هذه السریه مطلوبه فی کل عمل عسکری- إلا ما کان ذا طبیعه

خاصه- ليمكن تحقيق الأهداف المتوخاه من ذلك العمل على النحو الأفضل و الأكمل.

و قد كان من الطبيعى أن يتسرب الخبر فى ظروف كهذه إلى بنى النضير- لو أفصح به النبى (صلى اللّه عليه و آله)- عن طريق المنافقين، و لعل ذلك يؤدى إلى تفويت الكثير من الفرص، و إلى أن تفقد العمليه عناصر هامه من شأنها أن تساعد على إحراز نصر كبير فيها. كأن يتمكن بنو النضير من نجده سريتهم العامله، و لا أقل من تمكن المنافقين من مساعده عناصر السريه اليهوديه على الفرار و النجاه، أو الإختفاء فى الأمكنه المناسبه لذلك ..

۴- دراسه شخصيه العدو:

إن قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنى رأيت هذا الخبيث جريّا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، فيطلب منا غرّه) يعطينا: أنه لابد من دراسه حالات العدو، و خصائصه النفسيه، فإن لذلك أثرا كبيرا فى العمل العسكرى، و له دور هام فى تعيين مستقبل الحرب، و أسلوب حركتها و نتائجها.

۵- إستباق مخططات العدو:

و إن كلمه أمير المؤمنين (عليه السلام)، الآنفه الذكر، لتعطينا: أنه لابد من أن يكون لدى الكوادر القياديه القدره على التنبؤ بما يمكن أن يخطط له العدو، و طرح كافه الإفتراضات و الخيارات التى يمكن أن يلجأ إليها، لمواجهتها من موقع الوعى و الدراسه و التخطيط، حتى لا تتحول إلى مفاجأه يتعامل معها من موقع العفويه و الإرتجال، ورده الفعل، و الانفعال ..

۶– العمليات الوقائيه:

و بعـد .. فلم تكن مبـادره أمير المؤمنين لإفشـال المخططـات المحتمله للعـدو إلا إيـذانا بضـروره القيام بعمليات وقائيه، و ضـرب العدو فی مواقعه، و بصوره مفاجئه، و قويه، فإن ذلک من شأنه أن يلحق به هزيمه نفسيه، فضلا عن الهزيمه العسكريه الساحقه ..

۷– إرهاصات:

إن شعر حسان الآنف الذكر يدل على أن عليا (عليه الصلاه و السلام) هو الذی آب بالتسعه، و أنه قد قتل بعضهم، و آب بالبعض الآخر أحياء .. و لعل دور العشـره الذين أرسـلهم رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله) معه قد اقتصـر على أمور ثانويه و هامشـيه فی عمليه أسر التسعه، أو قتلهم، و إن الدور المصيری و الأهم إنما كان لأمير المؤمنين (عليه السلام).

و لأجل ذلک لا يصـغی إلى ما ذكره الحلبی، حينما ذكر إرسال العشـره مع علی (عليه السـلام) لقتل التسعه فقتلوهم، و طرحوهم فی بعض الآبار.

حيث قال الحلبی: (.. و فی هذا رد على بعض الرافضه حيث ادعى: أن عليا هو القاتل لأولئک العشره) (۱).

۸– الفتح على يد علی (عليه السلام):

و كان من الطبيعی: أن يكون لهذه الضـربه تأثير كبير على معنويات بنی النضـير، و أن يضج الرعب فی قلوبهم، فإن تصدى رجل واحد من المسـلمين لعشـره منهم، ثم قتل. العشـره جميعا، يؤذن بأن المسلمين قادرون على إبادتهم، و استئصال شأفتهم بسهوله و يسر.۵.

۱– السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۵.

و إذا كان يمكن اعتبار حرق الأشجار و قطعها تهديدا، و ممارسه لمستوى من الضغط، قد يتم التراجع عنه، حين يؤول الأمر إلى سفك الدماء، و إزهاق الأرواح، فإن هذا التراجع قد أصبح غير محتمل على الإطلاق، بعد أن باشر المسلمون عملا عسكريا بهذا المستوى، و بهذه الشده و الصلابه و التصميم ..

و لقد باشر هذا الأمر رجل هو أقرب الناس إلى رسول اللّه، و أعرفهم بنواياه و آرائه، و أشدهم اتباعا له، رجل عرفوا بعض مواقفه المرعبه فى بدر و ربما فى أحد .. و هو على بن أبى طالب (عليه الصلاه و السلام) ..

إذن .. و بعد أن تخلى عنهم حلفاؤهم، و لم يف لهم المنافقون بما و عدوهم به، فإنهم لم يبق لهم إلا هذه الأحجار التى يختبؤن خلفها- كالفئران- و لكن إلى أى حد يمكن لهذه الحجاره أن تدفع عنهم، و كيف و أنى لهم برد هجوم الجيش الإسلامى عنها حين يصمم على تدميرها؟!

فقد جاءهم ما لم لم يكن بالحسبان، فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ (۱) و (كان ذلك سبب فتح حصون بنى النضير) كما تقدم فى النص السابق ..

و من جهه أخرى، فان الضربه الموفقه لابد و أن تقوى من معنويات الجيش الإسلامى. و قد حصّنته من أن يصاب بالضعف و الوهن لدى المواجهه الأولى مع عدو لا يرى سبيلا إليه، ما دام بالحصون المنيعه، بالإضافه إلى قدرات قتاليه عاليه لديه بنظر الكثيرين.

و مما ذكرناه يتضح معنى العباره المنقوله عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هنا، حينما سئل عن على (عليه السلام) حيث يقول: (أراه فى بعض ما يصلح شأنكم). ۲

۱- الحشر: ۲

فإن هذه العمليه كان لها أثر كبير فى إصـلاح شأن المسـلمين- كل المسلمين- و إفساد أمر أعدائهم، و دحرهم و كسر شوكتهم، حيث أتاهم اللّه من خيث لم يحتسبوا.

۹- قتل قائد المجموعه:

و نلاحظ أيضا: أن الهدف العسـكرى الذى وضـعه على (عليه السـلام)، هو قائد المجموعه بالذات، و هذا العمل يعتبر نموذجيا و ناجحا عسـكريا مائه فى المائه، فان حدوث فراغ على مستوى القياده يزعزع كل الثوابت، و يفقد المجموعه بأسرها كل فاعليتها و حيويتها، و تتحول إلى ركام خاو و رماد خامد.

۱۰- الإشكال فى شعر حسان:

و يلاحظ: أن شـعر حسان قد ذكر: أن هذه القضـيه وقعت فى بنى قريظه، لكن الروايه تنص على حدوث ذلك فى بنى النضير، و هـذا تناقض ظاهر، و لعل ملاءمه كلمه: (بنى قريظه) لوزن الشـعر، أكثر من كلمه (بنى النضـير) يؤيد: أن يكون الشـعر صـحيحا و غير محرّف ..

و لكن هذا المقدار لا يكفى للحكم على الروايه بالتلاعب و التصرف فيها ..

و ذلك لأن الروايه قد صرحت بأنه (صلى اللّه عليه و آله) فى حصار بنى النضير قد ضرب قبته فى أقصى بنى خطمه من البطحاء.

و هذا يعنى: أن بنى خطمه كانوا يسكنون فى مجاوره بنى النضير.

و إذن فمن المفيد أن نحدد موقع بنى خطمه، و بنى النضير، و بنى قريظه؛ ليتضح من ثم أن حصول التلاعب فى الشعر هو الأقرب و الأنسب فنقول:

تحدید المواقع:

أمـا بالنسـبه لبنی قریظه، فـانهم یقولون: إنهم نزلوا بالعالیه علی وادی مهزور (۱) و ذلک حیث یقع مسـجد بنی قریظه، الـذی هو شرقی مسجد الشمس (أعنی مسجد الفضیخ) الذی یقع هو الآخر شرقی مسجد قباء (۲) فی الحره الشرقیه، المعروفه بحره واقم، و تسمی حره بنی قریظه أیضا، لانهم کانوا بطرفها القبلی (۳).

أما بنو النضـیر، فقد نزلوا بالعالیه أیضا علی وادی مذینب، و هو شـعبه من سـیل بطحان (۴) و قـد نقل ابن عساکر و الحموی عن الواقدی: أن منازلهم کانت بناحیه الغرس و ما والاها مقبره بنی حنظله (۵) أو خطمه (۶).

قـال السـمهودی: (الظـاهر: أنهم کـانوا بالنواعم، و تمتـد منازلهم و أموالهم إلی ناحیه الغرس، و إلی ناحیه الصافیه، و ما معها من صدقات النبی (صلی اللّه علیه و آله) و بعض منازلهم کانت بجفاف، لأن فاضجه (أطم لبنی النضیر معجم البلدان ج ۴/ ص ۲۳۱) به، و رأیت بالحره فی شرقی النواعم آثار حصون و قریه بقرب مذینب، یظهر أنها من جمله۳.

۱- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۶۱ و ج ۳ ص ۱۰۷۶ و راجع: معجم البلدان ج ۱ ص ۳۴۶ و ج ۵ ص ۲۳۴.

۲- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۳ و ۸۲۱ و راجع: مرآه الحرمین ج ۱ ص ۴۱۹.

۳- راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۸۸.

۴- راجع وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۶۱ و ج ۳ ص ۱۰۷۶ و راجع: معجم البلدان ج ۱ ص ۴۴۶ و ج ۵ ص ۲۹۰ و ۲۳۴.

۵- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۱۰۷۵ و ۱۰۷۶ و ج ۱ ص ۱۶۱ و معجم البلدان ج ۴ ص ۱۹۳.

۶- التنبیه و الإشراف ص ۲۱۳.

منازلهم) (۱).

و أما منازل بنی خطمه، فإن المطری یقول: إنها قرب مسجد الشمس بالعوالی (۲).

لکن السمهودی قد رد علی ذلک بقوله: (و الأظهر عندنا: أنهم بقرب الماجشونیه، لقول ابن شبه فی سیل بطحان: إنه یصب فی جفاف، و یمر فیه، حتی یفضی إلی فضاء بنی خطمه، و الأغرس، و قوله فی مذینب: إنه یلتقی هو و سیل بنی قریظه بالمشارف، فضاء بنی خطمه.

و سیأتی: أن ذلک عند تنور النوره، الذی فی شامی الماجشونیه. و قد رأیت آثار القریه و الآطام هناک) (۳).

إذا عرفت هذا فإننا نقول:

إن الروایه هی الصحیحه، و إن شعر حسان هو الذی تعرض للتلاعب العفوی أو المعتمد؛ و ذلک لأن الروایه قد صرحت- کما صرح غیرها- بأن فضاء بنی خطمه ملاصق للمواقع المحاصره، لأن السهام کانت قد نالت القبه التی ضربها النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی أقصی بنی خطمه. و قد کان بنو خطمه قرب بنی النضیر لا قرب بنی قریظه .. و کان الفاصل بین قریظه و النضیر شاسع جدا، فقد کان بنو قریظه جنوبی المدینه شرقی مسجد قباء، و مسجد الشمس، فی الطرف القبلی للحره الشرقیه.

أما بنو النضیر، فقد کانوا شرقی المدینه المتمایل إلی جهه الشام شمالا ..

و نحن فی مقام التدلیل علی هذین الأمرین: أعنی بعد قریظه عن۷.

۱- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۶۳.

۲- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۹۸ و ج ۳ ص ۸۷۳.

۳- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۷۳ و راجع ص ۱۰۷۵- ۱۰۷۷.

النضیر، و قرب بنی خطمه من هؤلاء لا أولئک نقسم الکلام إلی قسمین؛ فنقول:

١- بنو النضیر شرقی المدینه:

أما بالنسبه لکون بنی النضیر شرقی المدینه؛ فیدل علی ذلک:

أولا: قال ابن کثیر: (کانت منازل بنی النضیر ظاهر المدینه علی أمیال منها، شرقیها) (۱).

و ثانیا: إن الصافیه، و برقه، و الدلال و المیثب متجاورات بأعلی الصورین، من خلف قصر مروان بن الحکم (۲).

و هذه المواضع المشار إلیها هی من أموال مخیریق، التی أوصی بها إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و کان هذا الرجل من بنی النضیر، و کانت حوائطه سبعه، و هی الأربعه المتقدمه بالإضافه إلی: حسنی، و الأعواف، و مشربه أم إبراهیم.

و قیل: بل هو من یهود بنی قینقاع، کان نازلا ببنی النضیر، و کانت أمواله فیهم، و هی عامه صدقات رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (۳).

و علیه .. فإذا کانت تلک المواضع الأربعه متجاورات بأعلی الصورین، و کانت من أموال بنی النضیر، فنقول إنهم یقولون إن الصورین یقعان فی أدنی الغابه، و الغابه فی عوالی المدینه من جهه الشام (۴).۵.

۱- تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۱.

۲- راجع: تاریخ المدینه ج ۱ ص ۱۷۳ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۳.

۳- راجع: فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۸ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۹۰- ۲۹۱ و تاریخ المدینه ج ۱ ص ۱۷۵ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۸۹ و ۹۹۰ عنه و عن ابن زباله.

۴- راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۷۵.

و حسب نص آخر: أنهـا كانت على بريـد من المـدينه على طريق الشام (۱). (و الصوران أيضـا موقع فی البقيع (۲). و البقيع يقع داخل المدينه) و ليس هذا الموضع قرب قصر مروان، فلا يتوهم ذلک.

و ثالثـا: قـد صـرحوا بأن مشـربه أم إبراهيم، و هی من أموال بنی النضـير، من مخيريق، قـد كانت فی (القف)، كما أن سائر أموال مخيريق قد كانت بقرب القف أيضا (۳).

و معلوم: أن القف يقع فی شرقی المدينه، لأن زهره مما يليه، كما سنری (۴).

و رابعا: قد صرّحوا بأن بنی النضير كانوا يسكنون فی قريه يقال لها: زهره (۵).

و زهره تقع فی شـرقی المدينه، و بها تقع الصافيه (۶). التی كانت من أموال مخيريق، و صارت إلی رسول اللّه (صـلی اللّه عليه و آله).

كما أنهم قد ذكروا: أن زهره هی الأرض السهله بين الحره و السافله مما يلی القف (۷).۹.

۱- معجم البلدان ج ۴ ص ۱۸۲.

۲- معجم البلدان ج ۳ ص ۴۳۲.

۳- راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۲۹ و ۱۲۳۰ و فی ج ۳ ص ۸۲۶ عن الإستيعاب.

۴- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۷۸.

۵- راجع: تاريـخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و البحـار ج ۲۰ ص ۱۶۴ عن الكـازرونی و غيره، و فی هـامشه عن: المنتقی فی مولود المصطفی ص ۱۲۵. و راجع أيضا: بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴.

۶- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۳.

۷- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۲۹.

و لعل التعبير الأدق، أن يقال: إن زهره مما يلى طرف العاليه، و ما نزل عنها، فهو السافله و أدنى العاليه ميل من المسجد (۱).

و خامسا: إن سهم عثمان الذى أعطاه إياه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من بنى النضير أيضا (۲).

و غافر و البرزتان أيضا، و هما من طعم أزواج النبى (صلى اللّه عليه و آله) من بنى النضير (۳). و فى بئر أريس أيضا (۴).

و لعل كيدمه هى نفس الجزع الذى بقرب مشربه أم إبراهيم، و المعروف بالحسينيات، (و هو قريه فى زهره) و يعرف بلفظ (كيادم) بصيغه الجمع (۵).

ثم إن السمهودى بعد أن ذكر: أن المعروف اليوم هو بئر أريس غربى مسجد قباء، و أنها ليهودى من بنى محمم.

قد رد ذلك بأن ما تقدم من كون سهم عثمان و عبد الرحمان بن عوف من بنى النضير موجود فيها يدل على خلاف ذلك؛ لأن بنى النضير، و بنى محمم لم يكونوا بقباء. لا ـ سيما و أن ابن زباله يذكر: أن مهزورا يشق فى أموال عثمان، يأتى على أريس، و أسفل منه، حتى يتبطن السورين، فصرفه عثمان مخافه على المسجد الذى فى بئر أريس.

و من الواضح: أن الموضع المعروف بقباء لا يمكن وصول شى ء۶.

۱- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۳۰.
۲- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۴۴ و ستأتى بعض المصادر لكيدمه و كونها سهم ابن عوف من بنى النضير فى فصل: كى لا يكون دوله بين الأغنياء.
۳- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۲ عن ابن زباله و راجع ص ۹۹۳.
۴- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۲ و ج ۴ ص ۱۱۳۹.
۵- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۴۵- ۹۴۶.

من مهزور إليه (۱).

و سادسا: روى عن جعفر: أن سلمان كان لناس من بنى النضير؛ فكاتبوه على أن يغرس لهم نخلا، ثم أفاءها اللّه على نبيه، فهى الميثب صدقه النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالمدينه (۲).

و فى روايه أخرى: أن امرأه من بنى النضير قد كاتبت سلمان على أن يحيى لها موضعا إسمه (الدلال). فأعلم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بذلك، فجاء، فجلس على (فقير)، ثم جعل يحمل إليه الودى؛ فيضعها (صلى اللّه عليه و آله) بيده، فقال: (و الذى تظاهر عندنا: انها) (أى الدلال) من أموال بنى النضير، و مما يدل على ذلك: أن مهزورا يسقيها، و لم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير (۳).

قال السمهودى: (الذى يتحصل من مجموع ما تقدم: ان نخل سلمان الذى غرسه هو (الدلال) و قيل: برقه، و الميثب) و قيل:

الميثب) (۴).

مناقشه للسمهودى لا تصح:

و قد ذكر السمهودى هنا: أن (الفقير) الذى جلس عليه النبى إسم الحديقه بالعاليه، قرب بنى قريظه.

ثم أورد على ذلك بأن (الفقير) ليس من صدقات النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و إنما هو من صدقات على (عليه السلام) (۵).۲.

۱- المصدر السابق.

۲- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۱.

۳- تاريخ المدينه ج ۱ ص ۱۷۴.

۴- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۱.

۵- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۲ و ج ۴ ص ۱۲۸۲ و تاريخ المدينه ج ۱ ص ۲۲۲.

و نقول: إننا نلاحظ هنا: أن التعبير الوارد هو (جلس على فقير).

فإذا كان هذا اللفظ إسما لحديقه، لم يصح قوله: جلس عليه، بل يقال:

ذهب إليه، و جلس فيه، أو فى بعض جوانبه و نواحيه. و الصحيح هو: أن (الفقير) هو الحفره التى توضع فيها النخله حين غرسها. فالنبى (صلى اللّه عليه و آله) قد جلس فوقها بانتظار أن يأتيه سلمان بالودى ليضعه فيها؛ فصح أن يقال حينئذ: جلس على فقير ..

مناقشه أخرى وردها:

و لكن يبقى إيراد آخر، و هو: أن روايه رواها أحمد و الطبرانى و غيرهما تفيد: أن الذى اشترى سلمان هو رجل من بنى قريظه (۱).

و يدل على ذلك أيضا: نفس كتاب المفاداه الذى صرح باسم ذلك الرجل، و انه قرظى (۲).

و نقول: إنه يمكن أن يكون ذلك القرظى زوجا لمالكه سلمان، التى كانت نضيريه. و كانت أموالها فى منطقه قبيلتها. و قد تولى زوجها كتب الكتاب عنها، و ذلك ليس بالأمر الغريب، و لا البعيد عن المألوف.

۲- قرب بنى خطمه إلى بنى النضير:

أ- و أما بالنسبه للقسم الثانى، أعنى قرب بنى خطمه من منازل بنى النضير، و بعدهم عن منازل بنى قريظه، فيدل على ذلك بالإضافه إلى صراحه نفس الروايه التى هى موضع البحث فى ذلك:ى.

۱- الثقات ج ۱ ص ۲۵۴ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۱.

۲- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى، الفصل الثانى.

أولا: قول المسعودی: (کانت منازل بنی النضیر، بناحیه الغرس، و ما والاها و مقبره بنی خطمه) (١).

ثانیا: تصریحهم بان بئر غرس، حیث منازل بنی النضیر، إنما تقع فی جهه بنی خطمه (٢). فبنو خطمه إذن هم فی منطقه زهره منازل بنی النضیر ..

و ثالثا: إن فضاء بنی خطمه یقع شامی الماجشونیه- کما ذکره السمهودی (٣)- و الماجشونیه تقع قرب تربه صعیب و بلحارث، کما أن منازل بنی النضیر تقع بناحیه الغرس، و هی قرب تربه صعیب أیضا (۴).

و ذلک یعنی: أن بنی خطمه کانوا قرب بنی النضیر، لا قرب بنی قریظه.

و رابعا: إن مما یدل علی بعد بنی خطمه عن بنی قریظه:

أن البویره التی وقع الحریق فیها قد کانت قرب تربه صعیب و دار بلحارث بن الخزرج و لیست هی البویره المعروفه فی قبله مسجد قباء.

و یدل علی ذلک ما رواه ابن زباله، من أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد وقف علی السیره التی علی الطریق، حذو البویره؛ فقال: إن خیر نساء و رجال فی هذه الدور. و أشار إلی دار بنی سالم، و دار بلحبلی، و دار بلحارث بن الخزرج.٨.

١- التنبیه و الإشراف ص ٢١٣.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٨.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٣ و راجع ص ١٠٧٥- ١٠٧٧.

۴- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ و ج ۴ ص ١١٥٧ و ١٢٩٨.

و هذا الوصف لا یطابق الموضع الذی فی قبله مسجد قباء؛ لبعده جدا (۱).

و قد أکد السمهودی فی غیر موضع من کتابه علی هذا الأمر، ورد القول بأن البویره هی فی قبله مسجد قباء، فراجع (۲).

بل لقد ذکر البعض: أن البویره موضع بین المدینه و تیماء (۳) و لکن العسقلانی قد زاد علی ذلک قوله: (و هی من جهه قبله مسجد قباء إلی الغرب) (۴).

و معلوم: أن تیماء موضع بین المدینه و الشام. و منازل بنی قریظه إنما هی قبلی المدینه شرقی مسجد قباء أی فی الجهه المقابله لجهه الشام، فکیف یتلائم قول العسقلانی هذا مع قوله بأنها إلی جهه تیماء؟! و مما یؤکد قول السمهودی المتقدم: أنهم یقولون فی قصه إجلاء بنی النضیر: (فخرجوا علی بلحارث بن الخزرج، ثم علی الجبلیه، ثم علی الجسر، حتی مروا بالمصلی، ثم شقوا سوق المدینه، و النساء فی الهوداج) (۵).

و حین همّ الیهود بالغدر برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و رجع إلی المدینه، و تبعه أصحابه لقوا رجلا خارجا من المدینه، فسألوه: هل لقیت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).۴.

۱- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۱۱۵۷.

۲- المصدر السابق.

۳- شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۶.

۴- فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۶.

۵- المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۴.

قال: لقيته بالجسر داخلا (۱).

و خامسا: و مما يدل على ذلك أيضا: أن وادى مهزور يأتى من شرقى الحره، و من هكر، و حره صفه، حتى يأتى على حلاه بنى قريظه.

ثم يسلك منه شعيب؛ فيأخذ على بنى أميه بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مذينب، ثم يلتقى و سيل بنى قريظه بفضاء بنى خطمه، ثم يجتمع الواديان: مهزور، و مذينب، فيفترقان بالأموال (۲)، و يدخلان فى صدقات رسول اللّه كلها إلا مشربه أم إبراهيم، ثم يفضى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم (۳).

و نص آخر يقول: أن دار بنى أميه بن زيد شرقى دار الحارث بن الخزرج، أى أنهم كانوا قرب النواعم، و يمر سيل مذينب بين بيوتهم ثم يسقى الأموال، و يشهد لذلك: أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب بن الأشرف- و كان من بنى النضير- أن محمد بن مسلمه و من معه بعد أن قتلوه سلكوا حسب قول ابن مسلمه على بنى أميه بن زيد، ثم على بنى قريظه ثم على بعاث إلى آخره (۴).

فقد اتضح من هذا النص: أن فضاء بنى خطمه متصل بالأموال و الصدقات (التى هى فى زهره، و من أموال بنى النضير) و أن قريظه منفصله عن فضاء بنى خطمه ببنى أميه بن زيد.٠.

۱- المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۶۶.
۲- هى أموال مخيريق التى أوصى بها إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يعبّرون عنها بالصدقات لما سيأتى فى فصل: كى لا يكون دوله بين الأغنياء.
۳- راجع وفاء الوفاء ج ۳ ص ۱۰۷۷.
۴- راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۷۴ و ج ۴ ص ۱۱۵۰.

خلاصه أخيره:

و أخيرا، فان المتحصل مما تقدم هو: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد نصب قبته فى أقصى بنى خطمه، و كانت نبال المحاصرين تناله، فانتقل إلى السفح، و هناك صلى بأصحابه.

و أن بنى النضير كانوا أقرب إلى بنى خطمه من بنى قريظه ..

و كان بنو قريظه قبلى المدينه شرقى مسجد قباء، أما بنو النضير فكانوا شرقى المدينه إلى جهه الشام و شتان ما بينهما .. و كل ذلك يؤيد أن يكون الشعر هو المحرّف، و الروايه هى الصحيحه ..

مناقشه مع الواقدى:

و يبقى أن نشير هنا: إلى أن ما ذكره الواقدى، و دحلان، من أن المسلمين قد جعلوا القبه أولا عند مسجد بنى خطمه، فلما رماها (عزوك) اليهودى بالسهم، حولت إلى مسجد الفضيخ.

ان هذا لا يصح، و ذلك:

أولا: لأن مسجد الفضيخ يقع شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض (۱).

و قد عرفنا: أن منازل بنى النضير بعيده عن هذا الموضع جدا، كما أن فضاء بنى خطمه كان بعيدا أيضا.

إلا أن يقال: إن كون مسجد الفضيخ فى قباء، موضع شك، و لا يصح، و إنما هو فى بنى خطمه، و سيأتى ما يدل على هذا حين الكلام عن تحريم الخمر.۸.

۱- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۱ و مرآه الحرمين ج ۱ ص ۴۱۸.

و ثانیا: إن النصوص تصرح بأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد ضرب قبته فی أقصی بنی خطمه، علی مرمی سهم من بنی النضیر ..

و یبعد أن یختط بنو خطمه مسجدهم فی أقصی دیارهم، إلی جانب بنی النضیر.

قطع النخل، أو حرقه:

و تذکر الروایات: أن النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) قد أمر المسلمین بقطع نخل بنی النضیر، و التحریق فیه، و کان ذلک فی موضع یقال له البویره؛ فناداه الیهود: أن یا محمد قد کنت تنهی عن الفساد، و تعیب من صنعه، فما بال قطع النخیل و تحریقها، فأنزل اللّه:

ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَهٍ أَوْ تَرَکْتُمُوها قائِمَهً عَلی أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِیُخْزِیَ الْفاسِقِینَ (۱)مع

۱- الآیه فی سوره الحشر رقم ۵. و أمر الرسول (صلی اللّه علیه و آله) بحرق و قطع النخیل موجود فی المصادر التالیه: جامع البیان ج ۲۸ ص ۲۳ و أسباب النزول للواحدی ص ۲۳۷ و ۲۳۸ و مسند الحمیدی ج ۲ ص ۳۰۱ و مسند أبی عوانه ج ۴ ص ۹۷ و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۸ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۹- ۲۰ و الجامع الصحیح ج ۴ ص ۱۲۲ و ج ۵ ص ۴۰۸ و مسند أحمد ج ۲ ص ۸ و ۵۲ و ۸۰ و ۸۶ و ۱۲۳ و ۱۴۰ و مسند الطیالسی ص ۲۵۱ و المبسوط للسرخسی ج ۱۰ ص ۳۱- ۳۲ و سنن الدارمی ج ۲ ص ۲۲ و المحلی ج ۷ ص ۲۹۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۰ و دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۹ و سیره مغلطای ص ۵۳ و معجم البلدان ج ۱ ص ۵۱۲ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۱ و ۱۲۸ و السیره النبویه لإبن کثیر ج ۳ ص ۵۰ و ۱۴۷ و ۱۴۹ و ۱۵۰ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۷۹ و ۷۷ و الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۷. و الأحکام السلطانیه ص ۶۴ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۴ و ۲۵۶ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۹۴۸ و جوامع الجامع

زاد البعض: أن أهـل التأويـل قالوا: (وقع فی نفوس المسـلمین من هـذا الکلام شـی ء، حتی أنزل اللّه: ما قطعتم من لینه إلی آخره ...) (۱).

هل هذا العدد صحیح؟!

قـال ابن شـهر آشوب: (أمر بقطع نخلاـت .. إلی أن قـال: ثم أمسـک عن قطعهـا بمقـالهم، و اصـطلحوا أن یخرجوا) (۲) (و قیل: أحرقوا نخله،۷.

۱- راجع: الروض الأـنف ج ۳ ص ۲۵۰ و فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۶ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ و تعلیقات محمد فؤاد عبد الباقی علی سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۹۴۹.

۲- مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

و قطعوا نخله، و قيل: كان جميع ما قطعوا و أحرقوا ست نخلات) (۱).

و نحن نشـك فى أن يكونوا قـد قطعوا هـذا العـدد القليـل من النخـل، أو أحرقوه، فان قطع نخله واحـده، و حتى ست نخلات، لا يوجب خضوع بنى النضير، و قبولهم بالجلاء، و خزى الفاسقين بصوره عامه، كما نصت عليه الآيه الكريمه.

كما أنه لا يوجب نزول آيه قرآنيه تتحدث عن هذا الأمر، و تخلّده كأسلوب ناجح فى إرعاب العدو و إرهابه ..

فإنه لا بـد أن يكون القطع قد بلغ حدا جعلهم يجنحون إلى الإستسـلام، و القبول بما يريده الرسول، ثم نزلت آيه كريمه تتحدث عن هذا الموضوع، و تفصل الأمر فيه، و تحسم فيه النزاع.

تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل:

و جزعوا على قطع العجوه، فجعل سلام بن مشكم يقول: يا حيى العذق خير من العجوه، يغرس فلا يطعم ثلاثين سنه، يقطع.

فأرسـل حيى إلى رسـول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله): يـا محمـد، إنـك كنت تنهى عن الفسـاد، لم تقطع النخـل؟ نحن نخرج من بلادك.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لا أقبله اليوم إلخ (۲).

(و كانت النخله ثمن وصيف، و أحب إليهم من وصيف) (۳).۴۶

۱- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و فتـح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۶ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۶ و القول الأول ذكره فى الأحكام السلطانيه ص ۶۴.

۲- المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۳.

۳- البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶

و جاء فی نص آخر: أن (الذی حرق نخلهم و قطعها عبد اللّه بن سلام، و عبد الرحمان بن کعب، أبو لیلی الحرانی، من أهل بدر. فقطع أبو لیلی العجوه، و قطع ابن سلام اللون، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): لم قطعتم العجوه؟!

قال أبو لیلی: یا رسول اللّه، کانت العجوه أحرق لهم و أغیظ، فنزل: ما قطعتم من لینه أو ترکتموها الآیه .. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۸ ۱۰۹ تفاصیل أخری فی حرق و قطع النخیل: ..... ص : ۱۰۸ فنادوا: یا محمد، قد کنت تنهی عن الفساد إلخ (۱).

و صرحت بعض النصوص بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد استعمل ابن سلام، و أبا لیلی المازنی علی قطع النخل (۲). أو أمرهما (۳).

أو أشار إلیهما بذلک (۴).

و أضاف الدیار بکری قوله: (أما أبو لیلی فکان یقطع أجود أنواع التمر، و هی العجوه، و یقول: قطع العجوه أشد علیهم. و أما عبد اللّه بن سلام، فکان یقطع أردأ أنواع التمر، و هو تمر یقال له: اللون، و یقول:

إنی أعلم: أن اللّه سیجعلها للمسلمین الخ ..) (۵).ن.

۱- الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و راجع التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۳ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۵ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۸۱ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۵.

۲- المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۸۱ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۵ و الإصابه ج ۲ ص ۴۲۰.

۳- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ عن روضه الأحباب و راجع المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۲.

۴- حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۵.

۵- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ و راجع: المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۲ و لیراجع: الکشاف ج ۴ ص ۵۰۱ و ۵۰۲ و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۳ لکنهما لم یسمیا الرجلین.

فلما قطعت العجوه شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل؛ فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): ما لهن؟!

فقيل: يجزعن على قطع العجوه.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): إن مثل العجوه جزع عليه.

إلى أن قال: فلما صحن صاح بهن أبو رافع: إن قطعت العجوه ها هنا، فان لنا بخيبر عجوه.

قالت عجوز منهن: خيبر يصنع بها مثل هذا.

فقال أبو رافع: فض اللّه فاك، إن حلفائى بخيبر عشره آلاف مقاتل؛ فبلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فتبسم.

و نحن نسجل هنا الأمور التاليه:

لماذا ابن سلام؟!

إننا نجد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد استعمل ابن سلام- و هو كان من اليهود، من علمائهم- مع ذلك الرجل البدرى على قطع نخل يهود بنى النضير .. و من الطبيعى أن يكون لذلك أثر ظاهر فى بث اليأس فى نفوسهم، و فى إذلالهم و خزيهم، و يساهم فى كسر شوكتهم، و يثير فيهم المزيد من الحنق، و الغيظ و الألم، و هم ذوو الغطرسه، و العنجهيه و الخيلاء، كما سيأتى توضيحه فى موضعه إن شاء اللّه تعالى.

۲- شكوك تصل إلى حد التهمه:

و نلاحظ هنا: كيف أن ابن سلام قد اختار أردأ أنواع التمر، على

الرغم من أنه (صـلى اللّه عليه و آله) قـد أمر بقطع النخـل بصوره مطلقه، و لم يقيـد بشـی ء، و رغم أنه قـد كان من الواضـح: أن الهـدف من هذا الإجراء هو الضـغط على هؤلاء القوم، و إغاظتهم، و إذلالهم. و ذلک إنما يتحقق بقطع ما له أثر ظاهر فی ذلک، كما فهمه و عمل به ذلک الرجل البدری، الذی جعله الرسول إلی جانب ابن سلام.

و لا نريد أن نسترسل فی شـكوكنا حول ابن سـلام هذا و نواياه؛ فنتهمه بالتعاطف مع اليهود الذين كان فی وقت ما أحد علمائهم و كبرائهم، حسبما يذكره التاريخ عنه.

و لعل هذه الشكوک تجد لها أكثر من مؤيد، و شاهد فيما ينقل عن هذا الرجل من مواقف، و أقوال، و إتجاهات، و أحوال، و لا سيما بعد وفاه الرسول الأكرم (صلی اللّه عليه و آله و سلم).

و لسنا هنا فی صدد عرض ذلک و استقصائه، فلنكف عنان القلم- إذن- إلی ما هو أهم، و نفعه أعم و أتم.

البعض لم يفهم الآيه:

و من العجيب هنا قول البعض: (لما أمر النبی صـلی الله عليه و آله وسلم بقطع النخيل، و إحراقها ترددوا فی ذلک، فمنهم الفاعل، و منهم الناهی، و رأوه من الفساد و عيّرهم اليهود بذلک، فنزل القرآن العظيم بتصديق من نهی، و تحليل من فعل، فقال تعالی: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَهٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَهً عَلی أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِیَ الْفاسِقِينَ (۱).

مع أن الآيه ظاهره الـدلاله فی تأييـد أولئک الذين امتثلوا أمر النبی (صـلی اللّه عليه و آله)، و أن أمره إنما كان بإذن اللّه، و ليس من عند نفسه۵.

۱- بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵.

فالآیه فی الحقیقه قد جاءت لتقریع و تأنیب المخالفین لأمر الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) لکن هذا الرجل قد عکس الآیه فی مفادها و مدلولها.

و لم یلتفت إلی المراد منها.

۳- الحرق أم القطع؟!

و بعد ... فإننا نجد النصوص التاریخیه تکاد تکون مجمعه علی أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد حرق النخیل، و لکن الآیه الکریمه التی نزلت فی هذه المناسبه لم تشر إلی ذلک أصلا، و إنما سجلت القطع فقط، فلربما یکون الأمر منه (صلی اللّه علیه و آله) قد صدر بالقطع دون الحرق، فکان الحرق من بعض المسلمین، إجتهادا منهم، و لعله لم یکن ثمه حرق أصلا، و اللّه أعلم.

الحکم الفقهی فی قطع الأشجار و حرقها:

لقد أفتی عدد من الفقهاء بحرمه قطع الأشجار فی الحرب، إلا فی حال الضروره (۱).

و حکم کثیر من الفقهاء بالکراهه (۲).۰۹

۱- راجع: المهذب لابن البراج (مطبوع ضمن الینابیع الفقهیه) کتاب الجهاد ص ۸۸ مقیدا للأشجار ب: (المثمره) و فی منتهی المطلب ج ۲ ص ۹۰۹ عن أحمد، و قد حکی القول بعدم الجواز عن اللیث بن سعد، و أبی ثور، و الأزاعی فراجع: فتح الباری ج ۵ ص ۷ و الجامع الصحیح ج ۴ ص ۱۲۲ و فقه السیره ص ۲۸۰ و عن شرح النووی علی صحیح مسلم ج ۱۲ ص ۵۰.

۲- تذکره الفقهاء ج ۱ ص ۴۱۲ و ۴۱۳ و راجع: السرائر ص ۱۵۷ و تحریر الأحکام ج ۱ ص ۱۳۵ و شرائع الإسلام ج ۱ ص ۳۱۲ و القواعد (المطبوع مع الإیضاح) ج ۱ ص ۳۵۷ و الجامع لأحکام الشرائع ص ۲۳۶ و منتهی المطلب ج ۲ ص ۹۰۹

و قيده البعض بصوره ما لو رجى صيرورته للمسلمين، و كان مما يقتات به (١).

حرق النخيل، و الفساد فى الأرض:

و قد عرفنا فى ما تقدم: أن التاريخ يؤكد على أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أمر بحرق نخل بنى النضير، أو قطعه و قد تحدث القرآن عن القطع هذا، بأسلوب الرضا و القبول، حسبما تقدم ..

و روى أيضا: أنهم قد قطعوا الشجر و النخل بالطائف، بالاضافه إلى قطع النخل بخيبر، و روى أيضا قطع شجر بنى المصطلق و إحراقه (٢).

و عن أسامه بن زيد قال: بعثنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى قريه يقال لها:

(أبنى). فقال: (إئت أبنى صباحا ثم حرق). أى بيوتهم و زروعهم، و لم يرد تحريق أهلها (٣).

و فى مجال آخر فإنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر بحرق مسجد الضرار و هدمه (۴).٩.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٣۵٠.
٢- راجع: تذكره الفقهاء ج ١ ص ۴١٢ و راجع أيضا: السرائر ص ١۵٧ و الجواهر ج ٢١ ص ۶٧ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩ و المبسوط للشيخ الطوسى ج ٢ ص ١١ و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣٢.
٣- سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩۴٨ و هامشه لمحمد فؤاد عبد الباقى، و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٨ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ۴٢٩ و مسند أحمد ج ۵ ص ٢٠۵ و ٢٠٩.
۴- راجع: زاد المعاد ج ٣ ص ١٧ و التنبيه و الإشراف ص ٢٣٧ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٠٩.

و أمر (صلی اللّه علیه و آله) بتحریق متاع الغالّ (۱).

و روی أنه (صلی اللّه علیه و آله) هم بحرق بیوت تارکی صلاه الجماعه (۲).

و قد بلغه (صلی اللّه علیه و آله): أن ناسا من المنافقین یجتمعون فی بیت سویلم الیهودی یثبطون الناس عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی غزوه تبوک فبعث إلیهم نفرا، و أمرهم أن یحرقوا علیهم بیت سویلم (۳).

و بعد ما تقدم .. فإن السؤال الذی یتطلب منا الإجابه هنا هو:

إنه إذا کان رسول اللّه قد أمر بذلک کله، أو همّ به؛ فکیف نوفق بین أمره هذا و بین فتوی الفقهاء بالحرمه، أو بالکراهه، حسبما تقدم؟!!.

بل لقد ورد: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان حین یرسل سریه،۹.

۱- زاد المعاد ج ۲ ص ۶۶ و سنن الدارمی ج ۲ ص ۲۳۱ و الجامع الصحیح ج ۴ ص ۶۱ و سنن أبی داود ج ۳ ص ۶۹ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۲.
۲- زاد المعاد ج ۳ ص ۱۷ و السنن الکبری ج ۳ ص ۵۵ و ۵۶ و سنن أبی داود ج ۱ ص ۱۵۰ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۲۹۲ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۹۲ و ۴۰۲ و ۴۲۲ و ۴۴۹ و ۴۵۰ و ج ۲ ص ۲۲۴ و ۲۹۲ و ۲۱۴ و ۳۱۹ و ۳۶۷ و ۳۷۶ و ۳۷۷ و ۴۱۶ و ۴۲۴ و ۴۷۲ و ۴۷۹ و ۵۳۱ و ۵۳۹ و ج ۵ ص ۲۰۶ و صحیح مسلم ج ۲ ص ۱۲۳ و ۱۲۴ و فیض الباری ج ۲ ص ۱۹۱ و صحیح البخاری ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹ و ج ۲ ص ۴۰ و ج ۴ ص ۱۵۹ و التراتیب الإداریه ج ۱ ص ۸۹ و ۹۰ و المعجم الصغیر ج ۲ ص ۵۷ و ج ۱ ص ۱۷۲. و الجامع الصحیح ج ۱ ص ۴۲۲ و سنن النسائی ج ۲ ص ۱۰۷ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۲۹۶ و الموطاء (مطبوع مع تنویر الحوالک) ج ۱ ص ۱۵۰.
۳- راجع: السیره النبویه لإبن هشام ج ۴ ص ۱۶۰ و التراتیب الإداریه ج ۱ ص ۳۰۹.

يوصيهم بأن لا يقطعوا شجرا إلا أن يضطروا إليها (۱).

و عن ثوبان: أنه سمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقول:

(من قتل صغيرا، أو كبيرا، أو أحرق نخلا، أو قطع شجره مثمره، أو ذبح شاه لاهابها، لم يرجع كفافا) (۲).

أضف إلى ذلك كله: أن اليهود أنفسهم قد اعترضوا على النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأنه ينهى عن الفساد، فلم يقطع النخل؟! و قد تقدم ذلك ..

جواب السهيلى، لا يصح:

فقد يقال فى مقام الإجابه على ذلك إستنادا إلى روايه ثوبان المتقدمه: أن المنهى عنه هو قطع الشجر المثمر، و على حد تعبير السهيلى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) إنما أحرق ما ليس بقوت للناس.

قال السهيلى: (لينه: الوان التمر، ما عدا العجوه، و البرنى؛ ففى هذه الآيه: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس.

و كانوا يقتاتون العجوه ..

(ثم ذكر أهميه العجوه و البرنى، ثم قال):

ففى قوله تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ. (و لم يقل: من نخله، على العموم) تنبيه على كراهه قطع ما يقتات، و يغذو من شجر العدو. إذا رجى۶.

۱- الكافى ج ۵ ص ۳۰ و البحار ج ۱۹ ص ۱۷۷- ۱۹۹ و تذكره الفقهاء ج ۱ ص ۴۱۲ و ۴۱۳ و منتهى المطلب ج ۲ ص ۹۰۸ و ۹۰۹ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۶۶ و الوسائل ج ۱۱ ص ۴۳ و ۴۴ و المحاسن للبرقى ص ۳۵۵ و فى هامشه عن الوسائل، و عن التهذيب ج ۲ ص ۴۶.
۲- مسند أحمد ج ۵ ص ۲۷۶.

أن يصير إلى المسلمين. و قد كان الصديق (رض) يوصى الجيوش ألّا يقطعوا شجرا مثمرا. و أخذ بذلك الأوزاعى؛ فإما تأوّلوا حديث بنى النضير، و اما رأوه خالصا للنبى (عليه السلام) (۱).

و لكننا لا نوافق السهيلى على ما قاله، و ذلك لما يلى:

أ: بالنسبه لما ذكره فى معنى اللينه، نجد كثيرا من أهل اللغه لا يوافقونه على ما ذكره فى معناها، فقد:

قال الراغب و غيره: (ما قطعتم من لينه: أى من نخله ناعمه، و مخرجه مخرج فعله، نحو حنطه، و لا يختص بنوع منه دون نوع). و كذا نقل عن ابن زيد، و عمرو بن ميمون، و مجاهد) (۲).

و قال: سعيد بن جبير، و مالك، و الخليل، و يزيد بن رومان، و رجحه النووى، و كذا قال الفراء و الزهرى، و عكرمه، و قتاده، و ابن عباس، و نسب إلى أهل المدينه: اللينه (كل شى ء من النخل سوى العجوه؛ فهو من اللين، واحدته لينه) (۳).ض.

۱- الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶- ۲۵۷ و أشار إلى أن العجوه كانت قوت بنى النضير فى السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۶.

۲- المفردات للراغب ص ۲۵۷ و راجع: التبيان ج ۹ ص ۵۵۹.

۳- راجع: لسان العرب ج ۱۳ ص ۳۹۳ و ۳۹۵؛ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۷ و عمده القارى ء ج ۱۷ ص ۱۲۸ و السيره النبويه لإبن هشام ج ۳ ص ۲۰۲ و شرح المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و التبيان ج ۹ ص ۵۵۹ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۲ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷، و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸ و أحكام القرآن لإبن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۸ و يلاحظ: أن المذكورين فى المتن قد ذكرت أسماؤهم فى بعض المصادر دون بعض.

و قال الزبیدی: کذا عن ابن عباس و مقاتل، و عن الحسن، و مجاهد و عطیه: (اللینه- بالکسر- النحل) (۱).

و قیل: هی کل الأشجار (۲).

و قال سفیان: هی کرام النخل و کذا عن مجاهد، و ابن زید (۳).

و قال آخر، و نسب ذلک إلی مجاهد، و عطیه: (ما قطعتم من لینه) الحشر/ ۵: أی من نخل، و النخل کله، ما عدا البرنی (۴).

و عن مقاتل، هی: (ضرب من النخل یقال لتمرها: اللون، و هی شدیده الصفره، یری نواها من خارج، تغیب فیها الأضراس، و کانت منه.

۱- راجع تاج العروس ج ۹ ص ۳۳۸ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۷ و أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۸ و عمده القاری ء ج ۱۷ ص ۱۲۶ و إرشاد الساری ج ۷ ص ۳۷۵ و جامع البیان ج ۲۸ ص ۲۲ و ۲۳ و فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۹ و ۱۹۷ و أحکام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۹ و الجامع الصحیح للترمذی ج ۵ ص ۴۰۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۶ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۳ و الأحکام السلطانیه ص ۶۵.

۲- شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و عمده القاری ء ج ۱۷ ص ۱۲۸ و الأحکام السلطانیه ص ۶۵.

۳- عمده القاری ء ج ۱۷ ص ۱۲۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ و أحکام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۱ عنه و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۶ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۹ و الأحکام السلطانیه ص ۶۵ و التبیان ج ۹ ص ۵۵۹ و مدارک التنزیل بهامش لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۶ و جامع البیان ج ۲۸ ص ۲۳ و غرائب القرآن مطبوع بهامشه ج ۲۸ ص ۳۷ و أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۸ و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۳ و الکشاف ج ۴ ص ۵۰۰.

۴- الدر النظیم فی لغات القرآن الکریم ص ۲۰۷ و راجع تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۱ عن مجاهد و عطیه.

أجود تمرهم، و أحبّها إليهم، و كانت النخله الواحده ثمن وصـيف، و أحب إليهم من وصـيف؛ فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم) (۱). و قيل: هی الدقل (۲). إلی غير ذلک من أقوال.

ب: قولهم: إنه قطع اللين و ترک العجوه، لا تؤيده النصوص التاريخيه. فقد:

قال دحلان: (.. فقطع لهم نخل يسمی (العجوه)، و آخر يسمّی:

اللين. و كـان ذلـک أحرق لقلوبهم؛ لأـن ذلک خير أموالهم؛ فلما قطعت العجوه شق النساء الجيوب، و ضـربن الخـدود، و دعون بالويل). و كذا قال غيره (۳).

زاد الحلبی قوله: و كانت العجوه خير أموال بنی النضير لأنهم كانوا يقتاتونه (۴).

و عن الماوردی: و كانت العجوه أصل الإناث كلها، فلذلک شق علی اليهود قطعها (۵).

و عن الإمام الصادق (عليه السلام) فی تفسير اللين: أنها العجوه خاصه (۶).۳.

۱- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و إرشاد الساری ج ۷ ص ۳۷۵ و راجع: الأحكام السلطانيه ص ۶۴.
۲- الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۷۶۹ و الدقل: نوع من التمر، قيل: هو أردأ أنواعه. راجع: لسان العرب ج ۱۱ ص ۲۴۶.
۳- السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱. و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۶.
۴- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۶.
۵- الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۹.
۶- فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۹ و أحكام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۸ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳.

و تقدم: أن أبا ليلى قطع العجوه، و أن ابن سلام قطع اللون. و تقدم أنهم جزعوا على قطع العجوه، فراجع ما جاء تحت عنوان (تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل).

ج: و لو قبلنا تفسير السهيلى لكلمه (لينه) فإن ما ذكره لا يحل الإشكال؛ ما دام أنه كان ينهى سراياه عن قطع مطلق الشجر، فكان يقول لهم: (و لا تقطعوا شجرا). و لا يختص ذلك بالشجر الذى يقتات منه، و لا بالشجر المثمر ..

د: و لو قبلنا أيضا أن المراد هو خصوص ما يقتات منه، فإن ما عدا العجوه و البرنى كان أيضا مما يقتات به، و يؤكل .. غايه الأمر أن جوده ثمره لم تكن فى مستواهما، و إنما هو ردى ء بالنسبه إليهما.

ه: و لو قبلنا كل ما ذكره السهيلى فإننا نقول: إن قوله بكراهه قطع الشجر فى صوره ما لورجى أن يصير للمسلمين، فى غير محله؛ فإن النهى عن قطع الشجر مطلق، و لم يقيد بصوره الرجاء المذكور، نعم هو قد جاء على لسان الحبر اليهودى عبد اللّه بن سلام، و لم يعلم من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أنه قبله و رضيه.

و: و أما قوله، إن الأوزاعى و أبا بكر: قد تأوّلا حديث بنى النضير، أو أنهما رأيا أنه مختص برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حيث منعا من قطع الشجر المثمر مطلقا. فليس فى محله أيضا؛ فانهما قد فهما ذلك من كلامه (صلى اللّه عليه و آله) فى نهيه عن قطع الشجر، فحكما بمقتضاه، و لم يخصصا حكمهما هذا بشخص و لا بشى ء، و إنما هما قد وجدا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد اضطر إلى قطع شجر بنى النضير، فأجازا ذلك للضروره؛ فإن قطع الشجر لأجل الضروره مما رخص به النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى نفس وصاياه لسراياه، حسبما ألمحنا إليه (۱). و إذن .. فهماب.

۱- راجع ما تقدم عن قريب و راجع أيضا: ج ۳ ص ۱۴۰ من هذا الكتاب.

لم يريا أن ذلک من الأحكام المختصه به (صلى اللّه عليه و آله).

ضروره قطع الأشجار، و حرقها:

لقد نزل القرآن ليرد على الذين عابوا قطع الأشجار، و ليؤكد على أن ذلک إنما كان بإذن من اللّه سبحانه، تماما كما كان ترک ما ترک منها بإذن اللّه تعالى ..

إذن، فلا بد لنا من التعرف على السر الكامن وراء تجويز هذا العمل، و صيرورته مقبولا، بعد أن كان مرفوضا، و مأذونا به بعد أن كان ممنوعا عنه.

فنقول:

إن الذى يبدو لنا هو: أن بنى النضير أهل الزهو و الخيلاء، و العزه (۱). كانوا يحسّون فى أنفسهم شيئا من القوه، و المنعه فى قبال المسلمين، و يجدون: أن بإمكانهم مواجهه التحدى، فيما لو أتيح لهم إطاله أمد المواجهه، حيث يمكنهم أن يجدوا الفرصه لإقناع حلفائهم بمعونتهم، و لا سيما إذا تحرک أهل خيبر الذين كان لديهم العده و العدد الكثير، حسبما تقدم فى كلمات سلام بن مشكم. كما أن ابن أبى و من معه قد يراجعون حساباتهم، و يفون لهم بما و عدوهم به من النصره و العون ..

و لا أقل من أن يتمكن ابن أبى و اتباعه من إحداث بلبله داخليه، من شأنها إرباک المسلمين و زعزعه ثباتهم من الداخل ..

و قد يمكن لقريش، و لمن يحالفها من قبائل العرب أن يتحركوا أيضا لحسم الموقف لصالح بنى النضير، و صالحهم بصوره عامه ..

و لا أقل من أن يتمكن يهود بنى النضير من الإحتفاظ بمواقعهم،..

۱- سيتضح ذلک حين الكلام عن كونهم فى قومهم بمنزله بنى المغيره فى قريش، فانتظر ..

و بأرضـهم و ديارهم، حين يجد المسـلمون: أن مواصله التحدى لهم لن تجدى نفعا، ما داموا قادرين على الإحتماء بحصونهم، و الدفاع عنها مده طويله، فيتراجعون عن حربهم، و يتركونهم و شأنهم، من أجل التفرغ إلى ما هو أهم، و أولى.

و إذا كانت قضيه بنى النضير قد حصلت بعد وقعه أحد- و إن كنا لم نرتض ذلك- فلا بد أن يكون اليهود قد فكروا: أن محمدا (صلى اللّه عليه و آله) و أصحابه قد أصبحوا الآن فى موقف الضعف و التراجع، و لعل فى تسويف الوقت معهم، فى الوقت الذى يحس فيـه المسـلمون بالفشـل و بالكـارثه، نـتيجه لمـا نزل بهـم فى أحـد، لسـوف يجعلهم يفكرون فى انتهـاج سبيـل السـلامه، و الإنسـحاب من موقع التحـدى إلى موقع المسـاومه، و من سبيـل الحرب إلى سبيـل السـلم، و توفير الأمن، و مراعاه جانب هؤلاء و أولئك، و عدم إثاره العداوات الكبيره داخل بلادهم، و فى قلب مواضعهم و مواقعهم.

و أما إذا كانت قضـيه بنى النضـير قد حصـلت قبل ذلك، و بعد سـته أشـهر من حرب بدر، حسـبما قويناه، استنادا إلى العديد من الدلائل و الشواهد ..

فلعل يهود بنى النضـير قد فكروا: أن المسـلمين لسوف لا يفرطون بهذا النصـر الكبير الذى حققوه، و لعلهم على إستعداد لمداراه هؤلاـء و أولئك، فى سبيل الحفاظ على صـلابه الموقف، و ثباته و لسوف لا يقـدمون على أى عمل من شأنه احـداث خلخله فى بنيه مجتمعهم، و لعل اليهود يعتقدون: أن حرب بدر كانت أمرا اتفاقيا صـنعته الصدفه، و الحظ السـى ء للمشـركين. و ليس نتيجه قدرات حقيقيه كانت لدى المسلمين. و إذن فليس ثمه ما يخيف، و ليس هنالك ما يثير قلقا ..

أما هـم- اعنى بنى النضير- فيجدون فى أنفسهم القوه و المنعه،

و لهم حلفاء كثيرون، و كثيرون جدا.

و بعد كل ما تقدم، فقد جاء موقف الإسلام، المتمثل فى موقف رسوله الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، فى دقته، و فى ثاقب بصيرته- قد جاء- على خلاف ما يتوقعون، و بغير ما يريدون و يشتهون.

فقد رأى المسلمون، من خلال الموقف النبوى الحازم و القوى: أن النصر فى بدر، و كذلك الضربه القاسيه التى نزلت فى أحد، لابد أن تعمق فيهم إيمانهم، و ارتباطهم باللّه سبحانه، و تقوى من صمودهم، و تشد من عزائمهم، و قد جعلهم هذا النصر، و تلك المأساه يشعرون بمسؤوليه أكبر تجاه الرساله، حيث أصبحوا فى موقع التحدى السافر لكل مظاهر الظلم و الجبروت و الطغيان و مصادره.

و عليهم من الآن فصاعدا أن يطردوا من آفاقهم كل مظاهر الضعف، و أن ينقّوا أجواءهم من جميع عوامل التشرذم و التشتت، و أن يبعدوا عن واقعهم و عن علاقاتهم، جميع مصادر الخلل، و عدم الإنسجام.

فالتحدى كبير، و المسؤوليات جليله و خطيره، فلا بد من الاستعداد و لا بد من التصدى، بصوره أعمق، و اوثق و أوفق، ما دام أنهم قد وصلوا الى نقطه اللارجوع، و أصبح الثمن غاليا، و هو دماء زكيه، و أرواح طاهره، و نقيه، فالحفاظ على القضيه، و على منجزاتها، التى دفعوا ثمنها جزء من وجودهم و من ذواتهم و أرواحهم أمر حتمى، إذ أن التخلى عنها يساوق التخلى عن الحياه و عن الوجود، و عن كل شى ء.

و قد اتضح لديهم: أن أى تراجع أمام التحديات الكبيره الراهنه، لسوف تلحقه تراجعات أعظم، و يستتبع انحسارا أكبر عن كثير من المواضع و المواقع الحساسه، لصالح كل الاعداء و الطامعين، فى منطقه العمل و الكفاح الاسلامى المقدس.

كما أن هذا التراجع و الانحسار لسوف يزيد من اشتهاء الآخرين

للحصول على المزيد من المكاسب، و يضاعف من تصلبهم و شدتهم فى مواجهه المد الاسلامى العارم. و لسوف تنتعش الآمال، و تحيا الأمانى، باضعاف هذا المد تدريجا، ثم القضاء عليه قضاء مبرما و نهائيا فى الوقت المناسب. و أما بالنسبه الى أولئك الذين يميلون الى الدخول فى هذا الدين الجديد، فإنهم حين يرون ضعفه، و تراجعه، و قوه خصومه و شوكتهم. لسوف يجدون فى أنفسهم المبررات الكافيه للتأنى و التريث بانتظار المستجدات، و ما ستؤول إليه الأمور.

و لربما يتشجع الكثيرون أيضا على نقض تحالفاتهم، التى كانوا قد عقدوها مع المسلمين ما دام أن ذلك لن يستتبع خطرا، و لا يصطدم بصعوبات ذات بال ..

كما أن الآخرين الذين يعيشون حاله الترقب سوف لا يجدون فى أنفسهم حاجه لعقد تحالفات و معاهدات مع المسلمين فى هذه الظروف المستجده.

و أخيرا، فإننا نضيف الى كل ما تقدم: أن من الطبيعى أن يكون خوض معركه كبيره مع اليهود. و ربما مع كثير من حلفائهم، الذين قد يتشجعون لمساعده اليهود بعد طول المده، و بعد إحساسهم بقوتهم و صلابتهم فى وجه الحصار، و بضعف فى موقف المسلمين- سوف يوجب ان تلحق بالمسلمين خسائر كبيره، ماديه و بشريه، لو أمكن توفيرها لما هو أهم لكان أجدر و أولى.

فاذا استطاع النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمون كسر عنجهيّه و غزو بنى النضير قبل ان يستفحل الامر، و افهامهم- و من هو على مثل رأيهم- مدى التصميم على المواجهه و التحدى، حتى يفقدوا الامل بجدوى المقاومه، و ليفهموا- بصوره عمليه- أنهم اذا كانوا يطمعون بالبقاء فى أرضهم، فان عليهم ان يقبلوا بها أرضا محروقه، جرداء، ليس فيها اى

أثر للحياه، و لا تستطيع ان توفر لهم حتى لقمه العيش التى لابد منها.

هذا فيما لو قدر لهم أن يحتفظوا بالحياه، و يخرجوا أو بعضهم سالمين من هذه الحرب التى جروها على أنفسهم ..

نعم .. إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اذا استطاع ذلک، فانه يكون قد وفر على نفسه، و على الإسلام و المسلمين الكثير من المتاعب، و المصاعب، و المصائب، التى ألمحنا اليها.

و هذا هو ما اختاره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فعلا، و بادر اليه عملا. فكان قطع النخيل و حرقه يمثل قطع آخر آمالهم، و تدمير كل أمانيهم، و غايه ذلهم و خزيهم. و رأوا حينئذ: ان لا فائده من الاستمرار فى اللجاج و التحدى إلا تكبد المزيد من الخسائر، و مواجهه الكثير من النكسات ..

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا قوله تعالى فى تعليل اذن اللّه سبحانه بقطع النخل: .. وَ لِيُخْزِىَ الْفاسِقِينَ.

فقد كان قطع النخل ضروريا و لازما، من اجل قطع آمال بنى النضير، و كل آمال غيرهم أيضا، و خزيهم و خزى سائر حلفائهم، و على رأسهم ابن أبى، و من معهم من المنافقين، ثم كل من يرقب الساحه، و يطمع فى ان يستفيد من تحولاتها فى تحقيق مآربه ضد الإسلام، و المسلمين.

و من هنا نعرف السر فى قوله تعالى: لِيُخْزِىَ الْفاسِقِينَ بدل:

(الكافرين)، من اجل ان يشمل الخزى كل من يسوءه ما جرى لبنى النضير، حتى أولئک الذين يتظاهرون بالإسلام، أو بالموده الكاذبه للمسلمين.

و هذ ما يفسر لنا الإهتمام الكبير الذى أولاه سبحانه لموضوع قطع النخل، حتى لقد خلده فى آيه قرآنيه كريمه. فإن القضيه كانت أكبر من

بنی النضیر، و أخطر، حسبما أوضحناه.

المهاجرون!! و قطع النخل:

بقی علینا ان نشیر هنا إلی أن البعض یذکر: أن المهاجرین هم الذین اختلفوا فیما بینهم حول قطع النخل.

فعن مجاهد، قال: نهی بعض المهاجرین بعضا عن قطع النخل، قالوا: إنما هی مغانم للمسلمین (۱).

و نلاحظ: ان هذا بالذات کان رأی عبد اللّه بن سلام، الذی کان یهودیا فأسلم، رغم ان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کان قد أمره بقطع النخل، فعلل إختیاره للردی ء بذلک کما ذکرنا.

و لنا ان نتساءل هنا:

لماذا المهاجرون هم الذین ینهون عن ذلک؟!

و لماذا لم یکن فیهم أحد من الانصار؟ سوی ابن سلام!! و ربما رجل آخر أیضا!!

فهل أدرک المهاجرون أمرا عجز الانصار عن إدراکه؟! أم أنهم قد اتخذوا هذا الموقف إنطلاقا من مصالح رأوا أنها لربما تفوتهم، لو استمر الأمر علی النحو الذی خطط له رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟!

أم أنه قد کانت ثمه خلفیات أخری، لم یستطع التاریخ أن یفصح لنا عنها، لسبب، أو لآخر؟!

و اذا کانت النصوص کلها تقریبا تؤکد علی ان الرسول الاعظم نفسهل.

۱- جامع البیان ج ۲۸ ص ۲۳ و ۲۲ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۳ و فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۶ و أحکام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ عن عبد الرزاق، و عبد بن حمید و ابن المنذر، و البیهقی فی الدلائل.

هو الذی أمر بقطع نخلهم (۱) .. فإن معنی ذلک هو ان اعتراض هذا الفریق من المهاجرین قد کان متوجها الی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالذات. و ان الفریق الآخر منهم إنما کان ینفذ امر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و لا نملک هنا إلا التذکیر بأنه قد سبق لبعض المهاجرین: ان اعترضوا علی رسول اللّه، حینما اراد قتل اسری بدر، و اصروا علیه فی ترک ذلک، حتی نزل القرآن مصوبا رأیه (صلی اللّه علیه و آله).

و لکنهم لم یقنعهم ذلک، رغم أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أخبرهم: أنه سیقتل بعدتهم فیما بعد، لوتم إطلاق سراحهم .. و هکذا کان.

و قد سجلنا بعض الشکوک و التساؤلات حول موقف بعض المهاجرین فی حرب أحد (۲) فلا نعید.

و مهما یکن من امر، فإننا لا نستطیع أن نفهم موقف هذا الفریق من المهاجرین هنا، و کذلک موقف بعضهم فی بدر، و أحد، بصوره ساذجه و لا أن نفسره بطریقه سطحیه، ما دام أن الدلائل تشیر إلی خلفیات، و دوافع غیر معلنه، و لا ظاهره، یؤثر الوقوف علیها فی استجلاء کثیر من الحقائق، و الوقوف علی بواطن و کوامن کثیره، و لربما علی مبهمات خطیره، تؤثر علی فهمنا العام لکثیر من المواقف فی حیاه العدید من الشخصیات التی کان لها دور مرموق فی کثیر من الأحداث الخطیره فی التأریخ الاسلامی.

و خلاصه الامر: إن البحث الموضوعی یقضی بتقصّی النصوص۵.

۱- قد تقدمت المصادر لذلک.

۲- راجع هذا الکتاب ج ۴ ص ۲۸۳- ۲۸۵.

و المواقف و استنطاقها، لمعرفه مدی تعاطف بعض المهاجرین مع قومهم المکیین، و مع یهود المدینه، لیمکن لنا تقییم مواقفهم، و فهم معانی کلماتهم، و إشاراتها و مرامیها، بصوره أدق و أعمق، و لیکون تصورنا أقرب إلی الواقع، و اکثر شمولیه، و اتم و أوفی.

و فی إشاره خاطفه نذکّر: باننا قد تحدثنا عن أن المهاجرین کانوا یشکلون تکتلا مستقلا، له تطلعاته و طموحاته، و له فکره المتمیز فی آفاقه و فی خصائصه، و لا سیما فی ما یرتبط بالسیاسه و الحکم و التخطیط له.

أما الانصار، فلم یکونوا کذلک، بل کانوا فریقا آخر، یحرم من إهتمامات الحکام، و یستثنی من مختلف الامتیازات، إلا حیث یحرج الحاکم، و لا یجد من ذلک بدا و لا مناصا. و قد روی عن الخلیفه الثانی، عمر بن الخطاب قوله:

أوصی الخلیفه بعدی بالمهاجرین الأولین: ان یعرف لهم حقهم، و یحفظ لهم حرمتهم. و أوصیه بالانصار، الذین تبوّؤا الدار و الایمان من قبلهم: أن یقبل من محسنهم، و یتجاوز عن مسیئهم (۱).

فیلاحظ: الفرق النوعی فیما یطلبه ثانی الخلفاء ممن یلی الامر بعده بالنسبه لهؤلاء، و بالنسبه لاولئک.

و علی هذا الأساس، و من منطلق هذه الفوارق جاء قول ابن أبی لیلی: الناس علی ثلاثه منازل: المهاجرون، و الذین تبوؤا الدار و الایمان، و الذین جاؤا من بعدهم: فاجهد: ألا تخرج من هذه المنازل.

و قال بعضهم: کن شمسا، فان لم تستطع، فکن قمرا فان لمه.

۱- فتح القدیر ج ۵ ص ۲۰۲ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۲۸ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۷، و أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۷۵ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۵ عن البخاری، و ابن أبی شیبه، و ابن مردویه.

تستطع فكن كوكبا مضيئا؛ فان لم تستطع فكن كوكبا صغيرا، و من جهه النور لا تنقطع.

و معنى هذا: كن مهاجريا، فان قلت: لا أجد، فكن أنصاريا، فان لم تجد فاعمل كأعمالهم الخ (۱).

و لا ـ نـدرى من اين جاءت هـذه الطبقيه، و كيف قبـل النـاس هـذا التميز الـذى لا ـ يقوم على تقوى اللّه، و إنمـا على عنـاوين و خصوصـيات فرضـتها طبيعه التحرك فى مجال نشـر الـدعوه و تركيزها. و يوضـح ذلك ان عمر بن الخطاب حين خطب بالجابيه قـال: (و من أراد أن يسـأل عن المال فليأتنى، فان اللّه تعالى جعل له خازنا و قاسـما. ألا و إنى باد بأزواج النبى (صـلى اللّه عليه و آله) فمعطيهن، ثم المهاجرين الأولين، أنا و أصحابى، أخرجنا من مكه من ديارنا و أموالنا) (۲).

و مهما يكن من امر فانك تجـد فى كتابنا هذا إشارات و نصوص كثيره فى مواضع مختلفه توضح ما عانى منه الانصار، و اختص به المهاجرون، و استيفاء البحث فى هذا يحتاج الى توفر تام، و تأليف مستقل.

التصويب فى الاجتهاد:

لقـد اسـتدل البعض بقوله تعـالى: مـا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَهٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهـا قـائِمَهً عَلى أُصُولِهـا، فَبِإِذْنِ اللَّهِ، وَ لِيُخْزِىَ الْفاسِقِينَ على جواز الاجتهاد، و على تصويب المجتهدين (۳).عن

۱- الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳۱.

۲- الجـامع لأحكـام القرآن ج ۱۸ ص ۲۰ و حول مصـادر تميز عمر بين النـاس فى العطـاء، و تفضـيل بعضـهم على بعض راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى.

۳- فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸ عن

کما و استدلوا علی جواز الاجتهاد بحضره الرسول، و علی أن کل مجتهد مصیب، بالروایه التی تقول.

إن رجلین، أحدهما کان یقطع العجوه، و الآخر اللون، فسألهما (صلی اللّه علیه و آله) فقال هذا: ترکتها لرسول اللّه. و قال هذا: قطعتها غیظا للکفار (۱).

و نقول:

إن الإستدلال بما ذکر لا یصح، و ذلک لما یلی:

۱- بالنسبه للاستدلال بالروایه علی التصویب فقد قال ابن العربی (و هذا باطل، لان رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم کان معهم، و لا اجتهاد مع حضور رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم) (۲).

۲- إن الروایه المذکوره لم تصرح بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أمضی اجتهادهما، أم لا. حیث إنها ذکرت اعتذارهما للنبی (صلی اللّه علیه و آله)، کل واحد منهم بما ذکر، و سکتت عن قراره (صلی اللّه علیه و آله) بهذا الشأن، فهل اید هذا الفریق؟ أو ذاک؟ أو لم یؤید أیا منهما؟ کل ذلک لا دلیل علیه، و لا شی ء یشیر إلیه.

۳- إنه- لو فرض ان هذا اجتهاد- فإنما هو اجتهاد بالتطبیق، فواحد یری: أن هذا جائز، لأن فیه نکایه فی العدو، و النکایه فی العدو، و اغاظته مطلوبه منه و واجب علیه. و ذاک یری: ان تقویه المسلمین مطلوبه، و أن۸.

۱- التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۳ و الکشاف ج ۴ ص ۵۰۱ و ۵۰۲ و قد تقدم اسم هذین الرجلین، و مصادر موقفهما هذا فلیراجعه من أراد.

۲- أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۹ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۸.

فی الاحتفاظ بالنخل تقویه لهم، و عمل بالحکم الشرعی.

فلیس ثمه إجتهاد فی حکم شرعی کلی من الاحکام الخمسه، و إنما هم مختلفون تشخیص موضوع الحکم الشرعی ای فیما هو المصلحه لهم، و ما فیه نکایه فی العدو ..

۴- من الذی قال: إن هؤلاء الذین اختلفوا فی قطع النخل و عدمه، کانوا قد بلغوا رتبه الاجتهاد، فلعل أحدا منهم لم یکن قد بلغ هذه المرتبه الشریفه، و لعل احد الفریقین قد بلغها دون الاخر، و لعل و لعل.

۵- إنه إذا کان الرسول (صلی اللّه علیه و آله) هو الذی امر بقطع النخل، کما صرحت به النصوص المتقدمه عن مصادر کثیره جدا فان الاستدلال علی جواز الاجتهاد و التصویب فیه بالآیه الکریمه یصبح فی غیر محله، و ذلک لأن عدم القطع یصیر اجتهادا فی مقابل النص، بل هو عصیان لامر الرسول، و شک فی صواب ما یصدر منه (صلی اللّه علیه و آله). و لعله (صلی اللّه علیه و آله) قد امرهم بقطع نوع من النخیل، فلم یعجبهم ذلک، فعصوا الامر.

۶- إن التصویب باطل، و لا یصح، لا عقلا، و لا شرعا، و قد تکلم الاصولیون علی هذا الأمر بالتفصیل، فمن أراد الوقوف علی ذلک فلیراجع المطولات (۱).

هذا الشعر لمن؟!

قال السمهودی:- کما قال غیره-: (و لما حرق رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نخلهم) قال حسان رضی اللّه عنه یعیر قریشا من أبیات:

و هان علی سراه بنی لؤی حریق بالبویره مستطیر ۵.

۱- فرائد الأصول، للشیخ الأنصاری ص ۲۵.

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، و لم يكن أسلم حينئذ:

أدام اللّه ذلك من صنيع و حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه و تعلم أى أرضينا تضير أى ستعلم أينا منها ببعد، و أى الارضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير، أى الضرر، لان بنى النضير إذا خرجت اضرت بما جاورها، و هو أرض الأنصار، لا أرض قريش.

و نقل ابن سيد الناس، عن أبى عمرو الشيبانى: ان الذى قال البيت المتقدم، المنسوب لحسان هو ابو سفيان بن الحارث، و أنه لما قال:

و عز على سراه بنى لؤى. بدل: هان قال: و يروى (بالبويله) بدل (بالبويره) و أن المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان.

و ما قدمناه هو روايه البخارى.

قال ابن سيد الناس: و ما ذكره الشيبانى اشبه.

قلت كأنه استبعد ان يدعو ابو سفيان فى حاله كفره على ارض بنى النضير، و قد قدمنا وجهه (۱). انتهى كلام السمهودى.

و لكننا بدورنا نؤيد ما ذكره ابن سيد الناس، و ذلك لأن تفسير السمهودى للبيت الثانى غير مفهوم، فان حريق النخل لا يلزم منه لحوق الضرر بأراضى الأنصار. كما أن تفسيره، الذى ذكره لا ـ يدفع كلام ابن سيد الناس، و ذلك لأن البيت الاول من بيتى الجواب، فيه الدعاء و الطلب۳.

۱- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و ۲۹۹ و راجع: شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵، عن ابن سيد الناس، و الجواب عن ابن حجر و عمده القارى ء ج ۱۷ ص ۱۲۹ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۷ و ۲۵۸ و معجم البلدان ج ۱ ص ۵۱۲ و ۵۱۳.

من اللّه ان يديم هذا الصنيع. و ظاهره: ان ذلك الدعاء يصدر من رجل محب و موال و موافق على هذا الحريق ..

كما ان من البعيد أن يكون قد وصل خبر حرق النخل الى مكه، ثم وصل شعر حسان اليهم، و أجابوا عليه بالطلب من اللّه إدامه هذا الامر من أجل أن تحترق أراضى الأنصار. فان أمر بنى النضير قد فرغ منه خلال أيام.

و من جهه أخرى فإن البيت الاول يناسبه كلمه و عز؛ لأن سراه بنى لؤى- و هم مشركوا مكه- يعز عليهم حدوث هذا الحريق فى بنى النضير، و لا يهون عليهم .. إلا إذا كان يقصد بسراه بنى لؤى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و من معه.

أو كان يقصد: أن هذا الحريق لا تهتم له قريش و لا يضرها بشى ء، فأجابه حسان بأن ذلك سوف يضيرهم قطعا، و لن تتضرر أرض الأنصار منه.

و مهما يكن من أمر، فإنه لم يتضح لنا وجه تقويته لأن يكون البيت الأول لحسان .. و البيتان الآخران لأبى سفيان بن الحارث ..

و لعل كلام ابن سيد الناس أولى بالقبول، و أقرب إلى اعتبارات العقول ..

و أخيرا .. فقد قال العينى: فى ترجيح قول ابن سيد الناس: (يصلح للترجيح قول أبى عمرو الشيبانى، لأنه أدرى بذلك من غيره على ما لا يخفى على أحد) (۱).۹.

۱- عمده القارى ء ج ۱۷ ص ۱۲۹.

ص: ١٣٣

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى

اشاره

تحسبهم جميعا، و قلوبهم شتّى:

قال تعالى: لاـ يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَهٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (۱).

قد أعطت هذه الآيه الشريفه تصوّرا متكاملا عن حاله أولئك الذين لا يملكون صفه الإيمان، حيث أرجعت هذه الحاله إلى عللها و أسبابها، و ربطتها بمناشئها الحقيقيه، بصوره واضحه و دقيقه.

و لا نريد أن نستعرض هنا كل ما تعرضت له الآيه تصريحا، أو تلويحا، فإن ذلك يحتاج الى توفر تام، و تأمل و دقه و جهد، لا نجد لدينا القدره على توفيره فعلا، و إنما نريد ان نسجل هنا حقيقه واحده، نحسب أن الإلفات إليها يناسب ما نحن بصدده، و هی:

أن النظره الماديه للحياه، و عدم الإيمان بالآخره، أو عدم تعمق الايمان بها يجعل الإنسان يقيس الامور بمقياس الربح و الخساره فی الدنيا. و هذا- بنظره- هو الذی يعطيها القيمه، أو يفقدها إياها، و لتصبح الحياه الدنيا- من ثم- هی الغايه، و هی النهايه، و هی كل شی ء بالنسبه الى هذا النوع من الناس، فاذا فقدها، فلا شی ء له بعد ذلک على الإطلاق. و يصبح شخصه كفرد هو المعيار و الميزان للصلاح و الفساد،۱۴

۱- الحشر: ۱۴

و للحسن و القبيح، و للواجب و الحرام، فهو لا يمارس شيئا و لا يرتبط بشى ء إلا بمقدار ما يجر إليه نفعا، أو يدفع عنه شرا و ضرا. و تفقد الحياه الاجتماعيه معناها و مغزاها إلا فى الحدود التى تخدم وجود الفرد، و مصالحه، فهو مع الناس، و إنما لاجل نفسه، و هو وحده لا ـ شريك له، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من اجله و فى خدمته. و يجب أن يضحّى بكل غال و نفيس فى سبيله، فهو القيمه لكل شى ء، و ليس لأى شى ء آخر أيه قيمه تذكر.

و على هذا، فإن جميع القيم تسقط، و يبقى هو فلا معنى للتضحيه إلا إذا كانت من الآخرين من أجله، و لا معنى للإيثار إلا إيثار الآخرين له على أنفسهم. و لا معنى للشهاده فى سبيل اللّه إلا إذا نالت الآخرين دونه، و لا معنى للحق و للباطل، و للغدر و الوفاء، و للصدق و الكذب و و و الخ ... إلا من خلال ما يجلب له نفعا، أو يدفع عنه ضرا و شرا.

و إذا كان مع الجماعه فانه لا يشاركهم فى شى ء، و لا يهمه من أمرهم شى ء، بل هو يريد منهم أن يدفعوا عنه، و يموتوا من أجله و فى سبيله.

و هذا بالذات ما يفسر لنا قوله تعالى: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى.

نعم .. إن قلوبهم (شتى) بكل ما لهذه الكلمه من معنى لأنهم لا يفكرون فى شى ء واحد، و إنما هم يفكرون بأشياء متباينه، و متعدده، بعددهم جميعا، فنفس كل فرد منهم تخضع لفكرين متناقضين فصاحبها يفكر فى حفظها، و بقائها، و كل من معه يفكرون فى إتلاف هذه النفس من أجل حفظ وجودهم هم دونه. و هكذا الحال بالنسبه لنفس كل فرد منهم، و إذا فكر أحد منهم بحفظ نفوس الآخرين، فإنما ذلك حين

یری فیه ضمانه لبقائه، و حفظ نفسه هو أولا.

و ذلک یوضح لنا أیضا السر فی أن هؤلاء لا یقاتلون المؤمنین إلا من وراء جدر، أو فی قری محصنه، حسبما أوضحته الآیه الشریفه.

و ما ذلک إلا لأن هؤلاء لا یعقلون معنی الحیاه و أسرارها، و لا حکمه الخلق و أهداف الوجود، فإن ذلک إنما جاء وفق المعاییر، و الأحکام العقلیه و الفطریه، فهو لا یشذ عنها، و لا یختلف و لا یختلف عن أحکامها و مقتضیاتها.

و لو أنهم فکروا و اطلقوا عقولهم من عقال الهوی، لأدرکوا ذلک کله، و لتغیرت نظرتهم للکون و للحیاه، و لعرفوا بعضا من أسرار الخلق و الوجود، و لتبدلت المعاییر و القیم، التی کانت تستند إلی أوهام و خیالات، و تؤکدها و تفرضها الفطره الخالصه عن الشوائب، و البعیده عن تجاذب الاهواء.

إذن .. فعدم التزامهم بهدی العقل، و رفضهم الانصیاع لأحکامه، هو أصل البلاء، و سبب العناء، و هو ما أکدته الآیه الکریمه، التی أرجعت حالتهم التی هی غایه خزیهم و ذلهم الی ذلک، فهی تقول: ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَعْقِلُونَ.

الیهود و المنافقون لا ینصرون حلفاءهم:

و نلاحظ هنا: ان المعاهدات التی کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) یبرمها مع الیهود، لم یظهر الیهود فیها وحده متکامله، بل کانوا شیعا و احزابا فقد عاهد (صلی اللّه علیه و آله) کل قبیله منهم علی حده: النضیر و قینقاع و قریظه، و کذلک الحال بالنسبه لخیبر و فدک و غیر ذلک، و معنی ذلک هو أنهم کانوا فیما بینهم شیعا و أحزابا.

و یلاحظ أیضا: ان أیا من قبائلهم لم تنهض للدفاع عن القبیله

الأخری. کما ان أحلافهم من غطفان، و من المنافقین، لم یهبّوا لنصر أی من القبائل و الجماعات التی حالفوها و وعدوها النصر، و هو ما نص علیه اللّه تعالی حین قال عنهم: أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ نافَقُوا یَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَکُمْ وَ لا نُطِیعُ فِیکُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّکُمْ وَ اللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا یَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا یَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَیُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا یُنْصَرُونَ (۱) ...

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِی صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ (۲). و قد علم معنی الآیات مما قدمناه.

و عن علی (علیه السلام) أنه قال: المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء، و إن افترقت منازلهم، و الفجره بعضهم لبعض غششه خونه، و إن اجتمعت أبدانهم (۳)،

و کان مما قاله سلام بن مشکم لحیّ بن أخطب حول وعد ابن أبی لهم بالنصر:

(لیس قول ابن أبی بشی ء، إنما یرید ابن أبی: أن یورطک فی الهلکه، حتی نحارب محمدا، ثم یجلس فی بیته و یترکک. قد أراد من کعب بن اسد النصر، فأبی کعب، و قال: لا ینقضن العهد رجل من بنی قریظه و أنا حی. و إلا فان ابن أبی قد وعد حلفاءه من بنی قینقاع مثل ما وعدک حتی حاربوا و نقضوا العهد، و حصروا أنفسهم فی صیاصیهم، و انتظروا نصره ابن أبی، فجلس فی بیته، و سار محمد إلیهم، فحصرهمی.

۱- الحشر: ۱۱ و ۱۲.

۲- الحشر: ۱۳.

۳- الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۹ عن الدیلمی.

حتی نزلوا علی حکمه.

فـابن أبی لا ینصـر حلفاءه، و من کان یمنعه من الناس کلهم، و نحن لم نزل نضـر به بسـیوفنا مع الأوس فی حربهم کلها، إلی أن تقطعت حربهم، فقـدم محمـد فحجز بینهم. و ابن أبی لاـ یهودی علی دین یهود، و لاـ علی دین محمـد، و لا هو علی دین قومه، فکیف تقبل منه قولا قاله؟

قال حیی: تأبی نفسی إلا عداوه محمد و إلا قتاله ..

قال سلّام: فهو و اللّه جلاؤنا من أرضنا إلخ ..) (١)

و یلاحظ من کلام سـلّام: أنه کان یشک فی نوایا عبـد اللّه بن أبی تجاههم .. و مما یؤکـد هـذه التهمه قول الواقـدی بعـد ذکره إرسال ابن أبی إلی قریظه یطلب منهم نصر إخوانهم من بنی النضیر، و رفضهم لذلک:

(فیئس ابن أبی من قریظه، و اراد أن یلحم الأـمر فیمـا بین بنی النضـیر، و رسول اللّه، فلم یزل یرسـل الی حیی، حتی قال حیی: أنا أرسل إلی محمد اعلمه: أنا لا نخرج من دارنا و من أموالنا إلخ ...) (٢).

فصدق اللّه العظیم.

و صدق رسوله الکریم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و صدق أمیر المؤمنین علی (علیه الصلاه و السلام).

و صدق الائمه من ولده صلوات اللّه علیهم أجمعین.

یخربون بیوتهم بأیدیهم:

هناک أقوال کثیره فی بیان المراد من قوله تعالی عن بنی النضیر:٨.

١- مغازی الواقدی ج ١ ص ٣٦٩ و السیره الحلبیه ج ٢ ص ٢٦۴.

٢- مغازی الواقدی ج ١ ص ٣۶٨.

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ (۱).

و نحن نشير هنا إلى بعضها، فنقول:

قال البعض: (يخربونها من داخل (أى ليهربوا) و يخربها المؤمنون من خارج (أى ليصلوا إليهم). و قيل: معنى بأيديهم: بما كسبت أيديهم من نقض العهد، و أيدى المؤمنين، أى بجهادهم) (۲).

و لعل هذا القول هو الذى أشار إليه الزجاج حين قال: معنى تخريبها بأيدى المؤمنين: أنهم عرضوها لذلك (۳).

و كان المسلمون يخربون ما يليهم و يحرقون حتى وقع الصلح (۴).

و قال البعض: (كانوا ينظرون الى منازلهم فيهدمونها، و ينزعون منها الخشب، ما يستحسنونها، فيحملونها على إبلهم، و يخرب المؤمنون بواقيها .. الى ان قال:

قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمد، و ينقضون السقف، و ينقبون الجدر، و ينزعون الخشب حتى الاوتاد، و يخربونها، حتى لا يسكنها۴.

۱- سوره الحشر: ۲

۲- راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و ۵ و أحكام القرآن لإبن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۶ و راجع الكشاف ج ۴ ص ۴۹۹ و القول الأول موجود فى التبيان ج ۹ ص ۵۵۸ و كذا فى جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۰ و راجع: غرائب القرآن بهامشه ج ۲۸ ص ۳۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارك التنزيل بهامش نفس الصفحه.

۳- مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۱ عنه و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و راجع: مدارك التنزيل ج ۴ ص ۲۴۵ بهامش لباب التأويل و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۱ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۰.

۴- مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.

المؤمنون، حسدا و بغضا) (۱).

و قیل: ان سبب خرابهم لبیوتهم حاجتهم إلی الخشب و الحجاره، لیسدوا بها أفواه الازقه، و ان لا یتحسروا بعد جلائهم علی بقائها للمسلمین، و أن ینقلوا معهم ما کان فی أبنیتهم من جید الخشب، و الساج الملیح.

أما المؤمنون فداعیهم إزاله متحصنهم و ممتنعهم، و ان یتسع لهم مجال الحرب (۲).

و قال القمی: (و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إذا ظهر بمقدم بیوتهم، حصنوا ما یلیهم، و خربوا ما یلیه، و کان الرجل ممن کان له بیت حسن خربه ..) (۳).

و ثمه أقوال أخری فی المقام، و بعضها یرجع إلی ما تقدم.

منها: قول عکرمه: إن منازلهم کانت مزخرفه، فحسدوا المسلمین ان یسکنوها، فخربوها من داخل، و خربها المسلمون من خارج (۴).

و قول آخر: أنه کلما هدم المسلمون شیئا من حصونهم، جعلوا٠.

۱- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۲ و راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۶ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۴ عن الزهری و عروه ابن الزبیر، و ابن زید و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۱- ۲۸۰ و قول ابن زید فی غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البیان ج ۲۸ ص ۳۵ و کذا فی فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۶.
۲- الکشاف ج ۴ ص ۴۹۹- ۵۰۰ و مدارک التنزیل، مطبوع بهامش لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و راجع: غرائب القرآن بهامش جامع البیان ج ۲۸ ص ۳۵.
۳- تفسیر القمی ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۹ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسیر البرهان ج ۴ ص ۳۱۳.
۴- الجامع الأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۵ و راجع: التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۰.

ينقضون بيوتهم، و يخربونها ليبنوا ما هدم المسلمون (۱).

و قول ثالث: انهم كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها، لتتسع لهم المقاتل، و جعل اليهود ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التى بعدها، فيتحصنون فيها، و يكسرون ما يليهم، و يرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلما كادت اليهود أن تبلغ آخر دورها، و هم ينتظرون المنافقين، حتى يئسوا منهم طلبوا الصلح (۲).

و ثمه قول رابع: أنهم دربوا الأزقه و حصونها، فنقضوا بيوتهم، و جعلوها كالحصون على أبواب الازقه، و كان المسلمون يخربون سائر الجوانب (۳).

الى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها و استقصائها.

نجاف الباب و وصيه موسى:

تنص الروايات على أن الرجل من بنى النضير كان يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره، فينطلق به (۴). ۲

۱- فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۱ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴.

۲- راجع المصادر التاليه: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۷ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۷ عن البيهقى فى الدلائل، و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارك التنزيل بهامشه، نفس الصفحه، و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و ۵ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۵.

۳- التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۰.

۴- راجع على سبيل المثال: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۴ و الإكتفاء ج ۲

و قد فسر البعض هذه الظاهره، فكتب يقول:

(هدم نجاف (۱) البيوت يتعلق بعقيده تلموديه معروفه، هى: أن كل يهودى يعلق على نجاف داره صحيفه تشتمل على وصيه موسى لبنى اسرائيل: أن يحتفظوا بالإيمان بإله واحد، و لا يبدلوه و لو عذبوا و قتلوا.

فاليهود حين ينزحون عن منازلهم يأخذونها معهم. و هى عاده متبعه عند اليهود إلى يومنا هذا.

و يظهر: أن يهود بلاد العرب كانوا يضعون تلك الصحيفه داخل النجاف، خوفا من إتلاف الهواء، أو مسّ الايدى فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت، و أخذوها ..) (۲).

روايات غير موثوق بصحتها:

و نحن نشك كثيرا فى عدد من الروايات التى تقدمت فى الفصل الأول من هذا الباب و فى غيره من الفصول، و التى تحاول أن تعطى لغزوه بنى النضير طابعا حربيا عنيفا، حتى ليذكر البعض منها: أن المسلمين كانوا يخربون بيوت بنى النضير من الخارج ليتسع لهم ميدان القتال، و كان بنو النضير يخربون بيوتهم من الداخل لأجل التحصين بها، و أنهم قد بلغوا أقصى دورهم، و هم على هذه الصفه.

إلى غير ذلك من نصوص و روايات تصب فى هذا الاتجاه ..ن.

۱- النجاف: ما بنى ناتئا فوق الباب، مشرفا عليه.

۲- اليهود فى القرآن ص ۷۸ عن كتاب: اليهود فى بلاد العرب ص ۱۳۸ تأليف: و لفنسون.

فإننا و إن كنا نقول: إنه قد كان ثمه حصار، و قطع للاشجار، و رشق بالنبل من قبل بنى النضير، و خراب للبيوت بأيدى بنى النضير، و بأيدى المؤمنين، ثم قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) عشره منهم، فدب الرعب فى قلوبهم، و اقتنعوا: أن لا طاقه لهم بالحرب، فآثروا الاستسلام و القبول بالجلاء ..

و أفاء اللّه على رسوله أراضيهم، و سوّغه أموالهم ..

و لكن الإصرار على إظهار جانب العنف و القتال و الحرب القويه و الضاريه من البعض، إنما هو لأجل الايحاء بأن أرض بنى النضير قد فتحت عنوه، و أن المسلمين قد أخذوها عن استحقاق، و لم يكن النبى (صلى اللّه عليه و آله) متفضلا عليهم فى إعطائهم إياها!!

و معنى ذلك هو أن المطالبه بها من قبل الورثه الحقيقيين للرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعد وفاته تصبح بلا معنى، و بلا مبرر ظاهر .. رغم أن القرآن قد صرح بأن أرضهم كانت فيئا، و أنها خاصّه برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لكن تبرير موقف السلطه، و التعتيم على مظالمها أهم و أولى من الحفاظ على القرآن، و أحكامه. بنظر هؤلاء المتحذلقين، الذين يستخدمون كل وسائل التزوير و التحوير و الإبهام فى خدمه أهوائهم و مصالحهم و اتجاهاتهم ..

ضيعوا حقها المبين بتزويرو هل عندهم سوى التزوير؟!

لأول الحشر:

اشاره

قد ذكرت سوره الحشر- التى يرى المؤرخون و المفسرون: أنها تتحدث عن حادثه بنى النضير، الذين أخرجهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)-: أن هذا هو أول الحشر لهم ..

و قد اختلفوا فی المراد من ذلک.

فروی موسی بن عقبه: أنهم قالوا: إلی أین نخرج یا محمد؟

قال: إلی الحشر.

یعنی: أرض المحشر، و هی الشام .. هذا فی الدنیا، و الحشر الثانی یوم القیامه إلی الشام أیضا (۱).

و قیل: إن أول الحشر هو إخراجهم من حصونهم إلی خیبر، و آخر الحشر إخراجهم من خیبر إلی الشام (۲).

و قیل: إنما قال لأول الحشر؛ لأن اللّه فتح علی نبیه (صلی اللّه علیه و آله) فی أول ما قاتلهم (۳).

و قیل: المراد بالحشر: الجلاء. و قد کان بنو النضیر من سبط من بنی إسرائیل لم یصبهم جلاء. زاد الطبرسی، و غیره: أن الحشر الثانی هو إخراج إخوانهم من جزیره العرب (أی علی ید عمر بن الخطاب) لئلا یجتمع فی جزیره العرب دینان (۴).۱۶

۱- راجع: مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و إرشاد الساری ج ۷ ص ۳۷۵ و راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۴ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه و التبیان ج ۹ ص ۵۵۷ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارک التنزیل بهامشه فی نفس الصفحه، و راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۳۵۱ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و ۳ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و راجع أیضا: فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و بعض من تقدم قد ذکر بعض ذلک دون بعض.

۲- فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و راجع: التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ و ۲۷۹.

۳- مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه.

۴- راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و عبد بن حمید، و البیهقی فی الدلائل، و أبی داود، و ابن المنذر، و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و ۲۱۶

و قيل: إن الحشـر الثانى، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن؛ فتحشر الناس إلى الموقف، تبيت معهم حيث باتوا؛ و تقيل معهم حيث قـالوا، و تأكل من تخلف (۱). و قـال العينى: (إن بنى النضـير أول من أخرج من ديارهم) (۲). و نقول: بـل أجلى بنو قينقاع قبلهم.

و قـال الكلبى: كـانوا أول من أجلى من أهل الـذمه من جزيره العرب ثم أجلى آخرهم فى زمن عمر بن الخطاب؛ فكان جلاؤهم أول حشر من المدينه، و آخر حشر إجلاء عمر لهم (۳).

قال السهيلى، بعد ذكره ما تقدم:

(.. و الآيه متضمنه لهذه الأقوال كلها، و لزائد عليها؛ فان قوله:

لأول الحشـر، يؤذن: أن ثم حشـرا آخر؛ فكـان هـذا الحشـر و الجلاء إلى خيبر، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء، و أريحا، و ذلك حين بلغه۶.

۱- الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۶ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارك التنزيل بهامشه فى نفس الصفحه و راجع: جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۰ و غرائب القرآن بهامشه ج ۲۸ ص ۳۴ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳ و أحكام القرآن لإبن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۴ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۹ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۸.

۲- عمده القارى ء ج ۱۷ ص ۱۲۶.

۳- فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۵ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۹ و راجع: التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و راجع: جوامع الجامع ص ۲۸۶.

التثبت عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم أنه قال: لا یبقین دینان بأرض العرب) (۱).

کما أن عبد الرزاق الصنعانی، بعد أن ذکر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد دفع خیبر إلی الیهود، علی أن یعملوا بها، و لهم شطرها قال:

(فمضی علی ذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم و أبو بکر، و صدر من خلافه عمر، ثم أخبر عمر: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قال فی وجعه الذی مات فیه: لا یجتمع بأرض الحجاز- أو بأرض العرب- دینان؛ ففحص عن ذلک حتی وجد علیه الثبت، فقال:

من کان عنده عهد من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فلیأت به، و إلا فإنی مجلیکم.

قال: فأجلاهم). و کذا ذکر غیر عبد الرزاق أیضا (۲).

و قد نص المؤرخون علی أن عمر أجلی من یهود من لم یکن معه عهد من رسول اللّه (۳).

و نقول:۹.

۱- الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و ستأتی مصادر أخری.
۲- المصنف للصنعانی ج ۴ ص ۱۲۶ و راجع ج ۱۰ ص ۳۵۹ و ۳۶۰ و راجع: مغازی الواقدی ج ۲ ص ۷۱۷ و السیره النبویه لإبن هشام ج ۳ ص ۳۷۱ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۱۹ و السیره النبویه لإبن کثیر ج ۳ ص ۴۱۵ و عمده القاری ء ج ۱۳ ص ۳۰۶ و فتح الباری ج ۵ ص ۲۴۰ عن ابن أبی شیبه و غیره، و الموطأ (المطبوع مع تنویر الحوالک) ج ۳ ص ۸۸ و غریب الحدیث لإبن سلام ج ۲ ص ۶۷ و راجع وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰.
۳- راجع تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۲۱ و راجع: الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۲۲۴ و الإکتفاء ج ۲ ص ۲۷۱ و السیره النبویه لإبن کثیر ج ۳ ص ۴۱۵ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۱۹.

إن حـديث إجلاء عمر لليهود، حين بلغه الثبت عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لا يجتمع بأرض العرب دينان، يحتاج إلى شى ء من البسط و التوضيح ..

و قد كنا نودّ إرجاء الحديث عن هذا الأمر الى وقعه خيبر، و لكن ما ذكره السهيلى و غيره هنا قد جعلنا نتعجل الإشاره الى بعض من ذلک، و لكننا قبل أن ندخل فى مناقشه هذا الأمر نشير الى أمرين:

الاول:

إن تصريح الروايه المتقدمه بأن الخليفه قد نفذ ما كان قد سمعه من النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى وجعه الذى مات فيه، يحتاج إلى مزيد من التأمل، بعد أن كان هو نفسه قد قال عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى نفس ذلک المرض: إنه يهجر، أو غلبه الوجع أو نحو ذلک .. (۱) و صرحت المصادر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد قال: اخرجوا المشركين من جزيره العرب. و أنه لا يجتمع فيها دينان، بعد قول عمر الآنف الذكر، و تنازعهم .

۱- الإيضاح: ص ۳۵۹ و تذكره الخواص ص ۶۲ و سر العالمين ص ۲۰ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۶۰ و ج ۴ ص ۵ و ۱۷۳ و ج ۱ ص ۲۱ و ۲۲ و ج ۲ ص ۱۱۵ و الملل و النحل ج ۱ ص ۲۲ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۷۵ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۵۹ و البدايه و النهايه ج ۵ ص ۲۲۷ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۲۴۴ و تاريخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۱۹۲ و ۱۹۳ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۳۲۰ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۵۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۵۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۶۴ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۵۵ و ۳۲۴ و ۳۲۵ و تاريخ ابن خلدون ج ۲ قسم ۲ ص ۶۲ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۳۴۴. و راجع المصادر التاليه: نهج الحق ص ۲۷۳ و الصراط المستقيم ج ۳ ص ۶ و ۳ و حق اليقين ج ۱ ص ۱۸۱ و ۱۸۲ و المراجعات ص ۳۵۳ و النص و الإجتهاد ص ۱۴۹- ۱۶۳ و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۶۳- ۷۰.

عنده (۱).

فمن غلبه الوجع، و من كـان يهجر- و العيـاذ بـاللّه- لاـ يوثق بمـا يقوله، و لا ينبغى الالتزام به، حتى ولو ورد بالطرق الصـحيحه و الصـريحه، نعوذ باللّه من الزلل و الخطل فى القول و العمل .. و عصـمنا اللّه من نسـبه ذلك لرسوله الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

الثانى:

إننا لا نريـد أن نسـجل إدانه صـريحه للخليفه الثانى، حول ما تـذكره الروايه من جهله بآخر أمر صدر من النبى الأكرم (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم)، حول وجود الاديـان فى جزيره العرب .. بأن نقول: إن ذلک لا يتناسب مع مقام خلافه رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله و سلم) ..

لاـ .. لا نريـد ذلك، لأننا نشک فى أن يكون الخليفه قـد اسـتند فى موقفه من اليهود إلى قول رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله و سلم) ..

و نحن نوضح ذلك فيما يلى:

سبب إخراج عمر لليهود:

إن من المسـلم به: أن النبى (صـلى اللّه عليه و آله) حين افتتح خيبرا قد أبقى اليهود فى شطر منها، يعملون فيه، و لهم شطر ثماره، ولكن عمر قد أخرجهم منها إلى تيماء و أريحا (۲).۱.

۱- راجع المصادر المتقدمه، فقد ذكر عدد منها ذلک، مثل صحيح البخارى و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۹ و ۳۲۱.
۲- راجع: صـحيح البخارى ج ۲ ص ۳۲ و ۱۲۹ صحيح مسلم ج ۵ ص ۲۷ و مسـند أحمد ج ۲ ص ۱۴۹ و وفـاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۵۸ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱.

و لکن ما ذکروه فی سبب ذلک، من أنه قد فعل امتثالاـ لأمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و تدینا منه، و التزاما بالحکم الشرعی، لا یمکن المساعده علیه، و لا الالتزام به، حیث اننا نشک فی ذلک، و ذلک لما یلی:

أ: لماذا لم یفعل ذلک ابو بکر، فهل لم یبلغه ذلک؟!

و الذین ابلغوا عمر بن الخطاب لماذا لم یبلغوا سلفه أبا بکر؟!

ب: قولهم: إن عمر لم یکن یعلم بلزوم إجلاء الیهود، حتی بلغه الثبت عن رسول اللّه ینافیه ما رواه مسلم عن جابر بن عبد اللّه قال:

أخبرنی عمر بن الخطاب: أنه سمع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول: لأخرجنّ الیهود و النصاری من جزیره العرب، حتی لا أدع إلا مسلما (۱).

فلماذا توقف عن إخراجهم، حتی بلغه الثبت عن رسول اللّه؟ الم یکن هو قد سمع ذلک من النبی (صلی اللّه علیه و آله) مباشره، فلماذا لم ینفذ ما سمعه؟!.

و لماذا أیضا لم یخبر عمر نفسه رفیقه و صدیقه الحمیم أبا بکر بهذا القول منه (صلی اللّه علیه و آله)؟! إلا أن یقال: إن هذا لا یدل علی أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد أمر الخلیفه بعده بذلک.

ج: إن ثمه حدیثا یفید: أن سبب إخراج عمر لیهود خیبر هو أنهم اعتدوا علی ولده، فقد روی البخاری و غیره:۹.

۱- صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۶۰ و الجامع الصحیح للترمذی ج ۴ ص ۱۵۶ و فیه: لإن عشت لأخرجنّ الیهود و النصاری من جزیره العرب. و کنز العمال ج ۴ ص ۳۲۳ عن ابن جریر فی تهذیبه و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۵ و ج ۱ ص ۲۹ و ۳۲ و المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۳۵۹.

عن ابن عمر، قال: لما فدع (۱) أهل خيبر عبد اللّه بن عمر، قام عمر خطيبا، فقال: إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم، و قال: نقركم ما أقركم اللّه. و ان عبد اللّه بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدى عليه من الليل، ففدعت يداه، و رجلاه، و ليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدوّنا و تهمتنا، و قد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلک أتاه أحد بنى الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، اتخرجنا، و قد أقرّنا محمد، و عاملنا على الاموال، و شرط ذلک لنا؟!

فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول اللّه: كيف بك إذا أخرجت من خيبر، تعدو بك قلوصک ليله بعد ليله؟!

فقال: كانت هذه هزيله (أى فرحه) من أبى القاسم.

فقال: كذبت يا عدو اللّه.

فأجلاهم عمر إلخ .. (۲).

و نشير فى هذه الروايه الى أمرين:

الأول: إنها تصرح بأن إجلاء اليهود كان رأيا من عمر، و ليس امتثالا لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). و أن الدافع له هو ما فعلوه بولده.۹.

۱- الفدع: زوال المفصل.

۲- صحيح البخارى ج ۲ ص ۷۷- ۷۸ و راجع المصادر التاليه: كنز العمال ج ۴ ص ۳۲۴ و عنه و عن البيهقى و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۵۲ و ۳۵۳ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۰۰ و ۲۲۰ و الإكتفاء ج ۲ ص ۲۷۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۱۶ و السيره النبويه لإبن كثير ج ۳ ص ۴۱۶ و السيره الحلبيه ج ۳ ص ۵۷ و ۵۸ و السيره النبويه لإبن هشام ج ۳ ص ۳۷۸ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۵ بنص أكثر تفصيلا، كما هو الحال فى بعض المصادر الآنفه الذكر و راجع ايضا: زاد المعاد لإبن القيّم ج ۲ ص ۷۹.

و من الواضح: أن ذلک لیس مبررا کافیا لذلک، فقد سبق للیهود أن قتلوا عبد اللّه بن سهل بخیبر، فاتهمهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمون بقتله، فأنکروا ذلک، فوداه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و لم یخرجهم بسبب ذلک (۱).

الثانی: إن ما نقله عمر لأحد بنی الحقیق، لم یکن هو المستند لإخراجهم، بل صرح عمر بأن ذلک کان لرأی رآه بسبب ما فعلوه بولده ..

کما أن إخبار النبی هذا لیس فیه ما یدل علی أنهم یخرجون بحق أو بغیر حق، و لا یفید تأیید هذا الإخراج و لا تفنیده، و لعل لأجل ذلک لم یستطع أن یستند إلیه الخلیفه فی تبریر ما یقدم علیه.

د: و فی بعض المصادر: أضاف إلی ما صنعوه بابن عمر، أنهم غشوا المسلمین (۲). و لا ندری إن کان یقصد: أن غشهم هذا کان بفعل مستقل منهم، أم أن ما فعلوه بابن عمر هو الدلیل لهذا الغش ..

قال دحلان: (استمروا علی ذلک إلی خلافه عمر (رض). و وقعت منهم خیانه و غدر لبعض المسلمین، فأجلاهم إلی الشام، بعد أن استشار الصحابه (رض) فی ذلک) (۳).۱.

۱- راجع: السیره النبویه لإبن هشام ج ۳ ص ۳۶۹ و ۳۷۰ و عمده القاری ء ج ۱۳ ص ۳۰۶ و الإصابه ج ۲ ص ۳۲۲ و فیه: أن هذا الحدیث موجود فی الموطأ و أخرجه الشیخان فی باب القسامه، و أسد الغابه ج ۳ ص ۱۷۹ و ۱۸۰ و الإکتفاء ج ۲ ص ۲۷۰ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۷۱۴ و ۷۱۵ و السیره الحلبیه ج ۳ ص ۵۷ و ۵۸.
۲- البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۰۰ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۳۵۲ و فتح الباری ج ۵ ص ۲۴۰ و عمده القاری ء ج ۱۳ ص ۳۰۵ و السیره النبویه لإبن کثیر ج ۳ ص ۳۷۹.
۳- السیره النبویه ج ۳ ص ۶۱.

و عباره دحلان هـذه ظاهره فی أن المقصود بخیانتهم و غـدرهـم هو نفس ما صـدر منهم فی حق بعض المسـلمین، و هو ابن عمر بالذات. و لا ندری لماذا لم یصرح باسمه و نسبه هنا (!!).

ه: و مما یدل علی أن إجلاءهم کان رأیا من الخلیفه الثانی، ما رواه أبو داود و غیره، عن ابن عمر، عن عمر، أنه قال:

أیها الناس، إن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم کان عامل یهود خیبر علی انا نخرجهم إذا شئنا، فمن کان له مال فلیلحق به، فانی مخرج یهود.

فأخرجهم (۱).

و معنی ذلک: هو أنه لم یکن یری اخراجهم واجبا شـرعیا، کما أنه قد احتج لما یفعله بشـرط النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إبقـاءهم بالمشـیئه- إذا شـئنا- و لاـ یحتـج لـذلک بمـا ثبت له عنه (صـلی اللّه علیه و آله و سـلم)، من عـدم بقاء دینین فی ارض العرب.

مع أنه لو کان هذا هو السبب و الداعی، لکان الاحتجاج به أولی و أنسب.

و مما یؤید ذلک و یعضده: أن الیهود حین اعترضوا علیه بقولهم: لم یصالحنا النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی کذا و کذا؟!

قال: بلی. علی أن نقرکم مابدا للّه و لرسوله، فهذا حین بدا لی إخراجکم.

فأخرجهم (۲).م:

۱- سـنن أبی داود ج ۳ ص ۱۵۸ و البـدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۰۰ و أشـار إلیه فی فتـح الباری ج ۵ ص ۲۴۱ عـن أبی یعلی، و البغوی. و السیره النبویه لإبن کثیر ج ۳ ص ۳۸۰ و کنز العمال ج ۴ ص ۳۲۵ عن أبی داود، و البیهقی، و أحمد و راجع: المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۳۵۹.

۲- المصنف للصنعانی ج ۴ ص ۱۲۵ و سیأتی الحدیث بلفظ آخر بعد قلیل تحت رقم:

و: إنه قد أخرج نصارى نجران، و انزلهم ناحيه الكوفه (۱).

ز: قد ذكرت بعض الروايات أن السبب في اجلائهم هو استغناء المسلمين عنهم، و ليس هو وصيه النبي (صلى اللّه عليه و آله) باخراجهم.

يقول ابن سعد و غيره: إنه لما صارت خيبر في أيدى المسلمين، لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النبي (صلى اللّه عليه و آله) الى اليهود، يعملونها على نصف ما يخرج منها.

فلم يزالوا على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب، و كثر في أيدى المسلمين العمال، و قووا على عمل الأرض، فأجلى عمر اليهود الى الشام، و قسم الاموال بين المسلمين إلى اليوم (۲) و قريب من ذلك ذكره ابن سلام أيضا، فراجع (۳).

و بعد أن ذكر العسقلاني هذه الروايه، و ذكر روايه عدم اجتماع دينين في جزيره العرب، ثم روايه البخاري عن فدع اليهود لعبد اللّه بن عمر، قال:

(.. و يحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء عله في إخراجهم) (۴).

و لكنه احتمال غير وارد، فان ظاهر الروايات: أن السبب في إخراجهم هو خصوص ما تذكره دون غيره، و لا سيما حين يكون الحديث، و التعليل في مقام الاحتجاج و الاستدلال و دفع الشبهه، من نفس ذلك الرجل الذى تصدى لذلك.٠.

۱- الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۳ ص ۲۸۳.

۲- طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۱۱۴ و فتح الباري ج ۵ ص ۲۴۰ و تاريخ المدينه ج ۱ ص ۱۸۸.

۳- الأموال ص ۱۴۲ و ۱۶۲ و ۱۶۳.

۴- فتح الباري ج ۵ ص ۲۴۰.

ح: قولهم: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد أمر بإجلاء الیهود و النصاری من بلاد العرب، و أنه قال: لا یجتمع ببلاد العرب دینان، أو نحو ذلک.

ینافیه:

۱- قولهم:- حسبما روی عن سالم بن أبی الجعد-: (کان أهل نجران بلغوا أربعین الفا، و کان عمر یخافهم أن یمیلوا علی المسلمین، فتحاسدوا بینهم، فأتوا عمر، فقالوا:

إنا قد تحاسدنا بیننا، فأجلنا.

و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد کتب لهم کتابا: أن لا یجلوا.

فاغتنمها عمر، فأجلاهم إلخ (۱).

۲- و فی نص آخر: إنما أخرج عمر أهل نجران، لأنهم أصابوا الربا فی زمانه (۲).

۳- و عن علی (علیه السلام): انه نسب إجلاء أهل نجران إلی عمر أیضا فراجع (۳) إلا أن یقال: إن نسبه ذلک إلیه لا یدل علی عدم الأمر به من النبی صلی الله علیه و آله وسلم .

ط- عن ابن عمر: ان عمر أجلی الیهود من المدینه، فقالوا:

أقرنا النبی صلی الله علیه و آله وسلم و أنت تخرجنا؟!۳.

۱- کنز العمال ج ۴ ص ۳۲۲ و ۳۲۳ عن الأموال، و عن البیهقی، و ابن أبی شیبه و راجع هامش ص ۱۴۴ من کتاب الأموال.
۲- الأموال ص ۲۷۴.
۳- راجع: کتاب الخراج، للقرشی ص ۲۳.

قال: أقركم النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و أنا أرى أن اخرجكم، فأخرجهم من المدينه (۱).

فلو أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أمر بإخراجهم لم ينسب عمر اخراجهم الى رأيه الشخصى.

ى: إنه يرد هنا سؤال، و هو: لماذا يخرجهم من بلاد العرب، و لا يخرجهم من بلاد المسلمين كلها، فهل لبلاد العرب خصوصيه هنا؟! و ما هى هذه الخصوصيه سوى التعصب القومى، و التمييز العنصرى، و الشعور بالتفوق على الآخرين، بلا مبرر ظاهر ..

ك: عن يحى بن سهل بن أبى حثمه، قال: أقبل مظهر بن رافع الحارثى الى أبى باعلاج من الشام، عشره، ليعملوا فى أرضه، فلما نزل خيبر أقام بها ثلاثا، فدخلت يهود للاعلاج، و حرضوهم على قتل مظهر، و دسّوا لهم سكينين أو ثلاثا!

فلما خرجوا من خيبر، و كانوا بثبار، و ثبوا عليه، فبعجوا بطنه، فقتلوه. ثم انصرفوا إلى خيبر، فزودتهم يهود و قوّتهم حتى لحقوا بالشام.

و جاء عمر بن الخطاب الخبر بذلك، فقال: إنى خارج الى خيبر، فقاسم ما كان بها من الاموال، و حادّ حدودها، و مورف أرفها (۲)، و مجل يهود عنها، فان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قال لهم:

أقركم ما أقركم اللّه.

و قد أذن اللّه فى اجلائهم.۶.

۱- كنز العمال ج ۴ ص ۳۲۳ عن ابن جرير فى التهذيب، و تقدم نحوه عن المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۱۲۵.
۲- الأرف: جمع أرفه، و هى الحدود و المعالم. راجع: النهايه لإبن الأثير ج ۱ ص ۲۶.

ففعل ذلک بهم (۱).

و فی الواقدی: أن عمر خطب الناس، فقال: أیها الناس إن الیهود فعلوا بعبد اللّه ما فعلوا، و فعلوا بمظهر بن رافع، مع عدوتهم علی عبد اللّه بن سهل فی عهد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، لا أشک أنهم أصحابه، لیس لنا عدو هناک غیرهم؛ فمن کان له هناک مال؛ فلیخرج؛ فأنا خارج فقاسم .. إلی أن قال: الا أن یأتی رجل منهم بعهد، أو بینه من النبی صلی الله علیه و آله وسلم أنه أقرّه، فأقره ..

ثم ذکر تأیید طلحه لکلام عمر، ثم قول عمر له:

من معک علی مثل رأیک؟!

قال: المهاجرون جمیعا، و الأنصار. فسر بذلک عمر (۲).

ل: قال الحلبی الشافعی بعد ذکره روایه مصالحه النبی (صلی اللّه علیه و آله) لهم، و أنه (صلی اللّه علیه و آله) قال لهم: علی أنّا إذا شئنا أن نخرجکم أخرجناکم:

(أی و هذا یخالف ما علیه أئمتنا من أنه لا یجوز فی عقد الجزیه، أن یقول الإمام، أو نائبه: أقرکم ما شئنا، بخلاف ما شئتم، لانه تصریح بمقتضی العقد؛ لأن لهم نبذ العقد ما شاؤا. و ذکر أئمتنا: أنه یجوز منه (صلی اللّه علیه و آله)- لا منّا- أن یقول: أقررتکم ما شاء اللّه؛ لأنه یعلم مشیئه اللّه دوننا) (۳).

و نقول: إن ذلک محل نظر؛ إذ:۷.

۱- کنز العمال: ج ۴ ص ۳۲۴ و ۳۲۵ عن ابن سعد، و المغازی للواقدی: ج ۲ ص ۷۱۶ و ۷۱۷ و فی السیره الحلبیه: ج ۳ ص ۵۷، کما فی الواقدی.

۲- راجع: المغازی للواقدی: ج ۲ ص ۷۱۶ و ۷۱۷.

۳- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۵۷.

۱- من الذی قال: إنه (صلی اللّه علیه و آله) یعلم- فی هذا المورد بخصوصه- مشیئه اللّه سبحانه؟!.

۲- لماذا لا یصح للنبی، و لغیره أیضا أن یقول ذلک؟!، ألیس حکمهم الجلاء، و قد عادت الأرض إلی الرسول (صلی اللّه علیه و آله)، لتکون خالصه له؟ فهو یزارعهم فی ملکه، و له أن یمنعهم من العمل و السکنی فیها متی شاء. لا- أن الأرض لهم، و هو (صلی اللّه علیه و آله) ینتظر نقضهم للعهد، حتی تکون المشیئه إلیهم فی النقض و عدمه، کما یرید هؤلاء أن یفهموا.

م: إن عمر إنما أجلاهم إلی أریحا و تیماء من جزیره العرب (۱) و قد حاول الحلبی الشافعی دعوی: أن المقصود بجزیره العرب خصوص الحجاز، و أریحا و تیماء لیستا من الحجاز، و لعله استند فی ذلک الی بعض النصوص التی عبرت بکلمه (الحجاز) بدل (جزیره العرب) کما یفهم من کلامه ضمنا (۲).

و نقول:

أولا: إن الروایات متناقضه، فبعضها قال: الیهود و النصاری.

و بعضها قال: المشرکین.

و فی بعضها: لا یبقی دینان فی جزیره العرب.

و فی بعضها: الیهود.

و من جهه أخری: فان بعضها: ذکر الحجاز، و بعضها ذکر جزیره العرب .. و فی بعضها أنه قال: اخرجوا الیهود من الحجاز، و أخرجوا أهلق.

۱- السیره الحلبیه ج ۳ ص ۵۸ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰.

۲- المصدر السابق.

نجران من جزیره العرب (۱). و هذا الاختلاف یوجب ضعف الروایه إلی حد کبیر.

و ثانیا: قال السمهودی: (لم ینقل أن أحدا من الخلفاء أجلاهم من الیمن، مع أنها من الجزیره) (۲) ثم قال: فدل علی أن المراد الحجاز فقط.

و نقول: بل دلّ ذلک علی ضعف الروایه من الأساس لا سیما و أن عددا من الروایات یصرح بأن النبی قال: لا یبقینّ دینان بأرض العرب.

و ارض العرب لا تختص بالحجاز کما هو معلوم.

و ثالثا: إن تیماء من الحجاز أیضا، قال ابن حوقل: بینها و بین أول الشام ثلاثه أیام (۳).

و هی تقع علی ثمان مراحل من المدینه بینها و بین الشام، و هی تعد من توابع المدینه (۴).

و مدین التی هی من اعراض المدینه تقع فی محاذاه تبوک (۵) و تبوک أبعد من تیماء کما هو ظاهر.

و آخر عمل المدینه (سرغ)، بوادی تبوک، علی ثلاث عشره مرحله من المدینه (۶).۳.

۱- المصدر السابق، و الأموال ص ۱۴۲ و ۱۴۳ و ۱۴۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰ ۳۲۱ و راجع مصادر الحدیث و نصوصه فی المصادر فی الصفحات المتقدمه.

۲- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۱.

۳- صوره الأرض ص ۴۱.

۴- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۰ و ۱۱۶۴.

۵- راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۰ و ۱۳۰۲ و معجم البلدان ج ۳ ص ۲۱۱.

۶- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۰ و ۱۲۳۳.

و قالوا عن سرغ: إنها أول الحجاز، و آخر الشام (۱).

بل لقد قال الحرقی: تبوک و فلسطين من الحجاز (۲).

و لكن قـال السـمهودى: إن عمر (لم يخرج أهـل تيماء و وادى القرى، لأنهما داخلتان فی أرض الشام. و يرون: أن ما دون وادى القرى الى المدينه حجاز، و أن ما وراء ذلک من الشام) (۳).

و لكن السمهودى نفسه ينقل عن صاحب المسالک و الممالک و عن ابن قرقول: أنهما قد عدّا وادى القرى من المدينه (۴).

كما أن ابن الفقيه قد عد دومه الجندل من أعمال المدينه، و وادى القرى تقع فيها (۵).

و قال ياقوت و غيره: إن وادى القرى من أعمال المدينه، أيضا (۶).

و عدّها ابن حوقل و غيره من الحجاز (۷).

و بعـد هـذا: فان كلام السـمهودى يصـبح متناقضا و غير واضـح، و إن كان يمكن الاعتذار عنه بأنه ينسب بعض ما يقوله لغيره، و ذلک لا يدل على رضاه و قبوله به.

و لكن هذا الإعتذار إنما يصح فی بعض الموارد دون بعض، مع۹.

۱- معجم البلدان ج ۳ ص ۲۱۱ و مراصد الإطلاع ج ۲ ص ۷۰۷.
۲- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۸۴.
۳- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۹.
۴- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۸.
۵- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۱۲ و راجع ص ۱۳۲۸.
۶- راجع: مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۴۱۷ و معجم البلدان ج ۵ ص ۳۴۵.
۷- صوره الأرض ص ۳۸ و مسالک الممالک ص ۱۹.

ملاحظه: أننا لم نجده يعترض على ما ينقله عن الآخرين، بل ظاهره أنه مصدق و معترف به.

دعاوى لا تصح:

و قـد حاول الحلبي هنا: أن يجعل من أسـباب كثيره سـببا واحـدا، فوقع في التناقض و الاختلاف، فانه بعد أن ذكر: عزم عمر على إجلاء اليهود، بسبب ما فعلوه بولده و بعبد اللّه بن سهل، و بمظهر بن رافع، قال:

(فلما اجمع الصحابه على ذلك، أي على ما أراده سيدنا عمر جاءه أحد بني الحقيق فقال له: يا أمير المؤمنين إلخ ..) فذكر القصه المتقدمه و أن عمر لم ينس قول النبي لابن ابي الحقيق حول خروجه.

ثم قال: (ثم بلغه (رض): أنه صلى الله عليه و آله وسلم قال: لا يبقى دينان في جزيره العرب و نصوصا اخرى تقدمت). ثم ذكر ان المراد بالجزيره خصوص الحجاز.

إلى أن قال: (ففحص عمر عن ذلك حتى تيقنه و ثلـج صدره فأجلى يهود خيبر، أي و أعطاهم قيمه ما كان لهم من ثمر و غيره و أجلى يهود فـدك، و نصارى نجران، فلا يجوز إقامتهم أكثر من ثلاثه ايام غير يومي الـدخول و الخروج، و لم يخرج يهود وادى القرى و تيماء، لأنهما من أرض الشام لا من الحجاز) (۱).

فهو يقول: إن عمر هو الذى عزم على إجلاء اليهود، ثم يقول: إن الصـحابه قد أجمعوا. ثم يذكر أنه عرف بأوامر النبي (صلى اللّه عليه و آله) حول اليهود بعد هذا العزم و بعد ذلك الاجماع، فلما تيقنه و ثلج صدره أجلاهم.۸.

۱- راجع: كلامه بطوله في السيره الحلبيه ج ۳ ص ۵۸.

كما أنه يذكر العبارات المتناقضه حول جزيره العرب و الحجاز، و يدعى أن المقصود بالجزيره هو خصوص الحجاز، و لكنه يدعى أن تيماء و وادى القرى ليستا من الحجاز، مع ان النصوص الجغرافيه على خلاف ذلك، حسبما أوضحناه.

ثم يذكر: أنه أعطاهم ثمن أموالهم .. و لا ندرى السبب فى ذلك، إن كان إخراجهم بسبب نقضهم للعهد، فإن ناقض العهد لا يعطى ذلك ..

و أخيرا، فإنه ادعى عدم جواز اقامتهم أكثر من ثلاثه أيام غير يومى الدخول و الخروج، فهل هذا الحكم مأخوذ من النبى (صلى اللّه عليه و آله)، أم أنه حكم سلطانى متأخر عن زمنه (صلى اللّه عليه و آله)؟

و لا ندرى كيف أجيز لهم ذلك بعد منعه (صلى اللّه عليه و آله) لهم من البقاء فى أرض العرب.

كما أننا لا نعرف من أين جاء استثناء يومى الخروج و الدخول.

إلى غير ذلك من الأسئله التى يمكن استخلاصها من مجموع ما ذكرناه.

الروايه الأقرب الى القبول:

و لعلنا لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن حديث (لا يجتمع فى جزيره العرب دينان) هو من قول عمر، و قد نسب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) من أجل تصحيح ما أقدم عليه عمر من نقض عهد اليهود لأجل ابنه، أو لغير ذلك من اسباب، لم ير فيها النبى (صلى اللّه عليه و آله) ما يوجب ذلك حسبما المحنا إليه؛ فقد قال أبو عبيد اللّه القاسم بن سلام:

(حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائده، و محمد بن عبيد، عن

عبیـد اللّه بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، قال:(۱) الروایه الأقرب الی القبول: ..... ص : ۱۶۲ فتری فی هذا الحدیث: أنه قد نسب القول بعـدم اجتماع دینین فی جزیره العرب إلی عمر نفسه من دون إشاره إلی رسول اللّه، و لعله الأوفق و الأولی، و قـد تقـدم ما یشیر إلی أن ذلک کان رأیا من عمر، فلا نعید.

لا إکراه فی الدین:

قد تقدم فی الفصل الأول فی هذا الجزء: أن آیه لا إکراه فی الدین قد نزلت فی مناسبه غزوه بنی النضیر، حیث کان معهم أولاد للأنصار أراد آباؤهم أن یمنعوهم من الخروج معهم فنزلت هذه الآیه.

و نقول: إن ذلک موضع مناقشه و غیر مسلّم؛ و إن أصرّ علیه القرطبی (۲).

فأولا: قد روی فی سبب نزول الآیه:

۱- أن سـبب نزولهـا هو وجود ابنـاء للانصـار فی بنی النضـیر، علی طریق الاسترضاع فثبتوا علی دینهم، فلما جاء الاسـلام أرادهم اهلوهم علی الاسلام فنزلت (۳).۵.

۱- الأموال ص ۱۴۳.

۲- راجع: الجامع لأحکام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰.

۳- راجع فتح القدیر ج ۱ ص ۲۷۶ عن سعید بن منصور و عبد بن حمید، و ابن جریر، و ابن المنذر و ابن أبی حاتم عن مجاهد و عن الحسن و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۹ عنهم و عن ابن عقده فی غرائب شـعبه و النحّاس فی ناسخه و عبد بن حمید و سعید بن منصور و راجع: الجامع لأحکام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۷ و لباب التأویل ص ۱۸۵.

۲- عن السدی: أنها نزلت فی ابی حصین الأنصاری، الذی تنصر ابناه، و مضیا إلی الشام، فطلب من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یبعث من یردّهما، فنزلت (۱).

و ثانیا: إن منع الأنصار أولادهم من الخروج مع الیهود لا یعنی إجبارهم علی الدخول فی الإسلام، و لم یرد الآباء ذلک من أولادهم، و إنما أرادوا منعهم من الخروج فقط ..

إلی خیبر، أم إلی الشام؟

و تقول بعض المصادر: إن بنی النضیر (تحملوا إلی الشام) کما هو مذکور فی بعض الروایات .. أی إلی أذرعات منها (۲).۸

۱- راجع: الجامع لأحکام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ و لباب التأویل ج ۱ ص ۱۸۶ و مدارک التنزیل بهامشه ج ۱ ص ۱۸۵ و فتح القدیر ج ۱ ص ۲۷۶ عن ابن إسحاق، و ابن جریر عن ابن عباس: و کذا أخرج عبد بن حمید عن عبد اللّه بن عبیده نحوه، و کذا أخرج أبو داود فی ناسخه و ابن جریر و ابن المنذر عن السدی نحوه و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۹ عنهم جمیعا أیضا.
۲- راجع: فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۹ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۹ و البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۳ و تفسیر الصافی ج ۵ ص ۱۵۳ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۸۰ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۲۳۲ و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۳۵۸ و ۳۵۹، و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۵۵۳ و ۵۵۴ و التبیان ج ۹ ص ۵۵۷ و أحکام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۱۹ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۳۹۸ و مدارک التنزیل المطبوع بهامش لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۴ و جامع البیان ج ۲۸ ص ۱۹ و ۲۰ و ۲۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و ۱۸۷ عن بعض من تقدم و عن: ابن مردویه و البیهقی فی الدلائل، و عبد بن حمید، و أبی داود، و ابن المنذر، و الحاکم و صححه. و راجع شعر أمیر المؤمنین (علیه السلام) المذکور فی الفصل الأول من هذا الباب و فی السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۸.

و تذكر مصادر أخرى: أنهم أجلوا إلى خيبر (۱) و فدك (۲).

فقد يتخيل وجود تناقض فيما بين هذه النصوص ..

فاذا ضممنا ذلك إلى نصوص أخرى، فان هذا التناقض يتأكد، حيث نجد بعضها يقول:

(تحملوا إلى خيبر، و إلى الشام، و ممن سار منهم إلى خيبر أكابرهم، كحيّى بن اخطب، و سلام بن أبى الحقيق، و كنانه بن الربيع، فدانت لهم خيبر) (۳).

و قال آخر: (و مضى من بنى النضير إلى خيبر ناس، و إلى الشام ناس) (۴).۳.

۱- الثقات ج ۱ ص ۲۴۳ و مرآه الجنان ج ۱ ص ۹ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳ و سيره مغلطاى ص ۵۳ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ عن عبد بن حميد، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و فيه: أن إجلاءهم إلى أذرعات و نجد، و قيل: إلى تيماء و أريحا، كان على يد عمر.

۲- التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳. و قد يظهر منه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد سمح لهم بالذهاب إلى فدك أيضا، فاختاروا خيبرا.

۳- الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸.

۴- تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع: أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۵ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۷ عنه عن مجاهد، و قتاده و الدر المنثور ج ۶ ص ۹۹ عن ابن المنذر، و ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۰ و ۳۳۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۳ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و السيره النبويه لإبن هشام ج ۳ ص ۲۰۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۴ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۱۹ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و عمده القارى ء ج ۱۷ ص ۱۲۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۴ و منهاج السنه ج ۴ ص ۱۷۳.

و آخر يقول: (خرجوا إلى أذرعات، و أريحا، و خيبر، و حيره) (۱).

و بعض آخر يذكر ذلك، من دون ذكر الحيره (۲).

و نص آخر يذكر: أنهم لحقوا بأذرعات بالشام و أريحا، إلا أهل بيتين منهم: آل أبى الحقيق، و آل حيى بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، و لحقت طائفه منهم بالحيره (۳).

و جاء فى بعض النصوص قوله: (و طاروا كل مطير، و ذهبوا كل مذهب، و لحق بنو أبى الحقيق بخيبر، و معهم آنيه كثيره من فضه، فرآها النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمون، و عمد حيى بن اخطب حتى قدم مكه على قريش، فاستغواهم على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (۴).

و آخر نص نذكره هو ما قاله البعض: (وقع قوم منهم الى فدك، و وادى القرى، و خرج قوم منهم إلى الشام) (۵).۳.

۱- مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.
۲- السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲.
۳- راجع: غرائب القرآن مطبوع بهامش البيان ج ۲۸ ص ۳۳ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۸ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۸ و ۴۹۹ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۰۹ عنه و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵.
۴- تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲.
۵- تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۰ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳.

السلاح للمؤمنين فقط:

و نلاحظ: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أجلاهم، و سمح لهم بأن يأخذوا ما أقلته الإبل، إلا الحلقه ..

و تذكر بعض النصوص إحصائيه لما حصل عليه المسلمون من سلاح، فتقول: (فوجد من الحلقه خمسين درعا و خمسين بيضه، و ثلاثمائه سيف، و أربعين سيفا) (۱).

و من الواضح: أن فی ذلک قوه للمسلمین الذین یواجهون العدو المتربص بهم لیل نهار و فی کل اتجاه ..

ثم هو إضعاف لعدوهم، مادیا و معنویا، و له تأثیرات سلبیه علی معنویات کل أولئک الذین یتعاطفون معهم، و یمیلون إلیهم.

و من وجهه نظر مبدئیه، و عقیدیه، فإن السلاح لا یکون إلا للمؤمنین، و هم وحدهم الذین یملکون الحق فی السلاح، لأنهم إنما ینصرون به الحق، و یدمرون به الباطل .. أما الآخرون فعلی العکس من ذلک، و لا أقل من أنه- إذا کان السلاح بأیدی غیر المؤمنین- فإنه یصبح له حاله ردع تلقائیه، و تخوف فی قلوب المؤمنین الذین لابد لهم أن یعملوا علی نشر الدین، و إعزازه، و استئصال الباطل و إذلاله.

حزن المنافقین:

و إن ما جری لبنی النضیر، و هم أعز یهود منطقه الحجاز، قد جعل المنافقین، الذین کانوا یلتقون معهم فی العداء للإسلام، و الخلاف له۸.

۱- الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۸ و الوفاء ص ۶۹۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ عن الکازرونی و غیره، و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۲ و مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۷۷ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۸.

و عليه، و قد ثقل عليهم إقامه شعائره، و الالتزام بأحكامه، و أن يربوا أنفسهم تربيه صالحه، وفقا لاهدافه و مراميه- قد جعلهم- يحسون بالضعف، و يشعرون بأنهم قد خسروا واحدا من أهم حلفائهم و من هم على رأيهم، و لهم نفس أهدافهم و طموحاتهم بالنسبه إلى مستقبل الإسلام و المسلمين ..

فخابت آمالهم، و تبخرت أحلامهم، التى كانوا قد نسجوها، و خدعوا أنفسهم بها ..

إذ أن من الواضح: أن مجاراه المنافقين للمسلمين، إنما كان- فى الأكثر- يهدف إلى الحصول على بعض الإمتيازات و المنافع، ثم يديرون ظهورهم إليهم و يواصلون مسيرتهم بالطريقه التى تروق لهم، و بالاسلوب الذى يعجبهم و يحلو لهم. فليس الإسلام و المسلمون سوى وسائل توصلهم إلى تلك المآرب، و تحقق لهم هاتيكم الأهداف ..

و أما أولئك الذين أظهروا الإسلام، لأن ظروفهم، و علاقاتهم قد فرضت عليهم ذلك، و كانوا بانتظار زوال ذلك الكابوس فإنهم أيضا قد تلقوا ضربه هائله و مخيفه، و هم يرون الإسلام تقوى شوكته، و يتعمق و يتجذر، و يستقطب، و يجتاح كل خصومهم، و يدمرهم، أو يقضى على مصادر القوه فيهم ..

فكان من الطبيعى أن نجد المنافقين من أولئك و هؤلاء يشتد حزنهم، و يتضاعف كمدهم، و يكبر خوفهم، و لم يخف حالهم على أحد، و سجله التاريخ على صفحاته، ليخلّد خزيهم، و ذلّهم، فذكر المؤرخون:

أنه حين أجلى بنو النضير: (حزن المنافقون عليهم حزنا شديدا) (١).٧.

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧۶ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢۶٧.

نماذج مثيره:

و نجد فيما حفظه لنا التاريخ من تأوّهات، و صرخات مكتومه و ظاهره لبعض هؤلاء الذين كانوا يتعاطفون مع اليهود، رغم ما يرونه من غدرهم و مجانبتهم للحق- نجد- بعض ما يثير فينا عجبا لا حدّ له ..

فإن بعض الناس الذين كنا و ما زلنا نرى و نسمع لهم الكثير من المدح و الثناء، و التعظيم و التبجيل، قد عبروا عن عميق إحترامهم، و عن تعاطفهم مع أولئك الغدره الفجره، أعداء اللّه، و أعداء رسوله، فاقرأ النص التالى، و اعجب ما بدا لك:

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود:

حينما أجلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بنى النضير ..

(قال حسان بن ثابت، و هو يراهم و سراه الرجال على الرحال: أما و اللّه، إن لقد كان عندكم لنائل للمجتدى، و قرى حاضر للضيف، و سقيا للمدام، و حلم على من سفه عليكم، و نجده إذا استنجدتم.

فقال الضحاك بن خليفه: و اصباحاه، نفسى فداؤكم؛ ماذا تحملتم به من السؤدد و البهاء، و النجده و السخاء.

قال: يقول نعيم بن مسعود الأشجعى: فدى لهذه الوجوه التى كأنها المصابيح، ظاعنين من يثرب. من للمجتدى الملهوف؟ و من للطارق السغبان؟ و من يسقى العقار؟ و من يطعم الشحم فوق اللحم؟ ما لنا بيثرب بعدكم مقام.

يقول أبو عبس بن جبر، و هو يسمع كلامه: نعم، فالحقهم حتى تدخل معهم النار.

قال نعيم: ما هذا جزاؤهم منكم، لقد استنصرتموهم، فنصروكم على الخزرج، و لقد استنصرتم سائر العرب؛ فأبوا ذلك عليكم.

قال أبو عبس: قطع الإسلام العهود.

قال: و مرّوا و هم يضربون الدفوف و المزامير الخ .. (۱)

و نلاحظ هنا:

أ: أن حسان بن ثابت يمدح بنى النضير بأنهم كانوا يسقون المدام!! و كذلك نعيم بن مسعود الأشجعى ..

و معنى ذلك هو أن إسلام هؤلاء لم يكن معمقا، و لا راسخا فى نفوسهم. و أنهم لا يزالون يهتمون بالمدام (أو العقار) و يتعشقونها، رغم نهى النبى عنها، و نزول القرآن بتحريمها ..

ب: إننا نلاحظ: أن حسان بن ثابت كان مقربا من الهيئه التى حكمت الناس بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، كما أنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، و لم يبايعه، بل يقال:

إنه سب عليا (عليه السلام) و هجاه (۲).

ج: إن الأمور التى تمدح بها هؤلاء الأشخاص اليهود، لا تنطلق- فى أكثرها- من قيم إنسانيه ساميه، و إنما هى الحالات و الأوضاع التى يتطلبها واقع حياتهم، و خصوصيات معيشيه فى مجتمع لا يملك نظره بعيده، و لا تقييما سليما للكون و الوجود، و للحياه و للإنسان .. فلتراجع الفقرات بدقه ليتضح ذلك ..

د: إن هذا التعاطف الذى نراه لا ينطلق من الإحساس الإنساني، و لا من مثل أعلى، و إنما هو ينطلق من حاله هلع و أسف على فوات منافع دنيويه و ماديه للمتأسفين بالدرجه الأولى ..ا.

۱- مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۵.

۲- راجع: قاموس الرجال ج ۳ ص ۱۱۸ فما بعدها.

ه: إن تأسف حسان بن ثابت و غيره على بنى النضير، رغم أنهم قد رأوا بأم أعينهم ظلمهم و بغيهم، و غدرهم، و مجانبتهم للحق، لأمر يثير العجب حقا. و لا ندرى إن كان ذلك يكفى لعد هؤلاء فى جمله الذين عنتهم الآيه القرآنيه التى تقول:

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا، يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً (١).

فهى لا تشمل الذين يفدون اليهود بأنفسهم، و يتأسفون عليهم لما نالهم، و يرون: أنهم لم يعاملوا بما يليق بهم، بل كانوا مظلومين فيما أصابهم.

أم أن الآيه لا يجوز أن تتجاوز عبد اللّه بن أبى و أصحابه المجهولين، على اعتبار أن حسانا و سواه من حواريى الحكام بعد النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله)، لا يفسقون بما يفسق به الآخرون- كما جاء فى السيره الحلبيه (٢)- و لا تشملهم الآيات التى تشمل غيرهم ممن هم على شاكلتهم و طريقتهم، ما دام أن نفس رضا الحكام عنهم يعطيهم مناعه و صلابه تجعلهم فى مأمن من كل العوادى، و ترفعهم عن مستوى هذا البشر العادى ..

إن المراجع لتأريخ التزوير و التحوير لسوف يدرك الحقيقه، و يعرف الغثاء و يميزه عن ذلك الذى يمكث فى الأرض مما ينفع الناس.

روايه شاذه لابن عمر:

و قد جاء فى روايه عن ابن عمر:۴.

١- الحشر: ١١.

٢- السيره الحلبيه: ج ٢ ص ٢٠۴.

(.. إن یهود بنی النضیر و قریظه، قتل رجالهم، و قسم نساؤهم، و أموالهم، و أولادهم بین المسلمین، إلا أن بعضهم لحق برسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فآمنهم، و أسلموا، و أجلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم یهود المدینه من بنی قینقاع، و هم قوم عبد اللّه بن سلام الح ..) (۱).

و واضح: أن ذلک لا یصح بالنسبه إلی بنی النضیر؛ لأنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یقتل رجالهم، و لا سبی نساءهم و أولادهم، لیقسمها فیما بین المسلمین. و إنما أجلاهم عن أرضهم، و قسم أرضهم بین المسلمین ..

و علیه .. فلا یصح ما ذکره إلا بالنسبه لبنی قریظه؛ فانهم هم الذین جری لهم ذلک ..

هذا .. و قد ذکرت هذه الروایه نفسها عن ابن عمر فی ذلک المصدر بالذات، و قد فصل فیها ما جری لبنی قریظه، و لبنی النضیر علی نحو أصح. فذکر جلاء بنی النضیر و قتل بنی قریظه، و سبی نسائهم و أولادهم، فلیراجعها من أراد (۲).

روایه أخری تحتاج إلی إصلاح:

قال الهیثمی:

(باب غزوه بنی النضیر:

عن عبد اللّه بن أبی أوفی، قال: جاء جبریل إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و قد کلّ أصحابه، و هو یغسل رأسه، فقال:

یا محمد، قد وضعتم أسلحتکم، و ما وضعت الملائکه بعد۴.

۱- مسند أبی عوانه: ج ۴ ص ۱۶۳.

۲- مسند أبی عوانه ج ۴ ص ۱۶۴.

أوزارها. فكفّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم شعره قبل أن يفرغ من غسله؛ فأتوا النضير؛ ففتح اللّه له.

رواه الطبرانی، و فيه نعيم بن حيان، و هو ضعيف، و قد وثقه ابن حبان، و قال: يخطی ء) (۱).

و سياق الحديث يدل دلاله بيّنه على أن المقصود هو بنو قريظه؛ فان هذه القصه إنما حدثت معهم، لا مع بنی النضـير، و لعل هذا من أخطاء نعيم الذی ذكر ابن حبان: أنه يخطی ء، و إن كان ثقه ..

بنو النضير بمنزله بنی المغيره:

و قد جاء فی بعض النصوص: (و حملوا النساء و الصبيان، و تحملوا على ستمائه بعير، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم :

هؤلاء فی قومهم بمنزله بنی المغيره فی قريش) (۲).

و كلمه النبی (صلى اللّه عليه و آله) هذه تشير إلى أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان يعرف بدقه و بعمق خصائص الفئات و مزاياها، سواء فی ذلك اولئك الذين عاش معهم منذ نعومه اظفاره، و هم مشـركوا مكه، و قبائلها، أو اولئك الذين فرضت عليه الظروف أن يكون له منهم موقف سلبی أو إيجابی.

و إذا رجعنا الى التاريخ، و نصوصه، فاننا نستطيع أن نعرف وجه الشبه بين بنی المغيره فی قريش، و بنی النضير فی اليهود ..

فقد ذكرت بعض النصوص: أن بنی النضير كانوا من بنی۵.

۱- مجمع الزوائد: ج ۶ ص ۱۲۵.

۲- الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۲۵۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۲ و مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۷۵.

هارون (۱)، و ذلک مما یزید فی شرفهم و عزهم بالنسبه إلی سائر الیهود، کبنی حارثه، و غیرهم، أما بنو قریظه، فانهم، و إن کانوا من بنی هارون أیضا، إلا أن بنی النضیر، کانوا اکثر منهم مالا، و أحسن حالا، و کانوا ألف رجل، و بنو قریظه سبعمائه، و کانوا إذا قتل نضیری قریظیا، فإنه یدفع نصف الدیه و یجبّه، و یحمّم (أی یسود وجهه، و یحمل علی جمل، و یکون وجهه الی ناحیه ذنبه، و یطاف به) و إذا قتل قریظی نضیریا، فانه یدفع الدیه کامله، و یقتل به.

و للنضیر القوه و السلاح و الکراع (۲).

و من جهه ثانیه، فان من الطبیعی أن ینعکس ذلک علی نفسیات بنیه.

۱- التنبیه و الإشراف: ص ۲۱۳ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و تفسیر القمی ج ۱ ص ۱۶۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶- ۱۶۸ و راجع المصادر الآتیه فی الهامش التالی: و ذکر فی السیره النبویه ج ۳ ص ۲۱۲ ذلک فی شعر لعباس بن مرداس. و أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۴ و عمده القاری ء ج ۱۷ ص ۱۲۵.

۲- تفسیر البرهان: ج ۱ ص ۴۷۲، و راجع ص ۴۷۳ و ۴۷۸ و تفسیر القمی ج ۱ ص ۱۶۸ و ۱۶۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ و ۱۶۸ و تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۵۲۳ و ۵۲۴. و راجع: جامع البیان ج ۶ ص ۱۵۴ و ۱۵۷ و ۱۶۴ و ۱۶۵ و ۱۶۷ و غرائب القرآن للنیسابوری بهامش جامع البیان ج ۶ ص ۱۴۵ و تفسیر القرآن العظیم ج ۱ ص ۶۰ و الجامع لأحکام القرآن ج ۶ ص ۱۷۶ و ۱۸۷ و ۱۹۱ و التبیان: ج ۳ ص ۵۲۱ و راجع ص ۵۲۴ و ۵۲۵ و التفسیر الحدیث ج ۱۱ ص ۱۰۷ و مجمع البیان ج ۳ ص ۱۹۴ و فتح القدیر ج ۲ ص ۴۳ و ۴۴ و التفسیر الکبیر ج ۱۱ ص ۳۲۵ ص ۱۲ ص ۶ و عون المعبود ج ۱۲ ص ۱۳۶ و لباب التأویل ج ۱ ص ۴۶۸ و فی ظلال القرآن ج ۲ ص ۸۹۴ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۸۱ و ۲۸۳ و ۲۸۴ و ۲۸۵ و ۲۸۷ و ۲۸۸ عن أحمد، و أبی داود، و ابن جریر، و ابن المنذر، و الطبرانی، و أبی الشیخ، و ابن مردویه، و عبد بن حمید، و ابن إسحاق، و ابن أبی شیبه و ابن أبی حاتم و الحاکم، و صححه، و البیهقی فی سننه.

النضیر، و أن یشعروا بالزهو و الخیلاء، حتی إننا لا نجد مبررا لتکذیب النص الذی یقول: (إنهم استقبلوا بالنساء و الابناء و الاموال، معهم الدفوف، و المزامیر، و القیان یعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤی مثله من حی من الناس فی زمانهم) (۱) و عند الدیار بکری: (فعبروا من سوق المدینه) (۲).

و قال ابن الوردی: (فخرجوا و معهم الدفوف و المزامیر تجلدا) (۳).

و قال الواقدی: (.. ثم شقوا سوق المدینه، و النساء فی الهوادج، علیهن الحریر و الدیباج، و قطف الخز، الخضر، و الحمر، قد صف لهم الناس.

فجعلوا یمرون قطارا فی إثر قطار، فحملوا علی ستمائه بعیر.

إلی أن قال: و مرّوا یضربون بالدفوف، و یزمرون بالمزامیر، و علی النساء المعصفرات و حلی الذهب. قال: یقول جبار بن صخر:

ما رأیت زهاءهم لقوم زالوا من دار الی دار.

و نادی أبو رافع، سلام بن أبی الحقیق- و رفع مسک الجمل- (فی الحلبیه: ان هذا المسک کان مملوءا من الحلی) و قال: هذا مما نعدّه لخفض الأرض و رفعها، فان یکن النخل قد ترکناه، فانا نقدم علی نخل بخیبر) (۴).۷.

۱- السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۱ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۷۶ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۴۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۲ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۵۵۴ و منهاج السنه ج ۴ ص ۱۷۳.

۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۲.

۳- تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۵۹.

۴- المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۴ و ۳۷۵ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۷.

و حسب نص المسعودی: (.. فخرجوا یریدون خیبر، و هم یضربون بالدفوف، و یزمرون بالمزامیر، و علی النساء المصبغات، و المعصفرات، و حلی الذهب، مظهرین بذلک تجلدا) (۱).

و لقد کان هذا أمرا متوقعا من فئه لم تزل موضع احترام و تبجیل من الیهود، و لا ترید أن تعترف بالهزیمه، و بکسر شوکتها، و ذهاب عزها، و افول نجمها ..

و قد بلغ هذا العز و المنعه: أن المسلمین ما ظنوا أن یخرجوا من دیارهم، کما صرحت به الآیه الکریمه ..

و عدا عن ذلک، فقد کان بنو النضیر أهل جبروت و قسوه و بغی، و عنجهیه، و اعتداد بالنفس، حتی إنهم لیظلمون إخوانهم من بنی قریظه، و هم أیضا من بنی هارون، ظلما فاحشا و مخالفا لأحکام التوراه الصریحه، و حتی لاحکام أهل الجاهلیه أیضا.

ثم لا یوجد بینهم من یأنف من هذا الظلم و یمنع منه، أو یندد به، و یرفضه، لا من رؤسائهم، و لا ممن هم دونهم، من عقلائهم و أهل الدین منهم.

هذا باختصار حال بنی النضیر فی قومهم.

أما حال بنی المغیره فی قریش، فإنها أیضا تشبه حاله هؤلاء إلی حد کبیر.

فقد کان بنو المغیره، و هم من بنی مخزوم، و کان العدد و الشرف و البیت فیهم (۲)، و کانت قریش- فیما زعموا- تؤرخ بموت هشام بن۹.

۱- التنبیه و الإشراف ص ۲۱۳.

۲- نسب قریش لمصعب ص ۲۹۹.

المغيره (۱)، الذى اثنى عليه الكثيرون. و كذا الحارث بن هشام فانه منهم، و هو موضع الثناء و التعظيم أيضا (۲)

و منهم كـذلك الوليـد بن المغيره، الـذى هو أحد العظيمين الذين أشار اليهما اللّه تعالى فى الآيه الكريمه: وَ قالُوا: لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (۳).

و قد رثى أبو طالب (رحمه اللّه) أبا أميه بن المغيره فقال:

و قـد أيقن الركب الذى أنت فيهم إذا رحلوا يوما بأنك عاقر فسـمّى زاد الراكب، و اسـمه حذيفه، و كانت عنده عاتكه بنت عبد المطلب (۴).

و قد ذكر المعتزلى طائفه كبيره من رجالهم و أمجادهم فى الجاهليه، و شطرا ممن تقلد منهم مناصب جليله فى حكم الأمويين، و غيرهم، فليراجعه من أراد (۵).

و إن المتتبع لسـيره رجال بنى المغيره من أمثال خالـد بن الوليـد، و أبى جهل، و الوليـد بن المغيره و غيرهـم ليجد فيهم الكثير من الزهو و الخيلاء، حتى إن خالـد بن الوليد حين قتل مالك بن نويره وزنى بامرأته فى ليله قتله، قد عاد إلى أبى بكر، و قد غرز فى عمامته أسهما، فانتزعها عمر، فحطمها، ثم قال له: أرئاء قتلت امرء مسلما، ثم نزوت على امرأته؟!۹.

۱- نسب قريش ص ۳۰۱ و راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۳۰۰ و ۲۸۶.

۲- راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۲۸۷ و ۲۹۰ و ۲۹۳ و ۲۹۴.

۳- شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۲۹۱.

۴- نسب قريش ص ۳۰۰ و راجع: شرح النهج ج ۱۸ ص ۲۹۱.

۵- راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۲۸۵ و ۳۰۹.

و اللّه، لأرجمنّک بأحجارک، و القصّه معروفه (۱).

کما أن شدتهم و قسوتهم و جبروتهم تعتبر من الأمور الظاهره، و قد عبر أمیر المؤمنین (علیه السلام) عنهم بالفراعنه، حین قال:

(.. و قد علمت من قتلت به من صنادید بنی عبد شمس، و فراعنه بنی سهم، و جمح، و مخزوم) (۲).

فإن فراعنه بنی مخزوم کانوا من بنی المغیره، لأنهم هم الذین کان العدد و الشرف و البیت فیهم، کما ألمحنا إلیه فیما سبق. و إذن فلا یجرؤ أحد علی مناوأتهم و الرد علیهم، إلا إن کان من بنی عبد مناف، الذین لا یدانیهم احد فی الشرف و السؤود.

هذا کله .. بالإضافه إلی وضعهم المادی المتمیز، کما یظهر من ملاحظه حیاه الکثیرین منهم.

و هم بالاضافه إلی ذلک کله. أهل سیاسه و کیاسه، یأنس الإنسان إلی حدیثهم، و یستلذ الجلوس إلیهم، حیث قد روی أن أمیر المؤمنین (علیه السلام) قال:

(أما بنو مخزوم، فریحانه قریش، تحب حدیث رجالهم، و النکاح فی نسائهم) (۳).

و بعد ذلک کله: فقد أصبح واضحا إلی حد ما سرّ جعل بنی النضیر بمنزله بنی المغیره فی قریش ..۹.

۱- تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۲۸۰، و قاموس الرجال ج ۳ ص ۴۹۱ عنه.

۲- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۵ ص ۸۴.

۳- نهج البلاغه بشرح عبده ج ۳ ص ۱۷۸ الحکمه رقم ۱۲۰ و راجع مصادر نهج البلاغه و أسانیده ج ۴ ص ۱۰۹.

ملاحظه:

و أخیرا .. فإن الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو الأسوه و القدوه فی کل شی ء، و إن معرفته الدقیقه بواقع المجتمع الذی یعیش فیه، و یتعامل معه .. لتعطینا: أن هذه المعرفه لازمه و ضروریه لکل إنسان یصل إلی موقع القیاده، و یفترض فیه أن یتعامل مع الناس، و یسجل موقفا تجاههم؛ فإن العارف بزمانه لا یهجم علیه اللوابس (۱).

نزول آیه سوره المائده فی بنی النضیر:

و یقول البعض: إن قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ یَبْسُطُوا إِلَیْکُمْ أَیْدِیَهُمْ فَکَفَّ أَیْدِیَهُمْ عَنْکُمْ (۲). قد نزلت فی قضیه بنی النضیر، و محاولتهم الغدر بالنبی (صلی اللّه علیه و آله) (۳).

و نقول: إننا نشک فی ذلک، لما یلی:

أولا: إن نفس هذا القائل قد عاد فذکر بعد بضعه أسطر: أن هذه الآیه قد نزلت فی قضیه غورث بن الحارث (۴).د.

۱- تحف العقول ص ۳۵۶ و البحار ج ۷۵ ص ۲۶۹.

۲- المائده: ۱۱.

۳- البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۲ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۲۱ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۵ و السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۶۴.

۴- البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۳ و دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۲ و ۴۲۴ و راجع السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۶ عن ابن إسحاق، و أبی نعیم فی الدلائل، و ابن المنذر، و ابن جریر و عبد بن حمید.

و ذكرت حوادث أخرى فى شأن نزول الآيه، فلتراجع فى مظانها (۱).

و دعوى البعض: جواز تكرار النزول (۲)، تحتاج إلى إثبات.

و ثانيا: إن سوره المائده كانت من آخر ما نزل على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فلا يعقل أن يحتفظ بهذه الآيه عده سنوات، معلقه فى الهواء، حتى تنزل سوره المائده، فيجعلها فيها (۳).

و ثالثا: إنهم يقولون: إن سوره المائده قد نزلت دفعه واحده (۴).

التربيه القرآنيه:

إن من الأمور الظاهره لكل أحد: أن القرآن الكريم، و فى نطاق اهتمامه الكبير بتربيه الإنسان، و صقل فكره، و عقله، و مشاعره، و كل مناحى و جهات شخصيته، ليجعله إنسانا واعيا، و قويا و غنيا فى كل مواهبه، و طاقاته، قد اختار فى أسلوبه التربوى المنحى و الاسلوب الواقعى ليتّصل به، و يدخل إلى حياته، و ينفذ إلى شخصيته، و الى عمق وجوده، عن هذا الطريق، فإن هذا الأسلوب هو الذى يتصل بالعقل، فيعطيه وضوحا و وعيا و أصاله، و يتفاعل مع الشعور ليمده بالحيويه و الفاعليه،ن.

۱- راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۵ و ۲۶۷ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۴.
۲- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۴.
۳- راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أحمد، و أبى عبيد فى فضائله و النحّاس فى ناسخه، و النسائى، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه و البيهقى فى سننه، و الترمذى و حسّنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير.
۴- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲، فإنهم قد صرحوا بتاريخ نزول سوره المائده، و صرّح بأنها قد نزلت دفعه واحده كل من: أحمد، و عبد بن حميد، و الطبرانى، و ابن جرير، و محمد بن نصر فى الصلاه، و أبى نعيم فى الدلائل، و البيهقى فى شعب الإيمان.

و ينقله إلى رحاب الضمير، ليتربى و يتكامل فى ظل الوجدان، و تحت حمايته، ليصبح حاله متوازنه، مرضيه و مقبوله ..

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا اهتمام الإسلام بالتركيز على الحدث، ثم ربطه بالحقائق الكليه، بما لها من عموم و شمول، ليصبح ذلك الحدث هو الوسيله الواقعيه لربط هذا الانسان بتلك الحقائق، و تفاعله معها.

و هكذا .. يتضح: أن القرآن حين يتحدث عن الوقائع و الاحداث، فانه يفهمنا: أنه لا يريد أن يلقى على الإنسان حقائق مجرده، و منفصله عن الواقع، و لا تلامسه و لا تلتقى معه، و ذلك حينما تبقى مجرد صوره ذهنيه، و تخيلات مثاليه بارده، لا تؤثر فى المشاعر، و لا تتصل بالعقل، و لا تتفاعل مع الوجدان.

و إنما هو يريدها حركه فى الفكر، و ثوره فى الشعور، و حاله متوازنه فى الوجدان. و تجسيدا واقعيا لكل ذلك على صعيد السلوك و الموقف.

اللّه هو الذى أخرجهم:

قال تعالى فى سوره الحشر: هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ مِنْ دِیارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ یُخْرِبُونَ بُیُوتَهُمْ بِأَیْدِیهِمْ وَ أَیْدِی الْمُؤْمِنِینَ فَاعْتَبِرُوا یا أُولِی الْأَبْصارِ (۱).

فنجده تعالى ينسب ما جرى لبنى النضير إلى نفسه، و يؤكد على ذلك بصور مختلفه .. حتى كأن ما فعله المسلمون ليس بشى ء يعتد به فى موضوع الحاق الهزيمه بهذا العدوّ ..۲.

۱- الحشر: ۲.

بـل إن المسـلمين أنفسـهم مـا كـانوا يظنون خروجهم، و لاـ يتصورونه، كمـا أن اليهود أنفسـهم كـانوا مطمئنين إلى أن حصونهم ستمنعهم.

و لكن اللّه فتح حصونهم من الداخل، فقذف الرعب فى قلوبهم، فلم تنفعهم الحصون الماديه شيئا ..

و من الواضح: أن الهزيمه من الداخل، هى الأساس للهزيمه الماديه، فاذا سقطت القلوب، و تهاوت، و قذف فيها الرعب، فلسوف لن تنتفع بأى شى ء آخر بعد ذلك، مهما كان قويا و كبيرا.

و نفهم من الآيه بالإضافه إلى ما تقدم، ما يلى:

۱- إن الحرب النفسـيه لهـا دور كبير، بـل لهـا الـدور الأكبر فى تحقيق النصـر الكبير عسـكريا، فليلاحظ قوله: و قـذف فى قلوبهم الرعب.

۲- إن العمل العسكرى الناجح، لابد أن يعتمد مبدأ المباغته، من النواحى التى لا يحسب العدو لها حسابا ..

۳- إن الإعتماد على اللّه فى تحقيق النصـر، إنما يعنى إمكانيه مواجهه العـدو حتى فى حاله تفوقه العسـكرى، و معنى ذلك .. أننا يجب أن لا ننتظر حتى يتحقق التوازن عسكريا، و تسليحيا فيما بين قوى الإيمان و قوى الكفر، بل يمكن المبادره لمواجهته، حتى فى صوره عدم التكافؤ فى الإمكانات الماديه.

۴- إن العامل المادى ليس هو القوه الوحيده، فإن العامل الروحى و المعنوى له قسط منها، فلا بد من أخذه بنظر الاعتبار.

العز، و الذل .. بماذا؟

و يـذكر النص التـاريخى: أن سـلام بن مشـكم قـد نصـح حيى بن أخطب بقبول الجلاء من أول الأمر، حيث تبقى لهم أموالهم و نخلهم، فكان مما قاله له:

(إنا إنما شرفنا على قومنا بأموالنا و فعالنا، فإذا ذهبت أموالنا من أيدينا كنا كغيرنا من اليهود فی الذله و الإعدام) (۱).

و نقول:

إن هؤلاء يرون: أن أموالهم هی مصدر عزتهم و عنوان شرفهم ..

و لكن الإسـلام يقول: إن مصدر العزه و الشرف و الكرامه هو اللّه سبحانه، فعن الصادق (عليه السلام) (من أراد عزا بلا عشيره، و غنى بلا مال، و هيبه بلا سلطان، فلينتقل عن ذل معصيه اللّه الى عز طاعته) (۲).

و (من أراد ان يكون أعز الناس، فليتق اللّه عز و جل) (۳)، فإنه (لا عز أعز من التقوى) (۴).

و (من برى ء من الشر نال العز) (۳).

إلى غير ذلـك من النصوص التی تجعـل من العز وسـيله لتكامل الانسان فی مـدارج إنسانيته، و تهـذيب نفسه، و تنزيهها عن كل النقائص، و إبعادها عن كل ما يشين أو يزرى بها.

ثم هی تربـط العز بالمنشأ لكـل الكمالات، و المصـدر لكـل فيوضـات الخير، و نزول البركـات. ألا ـ و هو اللّه سـبحانه و تعـالی، تقدست أسماؤه، و تباركت ذاته، و تعالت صفاته ..

مبالغات لا مبرر لها:

(.. و فی الحـديث: يخرج فی الكـاهنين رجـل يـدرس القرآن درسا، لم يـدرسه أحـد قبله، و لا يـدرسه أحـد بعـده. فكانوا يرونه محمد بن كعب۴.

۱- مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۶۹.

۲- و (۳) و (۴) ميزان الحكمه ج ۶ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.

۳- ميزان الحكمه ج ۶ ص ۲۹۴.

القرظی الخ ..) (۱).

و نحن بدورنا لا نستطیع قبول هذه الروایه. و لا نری صحه انطباقها علی الشخص المذکور.

فأولا: قد اشتهر کثیر من الصحابه بدراسه القرآن، و ذکرت فی الروایات أقوال منسوبه إلی النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) فی حقهم، و أقوال أخری منسوبه لغیره أیضا تشیر إلی تفوقهم علی محمد بن کعب فی دراسه القرآن؛ فراجع ما یروونه فی حق أبی بن کعب مثلا (۲)، و کذا ما یروونه فی حق ابن مسعود (۳)، أو علی أمیر المؤمنین (علیه الصلاه٠.

۱- الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱. لکن بعض المصادر الأخری قد ذکرت هذا الحدیث، و لم تذکر فیه عباره: (لم یدرسه أحد قبله) فراجع: سیر أعلام النبلاء ج ۵ ص ۶۸ و تهذیب التهذیب ج ۹ ص ۴۲۱ و الطبقات الکبری ج ۷ ص ۵۰۱.

۲- الإستیعاب بهامش الإصابه ج ۱ ص ۴۹ و راجع ص ۵۰ و تهذیب الأسماء ج ۱ ص ۱۰۹ و أسد الغابه ج ۱ ص ۴۹ و تهذیب التهذیب ج ۱ ص ۱۸۸ و راجع: الإیضاح لإبن شاذان ص ۳۲۳ و ۳۳۰ و ۲۳۱ و فی هامشه عن طائفه من المصادر، و الجامع الصحیح ج ۵ ص ۶۶۵ و ۶۶۴ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱ ص ۸۲ و مشکل الآثار ج ۱ ص ۳۵۰ و ۳۵۱ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۴۷ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۰۵ و ج ۲ ص ۲۲۴ و تلخیص مستدرک الحاکم للذهبی بهامشه، و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۳۳۹ و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۳۱ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۲۵۱، و ج ۴ ص ۱۸۷ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۱۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۳۷۸ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۳۴۰.

۳- راجع: کشف الأستار ج ۳ ص ۲۵۰ و ۲۴۹ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۳۱۸ و تلخیص المستدرک للذهبی بهامشه، و الإیضاح ص ۲۲۳ و ۲۳۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۸۷ و ۲۸۸ عن أحمد، و أبی یعلی، و البزّار، و الطبرانی، و صفه الصفوه ج ۱ ص ۳۹۹ و النهایه فی اللغه ج ۳ ص ۳۷۱ و مسند أحمد ج ۱ ص ۴۴۵ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱ ص ۸۲ و تذکره الحفاظ ج ۱ ص ۱۴ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ (الذیل) ص ۲۸ و الإصابه ج ۲ ص ۳۶۹ و الإستیعاب بهامشه ج ۲ ص ۳۲۰.

و السلام) (۱) هـذا عدا عما يروونه و يقولونه فى حق غير هؤلاء أيضا .. و من مثل على أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام) و هو الذى يقول:

(لو أردت أن أوقر على الفاتحه سبعين بعيرا لفعلت) (۲)؟!.

و ثانيا: إننا لم نفهم المقصود من دارسى القرآن ممن سبقوا محمد بن كعب!! فهل كان القرآن موجودا قبل الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، و قد درسه الناس، و عرفوه؟!

فان محمد بن كعب القرظى، قد أسلم على يدى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و عاش معه!!

و ثالثا: إن ما ذكروه عن محمد بن كعب يلغى دور عبد اللّه بن سلام الذى كان من نفس هؤلاء اليهود، و الذى يروون فى حقه- و إن كان ذلك كذبا أيضا- أنه هو الذى عنده أم الكتاب (۳). مع أن الصحيح: هو أنه على بن أبى طالب (عليه السلام) (۴). و قد تقدم تحقيق ذلك (۵).۶.

۱- راجع: تذكره الحفاظ ج ۱ ص ۱۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۴۲ و الغدير ج ۶ ص ۳۰۸ عن: طبقات القرّاء ج ۱ ص ۵۴۶ و عن مفتاح السعاده ج ۱ ص ۳۵۱.
۲- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۱۸۳، و تفسير البرهان (المقدمه) ص ۱۶ و عن بشاره المصطفى.
۳- الإصابه ج ۲ ص ۳۲۱ و الإستيعاب بهامشه ج ۲ ص ۳۸۳ و الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن: ابن مردويه، و ابن جرير، و ابن أبى شيبه، و ابن سعد، و ابن المنذر.
۴- راجع: شواهد التنزيل ج ۱ ص ۳۱۰ و راجع ص ۳۰۸ و ۳۰۷ و راجع: مناقب الإمام على (عليه السلام) لإبن المغازلى و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۵ و نقل عن: العمده لإبن البطريق ص ۶۱ و عن غايه المرام ص ۳۵۷ و ۳۶۰ و ۱۰۴ عن تفسير الثعلبى، و الحبرى (مخطوط) و عن الخصائص ص ۲۶.
۵- راجع: هذا الكتاب ج ۳ ص ۱۱ و ۱۶.

و لعل سر تعظیم محمد بن کعب یرجع إلی أنه لابد أن یصبح الخبراء فی القرآن، و الدارسون له، و الواقفون علی أسراره و حقائقه هم أهل الکتاب، و خصوصا الیهود، الذین لابد و أن تبقی لهم هیمنتهم العلمیه علی الناس، و یستمرون فی نفث سمومهم، و نشر أضالیلهم، و تتاح لهم الفرص کلها لتحریف هذا الدین، و التلاعب بمفاهیمه و أحکامه، و لیستهدف ذلک التلاعب و التحریف نفس القرآن، الذی هو المنشأ و الأساس لکل حقائق الإسلام، و تشریعاته ..

صلاه الخوف فی بنی النضیر:

و قد ذکر البعض: أن صلاه الخوف قد شرعت فی بنی النضیر، و قیل: فی ذات الرقاع (۱).

و حیث إننا سوف نتحدث إن شاء اللّه عن هذا الأمر فی غزوه ذات الرقاع، حیث یذکرون أن هذه الصلاه قد شرعت حینها، أو فی غزوه الحدیبیه، کما سنری، فإننا نرجی ء الحدیث عنها إلی هناک.

تحریم الخمر فی غزوه بنی النضیر:

قال الیعقوبی و غیره: (.. و فی هذه الغزوه شرب المسلمون الخمر، فسکروا؛ فنزل تحریم الخمر) (۲) و قال ابن الوردی: (نزل تحریم۳.

۱- الجامع للقیروانی ص ۲۷۹ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ عن شرح صحیح مسلم للنووی، و عن أسد الغابه.
۲- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۹ و راجع: تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۹۸ و راجع: السیره النبویه لإبن هشام ج ۳ ص ۲۰۰ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و منهاج السنه ج ۴ ص ۱۷۳.

الخمر و هو محاصرهم (قلت): قال فی الروضه: إن غزوه بنی النضیر سنه ثلاث: و إن تحریم الخمر بعد غزوه أحد و اللّه أعلم) (۱).

عن جابر بن عبد اللّه (رض) قال: حاصر النبی (صلی اللّه علیه و آله) بنی النضیر، فضرب قبته قریبا من مسجد الفضیخ، و کان یصلی فی موضع الفضیخ ست لیال، فلما حرمت الخمر خرج الخبر إلی أبی أیوب، و نفر من الأنصار، و هم یشربون فیه فضیخا، فحلوا وقاء السقاء، فهراقوه فیه، فبذلک سمّی مسجد الفضیخ (۲).

و روی القمی: أنه لما نزل تحریم الخمر خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی المسجد فقعد فیه، ثم دعا بآنیتهم التی کانوا ینتبذون فیها، فأکفأها کلها، و قال: هذه کلها خمر، و قد حرّمها اللّه، و کان أکثر شی ء أکفی ء یومئذ من الأشربه الفضیخ، فلذلک سمی المسجد ب (مسجد الفضیخ) (۳).

و أکثر من ذلک کله جرأه علی اللّه و رسوله (صلی اللّه علیه و آله) ما رووه عن ابن عمر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أتی بجرّه فضیخ بسر، و هو فی مسجد الفضیخ فشربه، فلذلک سمی مسجد الفضیخ (۴).

و الفضیخ: عصیر العنب، و شراب یتخذ من بسر مفضوخ، و مسجد الفضیخ هو المعروف بمسجد الشمس.۱.

۱- تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع؛ أیضا التنبیه و الإشراف ص ۲۱۳.
۲- تاریخ المدینه لإبن شبّه ج ۱ ص ۶۹ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۱ عنه و عن ابن زباله و مرآه الحرمین ج ۱ ص ۴۱۸.
۳- البحار ط مؤسسه الوفاء ج ۶۳ ص ۳۸۷ و ۳۸۸ و ج ۷۶ ص ۱۳۲ و ۱۳۱.
۴- مسند أبی یعلی ج ۱۰ ص ۱۰۱ و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۶ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۱۲ و ج ۲ ص ۲۱.

هذا کله عدا عن روایتهم: أن هناک من کان یهدی لرسول اللّه خمرا عده سنوات إلی أن حرمت الخمر (۱).

و نقول:

أولاـ إن تحریم الخمر- کما تقدم فی کتابنا هذا- قد کان فی مکه .. فإن کان لهذه الروایه حظ من الصحه فلا بد أن یکون الأصحاب قد خالفوا حکم اللّه فیها، و ارتکبوا الحرام، فنهاهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عن ذلک، و ما ذکر آنفا عن أبی أیوب و نفر من الأنصار دلیل علی صحه ذلک ..

و ثانیا: إن منازل بنی النضیر لم تکن فی جهه قباء، و لا مسجد الفضیخ، و ذلک لأنهم یقولون: إن مسجد الفضیخ یقع فی شرقی مسجد قباء، علی شفیر الوادی، علی نشز من الأرض (۲).

و قد تقدم: أن منازلهم کانت بعیده جدا عن هذا الموضع، فراجع ما ذکرناه فی هذا الجزء حین الکلام حول شعر حسان بن ثابت فی الروایه التی تبین أن فتح بنی النضیر کان علی ید علی حین قتل عشره منهم و جاء برؤوسهم إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و ثالثا: قد روی أحمد فی مسنده، عن ابن عمر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أتی بفضیخ فی مسجد الفضیخ فشربه، فلذلک سمی مسجد الفضیخ (۳).ی.

۱- راجع: تفسیر القرآن العظیم ج ۱ ص ۹۳ عن أبی یعلی، و عن أحمد فی عده مواضع.
۲- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۱ و مرآه الحرمین ج ۱ ص ۴۱۸.
۳- مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۶ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۲ عنه، و عن أبی یعلی.

و نحن .. و إن كنا نكذّب بصوره قاطعه شربه (صلى اللّه عليه و آله) للفضيخ، كيف، و قد كانت الخمر و كل مسكر قد حرم فى مكه. كما أن الخمر مما قد تسالمت الشرائع على تحريمه (۱) و قد رفض شربها عدد من الناس فى الجاهليه كما ذكرناه فى الجزء الخامس من هذا الكتاب ..- و إن كنا نكذب ذلك- إلا أننا نقول: لا مانع من أن يؤتى إليه (صلى اللّه عليه و آله) بذلك، فيرفضه و ينهى عنه، و قد يسمى المكان بما يشير إلى ذلك، لأجل استغراب الناس عمل ذلك الرجل الذى أتى إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بشى ء قد حرمه منذ بعث، و لا يزال يؤكد تحريمه، و يمنع عنه ..۲.

۱- راجع الكافى ج ۶ ص ۳۹۵، و الوسائل ج ۱۷ ص ۲۳۷ باب تحريم شرب الخمر، و التهذيب ج ۹ ص ۱۰۲ و راجع: التنقيح الرائع ج ۱ ص ۱۵ و راجع أيضا: مفتاح الكرامه ج ۴ ص ۲.

الفصل الخامس: کی لا یکون دوله بین الأغنیاء

اشاره

الخيانه و الفداء:

قد علمنا فيما سبق: أنه قد كان فيما بين بنى النضير، و بين المسلمين عهد و عقد .. و قد نقض بنو النضير عهدهم هذا، و خانوا و غدروا، فكان من الطبيعى أن يهبّ المسلمون للدفاع عن أنفسهم، و أن يقاتلوا عدوهم، و أن يلقى هذا العدو جزاء غدره و خيانته ..

و حين رأى بنو النضير: أن الأمور تسير فى غير صالحهم، و أنهم قد أخطأوا فى حساباتهم خطأ فاحشا، و أن لا أحد يستطيع أن يمنع المسلمين من إنزال العقاب العادل بهم، فإنهم قد رضوا بأن يقدموا أموالهم و أرضهم لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى مقابل الإبقاء عليهم، و عدم قتلهم جزاء غدرهم و خيانتهم و صالحوا النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) على ذلك؛ فكانت جميع أموالهم و أراضيهم خالصه له (صلى اللّه عليه و آله) يتصرف فيها كما يشاء.

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار:

قال السهيلى: (و لم يختلفوا: أن سوره الحشر نزلت فى بنى النضير، و لا اختلفوا فى أموالهم؛ لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل و لا ركاب، و إنما قذف الرعب فى قلوبهم، و جلوا عن منازلهم إلى خيبر، و لم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم؛ فقسمها النبى صلى الله عليه و آله وسلم بين

المهاجرين، ليرفع بـذلك مؤونتهم عن الأنصار؛ إذ كانوا قـد ساهموهم فى الأموال و الديار. غير أنه أعطى أبا دجانه، و سـهل بن حنيف لحاجتهما.

و قال غير ابن إسحاق: (و أعطى ثلاثه من الأنصار، و ذكر الحارث بن الصمه فيهم) (۱).

و عن عمر بن الخطـاب: قال: كانت أموال بنى النضـير مما أفاء اللّه على رسوله صـلى الله عليه و آله وسـلم لم يوجف المسـلمون عليه بخيل و لا ركاب، فكانت لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم خالصه. و كان ينفق على أهله منها نفقه سنه، و قال مره:

قوت سنه، و ما بقى جعله فى الكراع و السلاح عده فى سبيل اللّه عز و جل (۲).

و نقول: لو صح ذلک من فعل النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فإنه يكون تبرعا منه (صلى اللّه عليه و آله) بما هو له، كسائر الأموال التير.

۱- الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱. و حكايه الإجماع حول أموالهم فى فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۴.

۲- مسـند أحمد ج ۱ ص ۲۵ و فتـح القدير ج ۵ ص ۱۹۹ عن الصـحيحين و غيرهما، و مسـند أبى عوانه ج ۴ ص ۱۳۲- ۱۴۰ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۲۸ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۵۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۵، و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۲۰ و ۳۴ و الجامع الصحيح ج ۴ ص ۲۱۶ و سنن النسائى ج ۷ ص ۱۳۲ و التراتيب الإداريه ج ۱ ص ۳۹۳ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۴۱ و الخراج للقرشى ص ۳۴ و المغنى لإبن قدامه ج ۷ ص ۳۰۸ و ۳۰۹ و التبيان ج ۹ ص ۵۶۱ و راجع ص ۵۶۲ و راجع: أحكـام القرآن لإبن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۲ عن بعض من تقـدم و عن ابن المنـذر و الأـموال ص ۱۴ و تاريـخ الإسـلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۳ و تاريـخ المدينه ج ۱ ص ۲۰۸ و السـيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و ۲۶۳ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و معجم البلـدان ج ۵ ص ۲۹۰ و مدارک التنزيل مطبوع بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۷ لكن ليس فى المصادر الثلاثه الأخيره: أن القائل هو عمر.

یملکها الإنسان و یرغب فی إنفاقها فی مورد خاص.

و قد جاء عن عمر بن الخطاب أیضا قوله: مال بنی النضیر، کان فیئا لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خاصه (۱) و کان عمر أیضا یقول: (کانت لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ثلاث صفایا، فکانت بنو النضیر حبسا لنوائبه ..)، ثم ذکر بقیه الصفایا (۲) و عباره بعض المصادر: أنها کانت حبسا لنوائبه (۳)، و فی نص آخر: حبسا لموالیه (۴). و لعله تصحیف.

و قال الزهری: (.. و کانت بنو النضیر للنبی صلی الله علیه و آله وسلم خالصا، لم یفتحوها عنوه، افتتحوها علی صلح الخ ..) (۵).

و کان أول أرض افتتحها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أرض بنیی.

۱- التبیان ج ۹ ص ۵۶۱ و أنساب الأشراف قسم حیاه النبی (صلی اللّه علیه و آله) ص ۵۱۹ و ۵۱۸ و راجع المصادر التالیه: (و لکنها لم تصرح باسم عمر) تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۲۰ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۷۴ و السیره النبویه لإبن هشام ج ۳ ص ۲۰۱ و راجع ص ۲۰۳ و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۳۶۰ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۵۵۵ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۱۳ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۸ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۲ و نسب هذا القول إلی الزهری و محمد بن إسحاق فی کتاب الخراج للقرشی ص ۳۲.

۲- المغازی ج ۱ ص ۳۷۷ و فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۹.

۳- فتوح البلدان قسم ۱ ص ۲۰ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۹ عن الإمتاع و فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۳ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۷۸ و سنن أبی داود ج ۳ ص ۱۴۱ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۲ عنه و عن ابن مردویه و الخراج للقرشی ص ۳۴.

۴- مسند أبی عوانه ج ۴ ص ۱۴۲.

۵- سنن أبی داود ج ۳ ص ۱۴۳ و جامع البیان ج ۲۸ ص ۲۴ و راجع: الأموال ص ۱۴ و ذکر النص نفسه فی فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و لم یذکر أنه عن الزهری.

النضير (۱).

(و بقی منها صدقه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم التی فی أیدی بنی فاطمه (۲).

(و اصطفی منها رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أموال بنی النضیر، و کانت أول صافیه قسمها رسول اللّه بین المهاجرین الأولین (و الأنصار). و أمر علیا؛ فحاز ما لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فجعله صدقه، و کانت فی یده، مده حیاته، ثم فی ید أمیر المؤمنین (علیه السلام) بعده، و هو فی ولد فاطمه (علیها السلام) حتی الیوم) (۳).

و أرجع صلی الله علیه و آله وسلم - بعد فتح بنی النضیر- الأراضی و الأشجار، التی کانت قد وهبت له إلی أصحابها من الأنصار. و قیل: بل کان ذلک حین فرغ صلی الله علیه و آله وسلم من خیبر (۴).٠.

۱- فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۷.

۲- سنن أبی داود ج ۳ ص ۱۵۷ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۲۱ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۸ و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۳۶۱ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عده مصادر و فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۰ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۱ و المناقب لإبن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۹۷ و الإرشاد للمفید ص ۵۰ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۳.

۳- راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۷۳ و الإرشاد للمفید ص ۵۰ و المناقب لإبن شهر آشوب ج ۱ ص ۱۹۷ و کشف الغمه ج ۱ ص ۲۰۱ و راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۳.

۴- راجع: مسند أبی عوانه ج ۴ ص ۱۷۴- ۱۷۶ و صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۶۲ و ۱۶۳ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۱ و ج ۲ ص ۱۲۵ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۳۶۸ و ۳۶۹ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲۵ و ۲۶ و أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۷۷ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۶ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۶ و راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۰.

أموال بنى النضير لم تخمس:

قالوا: (كانت بنو النضير صفيا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خالصه له حبسا لنوائبه، و لم يخمسها، و لم يسهم فيها لأحد. و قد أعطى ناسا من أصحابه، و وسع فى الناس منها، فكان ممن أعطى الخ ..) (۱).

و لكننا نجد بعض الروايات تقول: (إنه (صلى اللّه عليه و آله) خمسها، و ذهب إليه الشافعى، و أعطى منها ما أراد لمن أراد، و وهب العقار للناس، و كان يعطى من محصول البعض أهله و عياله نفقه سنه، و يجعل ما بقى مجعل مال اللّه) (۲).

و لكن دعوى تخميسها لا تصح؛ فان الثابت هو أنها لم تفتح عنوه، و أنها مما أفاءه اللّه على رسوله، و الفى ء لا يخمس. و إنما تخمس الغنيمه المأخوذه عنوه فى الحرب.

إلاـ أن يكون المراد: أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد خمس بعض ما أخذ من متاع القوم قبل وقوع الصلح .. فعممه هؤلاء لحاجه فى النفس قضيت ..

و لعل دعوى التخميس لها تهدف إلى القاء الشبهه على مطالبه على (عليه السلام) و فاطمه (عليها السلام) و العباس بها، مع أن عمر بن الخطاب نفسه يصرح فى روايه المطالبه هذه (۳) بتركه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حينما انفرد أبو بكر بروايه: نحن معاشر الأنبياء لا نورثى.

۱- الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ عن الكازرونى. و راجع: تاريخ المدينه ج ۱ ص ۱۷۶ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱.

۲- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲.

۳- ستأتى هذه الروايه مع مصادرها فى الفصل السادس إن شاء اللّه تعالى.

و فيما سبق بأن أموال بنى النضير كانت من الفى ء.

بل لقد ورد: أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول اللّه ألا تخمس ما أصبت من بنى النضير؟ كما خمست ما أصبت من بدر؟!

فقال: لاـ أجعل شيئا جعله اللّه لى دون المؤمنين بقوله: ما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى الآيه .. كهيئه ما وقع فيه السهمان (۱).

توضيحات للواقدى:

اشاره

قال الواقدى: (إنما كان ينفق على أهله من بنى النضير، كانت له خالصه، فأعطى من أعطى منها، و حبس ما حبس، و كان يزرع تحت النخل زرعا كثيرا. و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يدخل منها قوت أهله سنه، من الشعير و التمر لأزواجه، و بنى عبد المطلب، و ما فضل جعله فى الكراع و السلاح، و إنه كان عند أبى بكر و عمر من ذلك السلاح، الذى اشترى على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قد استعمل على أموال بنى النضير أبا رافع مولاه، و ربما جاء رسول اللّه بالباكوره منها. و كانت صدقاته منها، و من أموال مخيريق، و هى سبعه حوائط إلخ .. (۲).

و نقول:

إن لنا على ما تقدم مايلى:

أ: التعبير ب (صدقات) و (صوافى):

فإن التعبير عن أموال بنى النضير، و عن أموال مخيريق ب (صدقات رسول اللّه) نجده لدى معظم المؤرخين و المؤلفين من إخواننا أهل السنه.٨.

۱- المغازى ج ۱ ص ۳۷۷ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۸.

۲- المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۸.

و هو تعبير فنى مدروس، قد جاء ليؤكد اتجاها سياسيا، فرضه موقف السلطه مما حدث، من أجل تأكيد الحديث المزعوم الذى يقول:

نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه.

هذا الحديث الذى أنكره على و فاطمه (عليهما السلام) و العباس و غيرهم.

فما كان من الفريق الآخر إلا أن أطلق على ما تركه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من أموال، و عقار اسم: (صدقه) (۱)، أو (صدقات) و قالوا: (كل ما ترك رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تصدق به) (۲) ليركزوا ذلك الأمر الذى انفرد به أبو بكر و أنكره أهل البيت فى أذهان الناس بصوره تلقائيه و لا شعوريه. أما بالنسبه لقول عمر: إن بنى النضير كانت من صوافى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حبسا لنوائبه، فإن ذلك بهدف الإيحاء بأنها لا بد أن تعود إلى بيت المال بعده، أو للخليفه لتكون حبسا لنوائبه أيضا.

و لنا أن نعتبر هذا النحو من التعامل من لطائف الكيد السياسى، و من جمله حبائله .. و لكن ذلك لم يجدهم شيئا فى تغيير الحقيقه، فقد عبّر الآخرون عن آرائهم بصراحه، و أبطلوا كيد هؤلاء و لم يمكن لأهل المكر و الخداع و الكيد: أن يحققوا من مكرهم هذا شيئا.

ب: حبائل ماكره أخرى:

كما أننا نلاحظ: أن ثمه تعمدا و إصرارا على أمر آخر، يراد للناس أن يقبلوه و يصدقوه، و هو: أن رسول اللّه الأكرم (صلى اللّه عليه و آله)ى.

۱- فى الطرائف ص ۲۸۳. (لعل أبا بكر و أتباعه هم الذين سموها صدقات).

۲- التراتيب الإداريه: ج ۱ ص ۴۰۱ عن السهيلى.

يطعم أهله من أراضى بنى النضير، و خيبر، و حوائط مخيريق، قوت سنه، ثم يجعل الباقى فى الكراع و السلاح.

و قد تقدم ذلک عن عمر بن الخطاب نفسه.

و ليس من البعيد أن يكون سبب ذلک هو إراده الإيحاء بأنه (صلى اللّه عليه و آله)، لم يكن يرى نفسه مالكا، بل هو يتعامل مع هذه الأراضى، كما لو كانت ترجع إلى بيت مال المسلمين، الأمر الذى يؤكد صدق الحكام بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى دعواهم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يورث، و حتى لو كان يورث، فان تعامله هذا يدل على أنه لم يكن مالكا. و إذن .. فما وعد به أبو بكر، من أنه يطعم آل رسول اللّه قوت سنه، و يجعل الباقى فى الكراع و السلاح، لا يعتبر خروجا عما رسمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بل يكون متبعا له، و مقتديا به؛ فرفض أهل البيت (عليهم السلام) لهذا العرض يصبح بلا مبرر ظاهر.

و تكون الزهراء (عليها السلام) هى المخالفه للرسول الكريم، و لأحكام الشرع و الدين، و تطلب ما ليس لها بحق، و تصرّ على طلبها هذا، رغم توضيح الأمر لها!.

و لكننا مع ذلک نقول:

إنه حتى لو صح أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان يفعل ذلک، و صح أيضا: أن هذا السلاح قد بقى عند أبى بكر و عمر؛ فإنه لا يدل على عدم ملكيه الرسول (صلى اللّه عليه و آله) لتلک الأراضى، بعد أن نص القرآن العظيم على ملكيته (صلى اللّه عليه و آله) لها. حيث يمكن أن يكون إنما يفعل ذلک تبرعا، و إيثارا لرضا اللّه سبحانه، و طلبا لمثوبته التى يرغب بها كل مؤمن. لا سيما و أن القرآن قد حث الناس على أن يجاهدوا فى اللّه بأموالهم و بأنفسهم. و من أولى من الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالمسارعه إلى امتثال أمر اللّه هذا؟!.

أموال بنى النضير فى ء أم غنيمه؟

قال النيسابورى:

(اعترض بعضهم: بأن أموال بنى النضير اخذت بعد القتال؛ لأنهم حوصروا أياما، و قاتلوا و قتلوا، ثم صالحوا على الجلاء؛ فوجب أن تكون تلك الأموال من الغنيمه، لا من الفى ء.

و أجاب المفسرون من وجهين:

الأول: إنها لم تنزل فى بنى النضير، و إنما نزلت فى فدك، و لهذا كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ينفق على نفسه، و على عياله من غله فدك، و يجعل الباقى فى السلاح و الكراع.

الثانى: تسليم أنها نزلت فيهم، و لكن لم يكن للمسلمين يومئذ كثير خيل، و لا ركاب، و لم يقطعوا إليها مسافه كثيره، و إنما كانوا على ميلين من المدينه؛ فمشوا على أرجلهم، و لم يركب إلا رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كان راكب جمل؛ فلما كانت العامله قليله، و لم يكن خيل، و لا ركاب، أجراه اللّه مجرى ما لم يكن قتال ثمه) (۱).

و نقول:

۱- إن ما ذكره من أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان يجعل باقى غله فدك فى السلاح و الكراع، بعد أن ينفق على نفسه و على عياله (صلى اللّه عليه و آله) منها ..

محل مناقشه و بحث، فإن من المقطوع به: أن النبى (صلى اللّهخ.

۱- راجع: التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۴ و ۲۸۵، و غرائب القرآن (مطبوع) بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۷ و ۳۸ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و ۱۲ فإنه ذكر ذلك ضمنا و أجاب عنه كذلك، حيث قال: و لم يكن ثمه قتال على التحقيق؛ بل جرى مبادى ء القتال، و جرى الحصار الخ.

علیه و آله) قد أعطی فدکا لابنته فاطمه (علیها السلام)، و قد استولت علیها السلطه بعد عشره أیام من وفاته (صلی اللّه علیه و آله). و قد جری بین الزهراء (علیها السلام) و بین أبی بکر مناقشات و محاورات انتهت بإصرار الخلیفه علی ما أقدم علیه، فغضبت الزهراء علیه، حتی ماتت، و هی مهاجره له و لنصیره عمر، و أوصت بأن تدفن لیلا و لا یحضرا جنازتها (۱).

ففدک لم تکن فی ید رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و لسوف نتحدث عن هذا الأمر، بشیء من التفصیل بعد غزوه خیبر إن شاء اللّه تعالی.

۲- إنه إذا کانت فدک خالصه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و إذا کان قد أنفق غلتها فی الکراع و السلاح؛ فإنما فعل ذلک تکرما، و طلبا للاجر و الثواب، و إیثارا منه (صلی اللّه علیه و آله) علی نفسه، حسبما المحنا إلیه، و لیس لأجل أن حکم الفیء هو ذلک- و ان کنا نحتمل قویا- ان تکون دعوی ذلک من موضوعات خصوم أهل البیت (علیهم السلام) بهدف التشکیک فی أن یکون (صلی اللّه علیه و آله) قد نحلها لفاطمه الزهراء علیها صلوات ربی و سلامه.

۳- و لربما یؤید القول بأن سوره الحشر قد نزلت بعد واقعه بنی النضیر، التعبیر بقوله: (من أهل القری) حیث إن وادی القری قد افتتحت بعد ذلک.

و لکنه تأیید غیر تام؛ فإن الحکم فی الفیء عام، و لا یختص بأهل وادی القری. کما أنه لم یثبت کون المراد بأهل القری هو وادی القری، إذ ذاک.

۱- ستأتی مصادر ذلک کله إن شاء اللّه، حین الحدیث حول فدک بعد غزوه خیبر إن شاء اللّه تعالی. و بالإمکان مراجعه کتاب: أصول مالکیت للأحمدی، و فدک للقزوینی، و دلائل الصدق، و غیر ذلک.

يمكن أن يكون المراد: أهل البلاد مطلقا.

أضف إلى ذلك: أن الآيه التاليه، المشيره إلى إعطاء المهاجرين، و عدم تغيّظ الأنصار من إعطاء إخوانهم، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصه- ان هذه الآيه- تؤيد كون المراد هو بنو النضير، لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يعط الأنصار من أموالهم شيئا، سوى رجلين أو ثلاثه، كما أوضحناه حين الكلام حول تقسيم أراضى بنى النضير، فليراجعه من أراد.

۴- إن ما ذكر فى الجواب الثانى غير تام، فان كثره الخيل و الركاب، و قلتها، و بعد المسافه و قربها لا يؤثر شيئا فى حكم الفى ء، ما دام أن الملاك هو الأخذ عنوه و عدمه. كما أن كثره القتال و قلّته لا يؤثر فى ذلك شيئا.

الجواب الأمثل:

و عليه .. فالأولى فى الجواب: أن يقال: إن القتال الذى كان- إن صح أنه قد كان ثمه قتال- لم يكن به الفتح، و إنما فتحت صلحا، و هذا هو الميزان فى الفى ء و الغنيمه، فإن كان الفتح صلحا كان فيئا، و إن كان بقتال كان غنيمه. فالحكم تابع للنتيجه، مهما كانت مقدماتها.

هذا .. بالإضافه إلى أن ما أرعب اليهود و جعلهم ييأسون، و حملهم على الصلح لم يكن هو القتال المشار إليه، و إنما كان قطع النخيل، و إحراقه. ثم كان قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) للعشره هو السبب فى استجابتهم للصلح، كما تقدم ..

و أما بالنسبه لما يذكرونه من قتال. فنحن لا نستطيع أن نؤكد صحته، بل القرآن و التاريخ يدل على عدمه، و إن كنا لا نمنع من أن تكون قد جرت بعض المناوشات اليسيره، و لكنها لم تكن سبب الفتح قطعا.

المهاجرون .. و أموال بنی النضیر:

لقد هاجر من مکه عدد کبیر من الذین أسلموا، و ترکوا ما کانوا یملکونه وراءهم. و قد قدّم الأنصار لهم کل ما أمکنهم تقدیمه من العون و الرعایه، حتی لقد أرادوا أن یقاسموهم أموالهم؛ فمنعهم النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و أمرهم أن یعملوا فی مزارعهم و بساتینهم وفقا لقواعد المساقات و المزارعه، و هکذا کان (۱).

و حین أفاء اللّه علی رسوله أموال و أراضی بنی النضیر، کانت خالصه له (صلی اللّه علیه و آله)، بمقتضی قوله تعالی:

ما أَفاءَ اللَّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری؛ فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ (۲).

و قد روی القرشی عن الکلبی أنه قال: (قسم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أموال بنی النضیر، إلا سبعه حوائط منها، أمسکها و لم یقسمها) (۳).

حکایه قسمه الأراضی:

ثم إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد خیّر الأنصار، بین أن یقسم ما أفاءه اللّه علیه، علیهم، و علی المهاجرین، و یکون المهاجرون مع الأنصار کما کانوا، و بین أن یخص المهاجرین بها، فیستقلون عن الأنصار، و یرجعون إلیهم أراضیهم.۶.

۱- مسند أبی عوانه: ج ۴ ص ۱۷۴ و السنن الکبری للبیهقی ج ۶ ص ۱۱۶ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۹ و صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۶۲.

۲- الحشر: ۷ و لیراجع هنا: مجمع البیان ج ۹ ص ۲۶۰ و التبیان ج ۹ ص ۵۶۲ و الإکتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و ۱۴۹.

۳- الخراج للقرشی: ص ۳۶.

فقال السعدان- سعد بن معاذ، و ابن عباده-: بل نقسم أموالنا و ديارنا على المهاجرين، و يؤثرونهم بالقسمه أيضا، و لا يشاركونهم فيها.

فاقتدى بهما سائر الأنصار. فانزل اللّه: وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ.

فقسمها النبى (صلى اللّه عليه و آله) بين المهاجرين، و أمرهم برد ما كان للانصار حسب تعبير الحلبى (۱).

فكانت أول صافيه قسمها (صلى اللّه عليه و آله) بين المهاجرين الأولين (۲).

و فى بعض المصادر: أن المهاجرين إنما ردوا ما كان للأنصار بعد۸.

۱- راجع: فيما تقدم، كلا، أو بعضا المصادر التاليه: البحار ج ۲۰ ص ۱۷۱ و ۱۷۲ و فى هامشه عن الإمتاع للمقريزى ص ۱۸۲ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۶۸ و ۳۶۹ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و مسند أبى عوانه ج ۴ ص ۱۷۵ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۱۱۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۹ و تاريخ المدينه ج ۲ ص ۴۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۳ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۸ و ۲۶۹ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۳ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۹ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۴۱ و ۴۲ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۰۱ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲۵ و ۲۳ و أحكام القرآن لإبن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۶ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۷ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۵ و جوامع الجامع ص ۴۸۷ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و الخراج للقرشى ص ۳۳ و راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و عمده القارى ء ج ۱۵ ص ۴۷ و إرشاد السارى ج ۵ ص ۲۱۰.

۲- فتوح البلدان: قسم ۱ ص ۲۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۳ و فى هامشه عن المناقب ج ۱ ص ۱۶۹ و ۱۷۰ و عن الإرشاد ص ۴۹ و ۴۸.

الفراغ من خيبر (۱).

محاسبات دقيقه:

إننـا رغم أننـا نشـک فی إرجـاع المهـاجرين أمـوال الأنصـار، و نحتمـل قويـا: أن يكون الهـدف من هـذا الزعم هو تقويه موقف المهاجرين، حيث لا يكون للأنصار- و الحاله هذه- فضل يذكر، إلا أننا نغض النظر عن ذلک فنقول:

يرد هنـا سؤال، و هـو: أنه إذا كـانت أموال بنى النضـير خـالصه لرسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله و سـلم)، بنصّ القرآن الكريم، فلماذا يطلب (صلى اللّه عليه و آله) موافقه الأنصار على أن يخصّ المهاجرين بها؟

أليس هو (صلى اللّه عليه و آله) حرّ التصرف فيما ملّكه اللّه إياه، يضعه حيث يشاء، و يعطيه لمن يشاء!.

و نحن فی مقام الإجابه على هذا السؤال نشير إلى ما يلی:

۱- إنه (صـلى اللّه عليه و آله) يريد أن لا يسـى ء أحد من الأنصار تفسـير تصـرفه ذاک، فيتوهم: أن ذلک منه (صـلى اللّه عليه و آله) بسبب حبّه لقومه، دونهم، أو لغير ذلک من أسباب. كما أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يريد أن يثير فی الأنصار حسدا لا مبرر له، أو مـا هو أكثر من الحسـد، و هم يرون إخوانهم يحصـلون على الأـموال و الأراضـى دونهم، حتى و لو كانوا يعلمون: أن هـذا المال ملک لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يضعه حيث يشاء، و يعطيه لمن أراد، و يعلمون أيضا: أنه لا ينطلق فی إعطائه ذاک من سلبيات يخشون وجودها.٠.

۱- صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۳۶۸ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۰.

۲- إنه يريـد للمسـلمين جميعا: أن لا يفهموا هذا التصـرف على أنه امتياز لهم دون غيرهم، و ليتخذ ذلك اصـحاب الأهواء منهم ذريعه للابتزاز، أو لإعمال سياسات ظالمه تجاه إخوانهم من الأنصار، حينما تسنح لهم الفرصه لذلك.

۳- إنه يريد للمسـلمين جميعا أن يفهموا: أن على القياده أن لا تسـتبد بالرأى و بالتصـرف، فان التفاهم، و المشاركه فى الرأى، و عدم التفرد فيه، يجب أن يكون هو السمه المميزه للانسان المسلم.

۴- إنه (صـلى اللّه عليه و آله) يريد أن يعلّم الانصار، و يستفيد من ذلك المهاجرون درسا فى الإيثار على النفس ما دام أن ذلك من شـأنه أن يوثق عرى الموده، و يـثير كوامن الحب فى مجتمع يشـعر أعضـاؤه بآلاـم و مشاكـل بعضـهم البعض، و يعملون على حلّها، و يبذلون جهدهم فى هذا السبيل.

۵- كما أننا نستفيد بالاضافه إلى ما تقدم الأمور التاليه:

أ: إنه كما أن من مسؤوليات قائـد الأمه تصـريف أمور الرعيه، و رعايه شؤونها، و إدارتها، و هـدايتها إلى أفضل السـبل و أجداها فى دفع الأخطـار الكبرى عنهـا، و حـل المعضـلات التى ربمـا تواجههـا .. كـذلك فـإن من مسؤولياته تربيه الأمه تربيه صالحه، و رعـايه شؤونهـا الروحيه و تزكيتهـا، و بعث الفضائـل و السـجايا الكريمه فى نفوس أبنائها جماعات و آحادا، ثم إبعاد كل ريب و رين عنها؛ لتكون خالصه خلوص الجوهر، نقيه صافيه صفاء النور ..

هذا بالإضافه إلى رعايه العلاقات الروحيه فيما بين أفراد و جماعات الأمه، لتبقى سـليمه و حميمه، و قائمه على أسس قويه و ثابته من تلك السجايا و السمات و الصفات الراسخه فى أعماق الذات الإنسانيه ..

فلا يجوز أن يصدر منه أى عمل- حتى و لو كان بملاحظه خصوصيته

الفرديه، و العاديه حلالا و مباحا له- من شأنه أن يلحق أدنى ضرر فى البنيه الإجتماعيه، سواء على المستوى النفسى أو الفكرى، أو المادى، أو غير ذلك.

كما أن عليه أن يتكهن بآثار أى عمل يصدر منه، و يقدر ماله من سلبيات و إيجابيات مستقبليه، و على جميع المستويات.

ب: إن ما تقدم يوضح لنا مدى حساسيه موقع هذه القياده، و خطوره مسؤولياتها، و يوضح كذلك: أنه ليس باستطاعه كل أحد؛ أن يتسلّم أزمّه الحكم، و يتولى مسؤوليات قياديه، إلا إذا اجتمعت فيه خصال و مواصفات ذات طابع معين، من شأنها أن تساعد على تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الأهداف التى تتوخاها الأمه من قياداتها.

ج: إن ما فعله الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) قد أفهمنا: أنه يفترض فى القائد: أن يرعى الشؤون الماديه للأمه، و لو من ماله الخاص، حينما لا يكون ثمه مصادر أخرى قادره على سد حاجاتهم فى هذا المجال.

د: و درس آخر نتعلمه من موقف النبى (صلى اللّه عليه و آله) هنا، و هو: أن الإنسان، و إن كان له الحق فى أن يتصرف فى ماله كيف يشاء، و لكن حينما تنشأ عن هذا التصرف سلبيات من نوع ما، فان عليه أن يعمل على معالجه تلك السلبيات، و أن يعطى تصرفه مناعات كافيه، تحصن الواقع من أن تنشأ فيه تلك السلبيات، أو أن تؤثر أثرها البغيض المقيت، حتى ولو كانت تلك السلبيات ناشئه عن تقصير الآخرين، أو عن سوء تصرفهم، أو عن عدم التزامهم الأكيد بالحدود و القيود التى يفترض التزامهم بها، أو غفلتهم عن ذلك، بل و حتى لو كان ذلك من قبيل الطموحات الباطله و اللّامشروعه، أو التى تستتبع حسدا لا مبرر له لدى الآخرين، أو حقدا كذلك.

ه: إننـا نلاحـظ: أنه (صـلى اللّه عليه و آله) قـد كـانت معـالجته لسـلبيات لاـ مبرر لها بطريقه بنّاءه ورائـده، ثم هى زاخره بالمعانى الإيجـابيه الكبيره، التى من شأنهـا ليس فقـط أن تؤثر فى الصـيانه و الحصـانه بـدرجه كـافيه، و إنما هى تساهم بـدرجه كبيره فى تكامـل الأـمه، و فى حصولهـا على المعانى و السـجايا الإنسانيه، ثم تعميقها و ترسـيخها بصوره عمليه، لا بمجرد التنظير، و إطلاق الشعارات فى الهواء.

و هذا هو الأسلوب الأمثل و الأجدى فى بناء الأمه، و تأكيد خصائصها الإنسانيه، و سجاياها الكريمه الفضلى ..

المستفيدون من أراضى بنى النضير:

و يذكر المؤرخون أسـماء طائفه من الناس أعطاهم الرسول (صلى اللّه عليه و آله) من أراضى بنى النضير، بل يرى البعض: أنه لم يعط سوى الأشخاص التاليه أسماؤهم و هم:

۱- أبو بكر بن أبى قحافه؛ فقد حصل على موضع يقال له: (بئر حجر) (۱).

۲- عمر بن الخطاب، الذى حصل على موضع يقال له:

(جرم) (۲).

۳- عبد الرحمن بن عوف، الذى حصل على موضع يقال له:ن.

۱- الطبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و راجع: فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۹ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۹۰.

۲- راجع: المصادر المتقدمه باستثناء فتوح البلدان.

(سواله)، أو (كيدمه). و هو الذى يقال له: (مال سليم) (۱).

۴- الزبير بن العوام، الذى حصل على أرض يقال لها:

(بويّله) (۲).

۵- صهيب بن سنان، حصل على أرض يقال لها (ضراطه) (۳).

۶- أبو سلمه بن عبد الأسد، حصل على أرض من بنى النضير، عند الواقدى أن اسمها (بويله) شاركه الزبير فيها أيضا، كما أشرنا إليه (۴).

۷- أبو دجانه.

۸- و سهل بن حنيف، حصلا على أرض يقال لها: (مال ابن خرشه) (۵).۰۱

۱- وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۹۶ و ج ۳ ص ۹۴۵ و معجم البلدان ج ۴ ص ۴۹۷ و راجع ج ۵ ص ۲۹۰ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۹.

۲- طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸، لكنه ذكر بويله له و لأبى سلمه بن عبد الاسد، و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۲۱ و ۲۲ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۷ و إرشاد السارى ج ۴ ص ۲۱۰ و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۷ ص ۱۴۷ عن صبح الأعشى ج ۱۳ ص ۱۰۵ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۹، و نيل الأوطار ج ۶ ص ۵۷.

۳- الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و راجع ج ۳ ص ۱۰۴ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و ۳۸۰، و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۹.

۴- طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۰ و ذكرا أنه (صلى اللّه عليه و آله) أعطاه (بويله) و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۷ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۶۹.

۵- راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۰ و ۳۷۹ و السيره النبويه ج ۳ ص ۲۰۱

۹- الحارث بن الصمه، استفاد هو الآخر من ذلک حسبما ذکروه (۱).۷.

۱- مجمع البیان ج ۹ ص ۲۶۰ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۲۵۱ و ۴۶۲ عن المدارک، و معالم التنزیل و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۹، و قال: (نظر فیه بعضهم: بأنه قتل فی بئر معونه)، و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۶، و جوامع الجامع ص ۴۸۷، و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۸۵ و الکشاف للزمخشری ج ۴ ص ۵۰۵، و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و راجع ص ۱۴ و ۲۴ و أحکام القرآن لإبن العربی ج ۴ ص ۱۷۷۱ و ۱۷۷۲ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ عن غیر ابن إسحاق، و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۱۶، و مناقب آل أبی طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

و عند البعض: الحرث بن أبرهه (۱).

و الظاهر: أنه تصحيف.

۱۰- و أعطى- زعموا- سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق (۲).

۱۱- و أعطى عثمان بن عفان أيضا، بعض أراضى بنى النضير، فى مكان يقال له: الدومه (۳).

نصّان غير متوافقين:

و نشير هنا إلى نصّين غير متوافقين، و هما:

۱- ما قاله العينى: (.. و لم يخمّس، و لم يسهم منها لأحد، إلا لأبى بكر، و عمر، و ابن عوف، و صهيب بن سنان، و الزبير بن العوام، و أبى سلمه بن عبد الأسد، و أبى دجانه) (۴).

فالعينى إذن يرى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يعط أحدا غير هؤلاء.

و لكن التعبير ب (يسهم) فيه شى ء من المسامحه؛ لاشعاره بأنها مفتوحه عنوه، و ليس الأمر كذلك.

۲- قال ابن شبه: (.. عن محمد بن إسحاق، قال: قسمها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى المهاجرين إلا سهل بن حنيف، و أبى دجانه، و كذا نفرا،۶.

۱- غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۸.
۲- تاريخ الإسلام للذهبى (قسم المغازى) ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۸ ص ۱۱، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۹، و السيره الحلبيه للحلبى الشافعى ج ۲ ص ۲۶۹.
۳- وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۴۴ عن ابن شبه.
۴- عمده القارى ء ج ۱۸ ص ۱۲۶.

فأعطاهما منها) (۱).

و قال النسفی: قد أعطی ثلاثه من الأنصار (۲). لکنه لم یذکر لنا أسماءهم بالتحدید.

فنجد العینی لا یذکر سهل بن حنیف، و نجد آخرین یذکرون سهلا و أبا دجانه، و نجد عددا آخر یصرّ علی أنهم ثلاثه من الأنصار، و لعله یقصد الحارث بن الصّمه؛ فإنه أنصاری أیضا. و لکن إبن شبه ذکر سهلا و أبا دجانه، و کذا نفرا من الأنصار. و معنی ذلک هو أنه قد أعطی الثلاثه الآنفه أسماؤهم. مع أن ظاهر النصوص الحصر بهم، أو بواحد، أو باثنین منهم. فالأولی الأقتصار علی ذلک إلی أن یرد ما یؤید کلام ابن شبه.

کی لا یکون دوله بین الأغنیاء:

و قد علل اللّه سبحانه عطاء بعض الفئات دون بعض، من الفی ء بقوله:

وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لا رِکابٍ وَ لکِنَّ اللَّهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلی مَنْ یَشاءُ، وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ کَیْ لا یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ الْأَغْنِیاءِ مِنْکُمْ وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ (۳).۷.

۱- تاریخ المدینه ج ۲ ص ۴۹۰.

۲- مدارک التنزیل (مطبوع بهامش لباب التأویل) ج ۴ ص ۲۴۶.

۳- الحشر: ۶ و ۷.

و نستفيد من هذه الآيه الأمور التاليه:

الأول: إنه سبحانه قد علل إعطاء الفى ء للفقراء اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل بأن لا يكون المال محصورا بين الأغنياء، يتداولونه فيما بينهم. و هذا يعطى: أن الإسلام يريد أن يمكّن الجميع من الحصول على المال، و لا يكون حكرا على جماعه دون غيرها .. أى أنه يريد للمال أن يتحرك، و أن ترتفع الموانع و الحواجز من طريقه و ينطلق من خلال الالتزام بالحكم الإلهى، و الوقوف عند الحدود الشرعيه، لتتداوله جميع الأيدى فلا بغى من أحد على أحد، و لا استئثار بشى ء دون الآخرين و إنما الإيثار على النفس، و لو مع شده الحاجه و الخصاصه.

كما أنه يريد للفقير: أن يحصل على المال بصوره مشروعه، و من دون منّه من أحد عليه، ما دام ان المال قد أعطاه اللّه إياه، و ليس لأحد من الخلق فيه أى دور.

الثانى: إن الإسلام حين قبل بالملكيه الفرديه، و جعل القوانين و النظم لحمايتها، و قبل أيضا بملكيه الدوله و الجهه، و أعطى المجال لطموحات الإنسان، و قدراته الخلاقه للتعبير عن نفسها، و تأكيد وجودها، فانه قد قرر إلى جانب ذلك قاعدته، و أعطى ضابطته التى لا مجال لتخطيها فى شأن المال بقوله: (كى لا يكون دوله بين الأغنياء منكم)؛ فانه يكون بذلك قد قرر الحد الذى يفصل نظام الإسلام الإقتصادى عن النظام الرأسمالى الفاسد، و الذى ينتهى بالمال إلى أن يصبح دوله بين الأغنياء.

و ذلك لأن الإسلام، و إن كان قد قبل بالملكيه الفرديه، إلا أنه قد حدّد مصادر الحصول عليها فى جهات معينه، لا يجوز تعدّيها، إلى غيرها ..

كما أنه قد وضع من الأحكام و الضوابط فى مختلف شؤون الحياه و جهاتها، ما يمنع من تكدّس المال بصوره فاحشه لدى افراد بخصوصهم.

و قد بين اللّه سبحانه هذا الأصل الأصيل بعباره واضحه و موجزه حينما قال:

(لا يكون دوله بين الأغنياء).

ثم هو قد حرّم و أدان، و عاقب على كل عمل من شأنه أن يهدم هذا الأصل، و يضر فى مسيره تحقيقه، أى ما يوجب صيروره المال (دوله بين الأغنياء)، فحرم الربا، و منع من الإحتكار، و من أكل المال بالباطل، و والخ.

و بما تقدم يتضح أيضا: البون الشاسع فيما بين المذاهب الإقتصاديه الأخرى،- كالإشتراكيه- و بين نظام الإسلام الإقتصادى، كما هو ظاهر لا يخفى.

الثالث: إن ما أفاءه اللّه على رسوله، ليس لأحد أن يدعى أن له فيه أدنى أثر أو أى دور فى تحصيله. فإن المسلمين لم يوجفوا عليه بخيل و لا ركاب، و إنما عاد إلى رسول اللّه بسبب تسليط اللّه رسله على من يشاء، كاليهود الناقضين للعهود و المواثيق.

و معنى ذلك هو أنه ليس لأحد الحق فى أن يدعى: أنه قد تنازل للنبى (صلى اللّه عليه و آله) عن شى ء هو له، أو ساهم فيه، و جاء الحكم الإلهى ليأخذه منه، و يعطيه للنبى لمصلحه كامنه فى ذلك، كما ربما يتوهم فى الزكاه و الخمس، و ذلك لأن اللّه قد صرح بأن تسليط اللّه سبحانه للرسول على أولئك الناس قد كان سببا فى حصول ما يسمى بالفى ء؛ فالفى ء إذن هو نتيجه عمل إلهى، و تصرف ربانى فى واقع سلطه الرسول و بسطها على أولئك المعاندين ..

و أما منا شى ء هذه السلطه، و مقوماتها، فيجب أن لا تكون منحصره فى العده و العدد و الحشود لدى المسلمين، فان ذلك يتحقق بتأييدات إلهيه

غیبیه، تساهم فیها معرفه الیهود بنبوته (صلی اللّه علیه و آله)، و رؤیتهم لمعجزاته و کراماته، و حبهم للدنیا، و خوفهم من الموت و غیر ذلک من أمور.

الرابع: بقی أن نشیر إلی أن الآیات قد نصت علی أن الفی ء للّه، و للرسول، و لذی القربی، و الیتامی، و المساکین، و ابن السبیل؛ فکیف نوفق بین ذلک و بین ما هو معلوم من أن الفی ء خالص لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟

و نقول فی الجواب: إن الآیات لم تتعرض لتشریع حکم الفی ء، و بیان تقسیماته اللازمه شرعا، من حیث مالکیه هؤلاء الأصناف له، و إنما هی تبیّن قضیه فی واقعه، یراد توضیح المراد فیها، و إزاله الشبهه عن موقف النبی (صلی اللّه علیه و آله) منها، و ذلک لأن الآیات التالیه لتلک الآیه، قد بیّنت: أن المراد بهؤلاء الأصناف هو خصوص المهاجرین منهم، أما الأنصار؛ فانهم لا یجدون فی أنفسهم حرجا فی أن یأخذ إخوانهم المهاجرون من الفی ء دونهم، رغم ما کان یعانی منه الأنصار من حاجه و خصاصه، بل هم یؤثرونهم علی أنفسهم و لو کان بهم خصاصه.

کما أن الآیه الآنفه الذکر قد بینت: أن المراد هو الفی ء الحاصل من أهل القری، لا کل فی ء، و ذلک یؤید أنها فی صدد الحدیث عن قضیه فی واقعه، من أجل إبراز ما بها من خصوصیات، و من معان إنسانیه هامه، و من دقائق أخری لابد من الإلفات إلیها، و التنبیه علیها، و لیست فی صدد اعطاء الضابطه و القاعده العامه.

و معنی ذلک هو: أن المراد بیان أن ما فعله النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی الفی ء الحاصل له من أهل القری، حیث قسمه علی المهاجرین دون الأنصار، رغم وجود الخصاصه فی الأنصار، إنما کان لمصالح اقتضت التخصیص منه (صلی اللّه علیه و آله). و لا حرج علی النبی و الإمام

فی أن یلاحظ المصالح، و یقدم قوما علی قوم، و یعطی هؤلاء، و یحرم أولئک، لأجل تلک المصالح المقتضیه لذلک، و لا یجب علیه أن یساوی بین الناس دائما، فان المساوات لیست مطلوبه علی کل حال، و إنما هی مطلوبه حیث لا مصلحه فی الترجیح، و حیث لا توجب تعمیق الهوه بین الفئات التی یراد المساواه بینها.

و إذن فلا معنی لاستغلال هذا الأمر للدعایه ضد نبی الإسلام، و اتهامه بالتحیز و التجنی، و لا سیما إذا علمنا أن ما یقسمه إنما هو حقه الشخصی، و هو حرّ فی أن یجعل ما یختص به لمن یشاء، کیف یشاء.

الخامس: و لابد من التذکیر أخیرا بأن آیه الفی ء هنا کآیه الخمس فی سوره الأنفال، قد ذکرت أصنافا سته: ثلاثه منهم من قسم الواجب، و هم: سهم اللّه، و سهم الرسول، و سهم ذوی القربی، و ثلاثه لا یجب ذلک فیهم، و هم الیتامی، و المساکین، و ابن السبیل ..

لماذا اختص ذووا القربی بالخمس و الفی ء؟

و من الغریب العجیب أن البعض بعد أن ذکر: أن المراد بذوی القربی فی الآیه التی فی سوره الحشر، و فی آیه الخمس هم قرابه رسول اللّه، قد علّل البعض اختصاصهم بالفی ء و الخمس بقوله:

(إن کانت الصدقات لا تحل لهم فلیس لهم فی الزکاه نصیب، و إن کان النبی لا یورث فلیس لذوی قرابته من ماله شی ء، و فیهم الفقراء الذین لا مورد لهم، فجعل لهم من خمس الغنائم نصیبا، کما جعل لهم من هذا الفی ء و أمثاله نصیبا) (۱).

إذن فهذا البعض یری: أن فقر الفقراء منهم، و حرمانهم من الإرث۴.

۱- فی ظلال القرآن ج ۶ ص ۳۵۲۴.

و الزكاه كان هو السبب فى ذلك!!

و نقول: إن كلامه غير صحيح، و ذلك لما يلى:

۱- لقد علق هو نفسه فى هامش كتابه على كلمه (الفقراء) بقوله:

(هناك خلاف فقهى، هل الفقراء من قرابه الرسول هم المستحقون؟! أم جميعهم، و الراجح جميعهم) (۱).

و معنى ذلك هو: أن فقرهم ليس هو سبب إعطائهم، إذ ليس ثمه خصوصيه للفقراء منهم تقتضى ترجيحهم على سائر الفقراء، و إنما السبب فى الترجيح هو- فقط- قرابتهم من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

۲- لا ندرى كيف حرمهم اللّه هذا المقدار القليل من إرث النبى (صلى اللّه عليه و آله) ثم عوضهم هذه الأموال الهائله و الطائله، التى تحصل من الفى ء و الغنائم!! ..

۳- ثم إننا لا ندرى كيف يحرم شخص واحد و هو الزهراء صلوات اللّه عليها، ثم يعوّض جميع قرابه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى من لم يكن فى طبقتها فى الإرث، بل و حتى جميع بنى هاشم، و لو لم يكونوا من أولاده (صلى اللّه عليه و آله) و لا من ورّاثه!!

بل لقد نال هذا التعويض جميع بنى هاشم إلى يوم القيامه.

و ما كان أحراه أن يكون إهتماما بأمور الفقراء و الضعفاء من سائر الناس، فيورّث فاطمه (عليها السلام)، ثم يتعامل مع جميع بنى هاشم على أنهم بعض من غيرهم.، فلا يحرمهم من ذاك ليعطيهم من هذا أكثر مما يستحقون، و أضعاف ما به كانوا يطالبون.

اليس فى ذلك تضييع لحقوق الكثيرين من الفقراء من غيرهم؟!ق.

۱- المصدر السابق.

حاشاه أن يصدر ذلك منه، أو أن يفكر فيه.

۴- هـذا كله عـدا عن أن حـديث: نحن معاشـر الأنبياء لا نورث ما تركناه صـدقه، و الذى تفرد بروايته الخليفه الأول أبو بكر!! قد أثبت العلمـاء بالأدله القاطعه و البراهين الساطعه عـدم صـحته. و قـد رد على و فاطمه (عليهما السـلام) و كثير غير هما روايته كما ذكرته الروايات الكثيره و ليس هاهنا محل بحث هذا الأمر فمن أراد ذلك، فليراجع كتب العقائد.

الفصل السادس: أراضي بني النضير و الكيد السياسي

اشاره

الغاصبون:

اشاره

و تـذكر المصـادر: أن السـلطه قـد اسـتولت على باقى أموال بنى النضـير، التى احتفظ بها رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، و لم يقسمها بين أصحابه، و قد طالب بها أهل البيت فمنعوا منها ثم إن عمر بن الخطاب قد ردها إليهم، بعد سنين من توليه الحكم.

و لكن حكايه مطالبه أهل بيت النبوه للخليفه الثانى بإرجاعها إليهم.

قـد تعرضت للدس و التشويه بصوره بشعه و مخجله. و نحن نذكر نص الروايه هنا أولا، ثم نشـير إلى بعض وجوه التشويه فيها، و إن كانت واضحه و ظاهره لكل أحد.

نص الروايه:

يقول النص التاريخى، و هو الـذى ذكره مسلم بن الحجاج فى صـحيحه: (حـدثنى عبد اللّه بن محمد بن أسـماء الضـبعى، حدثنا جويريه:

عن مالك، عن الزهرى: أن مالك بن أوس حدثه قال:

أرسل إلى عمر بن الخطاب؛ فجئته حين تعالى النهار، قال:

فوجـدته فى بيته جالسـا على سـرير، مفضـيا إلى رماله، متكئا على وساده من أدم، فقال لى: يا مالك، إنه قـد دفّ أهل أبيات من قومك. و قد أمرت فيهم برضخ فخذه فاقسمه بينهم.

قال: قلت: لو أمرت بهذا غيرى. قال: خذه يا مالک.

قال: فجاء يرفأ، فقال: هل لک- يا أمير المؤمنين- فى عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و الزبير، و سعد؟

فقال عمر: نعم، فأذن لهم؛ فدخلوا. ثم جاء فقال: هل لک فى عباس، و على؟

قال: نعم.

فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بينى و بين هذه الكاذب الآثم، الغادر الخائن!

فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم و أرحهم.

(فقال مالک بن أوس: يخيل إلى: أنهم قد كانوا قدموهم لذلک).

فقال عمر: اتّئدا، أنشدكم باللّه الذى بإذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون: أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قال: لا نورّث، ما تركنا صدقه؟

قالوا: نعم.

ثم أقبل على العباس، و على، فقال: أنشدكما باللّه الذى بإذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون: أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قال: لا نورث، ما تركناه صدقه؟

قالا: نعم.

فقال عمر: إن اللّه جلّ و عز كان خص رسوله صلى الله عليه و آله وسلم بخاصه لم يخصص بها أحدا غيره، قال: ما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى، فللّه و للرسول (ما أدرى هل قرأ الآيه التى قبلها أم لا)، قال: فقسم رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بينكم أموال بنى النضير فواللّه، ما استأثر عليكم، و لا أخذها دونكم، حتى بقى هذا المال؛ فكان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يأخذ منه نفقه سنه،

ثم يجعل ما بقى أسوه المال.

ثم قال: أنشدكم باللّه الذى بإذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون، ذلك؟

قالوا: نعم.

ثم نشد عباسا و عليا بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟

قالا: نعم.

قال: فلما توفى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قال أبو بكر: أنا ولى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : ما نورث ما تركنا صدقه؛ فرأيتماه كاذبا آثما، غادرا، خائنا، و اللّه يعلم: إنه لصادق بار، راشد، تابع للحق. ثم توفى أبو بكر، و أنا ولى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و ولىّ أبى بكر، فرأيتمانى كاذبا، آثما، غادرا، خائنا، و اللّه يعلم: إنى لصادق بار، راشد، تابع للحق، فوليتها، ثم جئتنى أنت و هذا، و انتما جميع، و أمركما واحد، فقلتما: ادفعها الينا.

فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد اللّه: أن تعملا فيها بالذى كان يعمل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فأخذتماها بذلك.

قال: أكذلك؟!

قالا: نعم.

قال: ثم جئتمانى لأقضى بينكما؛ فواللّه، لا أقضى بينكما بغير ذلك، حتى تقوم الساعه؛ فان عجزتما عنها؛ فردّاها إلىّ (۱).۲.

۱- صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۵۱- ۱۵۳ و شرح النهج للمعتزلى الحنفى ج ۱۶ ص ۲۲۱- ۲۲۳ و راجع ص ۲۲۹ و راجع: جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۶ و ۲۷ و تاريخ المدينه ج ۱ ص ۲۰۲- ۲۰۴ و راجع ص ۲۰۵ و ۲۰۶ و ص ۲۰۸ و ۲۰۹ و الصواعق المحرقه ص ۳۵ و ۳۶ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۱ و راجع ج ۲ ص ۱۲۱ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۶- ۹۹۸ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۴۶۹- ۴۷۱ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۳۹ و ۱۴۰. و راجع ص ۱۴۴ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۲۰۳ و ج ۵ ص ۲۸۷ و ۲۸۸ و السيره النبويه لإبن كثير ج ۳ ص ۳۸۶ و عمده القارى ء ج ۱۴ ص ۱۸۵ و مسند أبى عوانه ج ۴ ص ۱۳۶- ۱۴۰ و ۱۳۲ و ۱۳۴ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۴ ص ۱۵۸. و الأموال ص ۱۷ و ۱۸ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۵ و ۳۳۶ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و ۲۴۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و سنن النسائى ج ۷ ص ۱۳۶ و مسند أحمد و ج ۱ ص ۲۰۸ و ۲۰۹ و ۶۰ و أشار إلى ذلك فى الصفحات التاليه: ۲۵ و ۴۸ و ۴۹ و ۱۶۲ و ۱۶۴ و ۱۷۹ و ۱۹۱ و كنز العمال ج ۷ ص ۱۶۷ و ۱۶۸ عن بعض من تقدم و عن: البيهقى و عبد بن حميد، و ابن حبان، و ابن مردويه و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۳ عمن تقدم و راجع: تلخيص

الشافى ج ۳ ص ۱۳۸ و التراتيب الإداريه ج ۱ ص ۴۰۲.

نص الروایه: ..... ص : ۲۲۳

انت بید الحسین، ثم علی بن الحسین، ثم الحسن بن الحسن، ثم زید بن الحسن زاد فی نص آخر:

ثم عبد اللّه بن الحسن بن الحسن (۱).

قال الزهری: حدثنی مالک بن أوس بن الحدثان بنحوه، قال:

فذکرت ذلک لعروه، فقال:۲.

۱- راجع: شرح النهج للمعتزلی ج ۱۶ ص ۲۲۹ و الطرائف ص ۲۸۳ و المصنف للصنعانی ج ۵ ص ۴۷۱ و راجع: صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۵۵ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۸ و الصواعق المحرقه ص ۳۶ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۱ و تاریخ المدینه ج ۱ ص ۲۰۲ و ۲۰۵ و راجع ص ۲۰۷ و راجع: البـدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۰۳ و ۲۰۴ و ج ۵ ص ۲۸۸ و فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۵ و التراتیب الإداریه ج ۱ ص ۴۰۲.

صدق مالک بن أوس، أنا سمعت عائشه تقول:

أرسل أزواج النبی صلی الله علیه و آله وسلم عثمان بن عفان إلی أبی بکر، یسأل لهنّ میراثهن من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم مما أفاء اللّه علیه، حتی کنت أردهن عن ذلک، فقلت:

ألا تتقین اللّه، ألم تعلمن: أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم کان یقول:

(لا نورث ما ترکناه صدقه- یرید بذلک نفسه- إنما یأکل آل محمد من هذا المال).

فانتهی أزواج النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی ما أمرتهن به (۱).

قال ابن کثیر: (ثم إن علیا و العباس استمرا علی ما کانا علیه، ینظران فیها جمیعا إلی زمان عثمان بن عفان؛ فغلبه علیها علی، و ترکها له العباس؛ بإشاره ابنه عبد اللّه (رض) بین یدی عثمان- کما رواه أحمد فی مسنده- فاستمرت فی أیدی العلویین) (۲).

و نقول:

إننا و إن کنا لا نستبعد أن یکون علی (علیه السلام) و العباس۸.

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۶ ص ۲۲۳ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۱۲ و أنساب الأشراف ج ۱ (قسم حیاه النبی (صلی اللّه علیه و آله)) ص ۵۲۰ و راجع: صحیح مسلم ج ۵ ص ۱۵۳ لکن فیه: أنهنّ أردن أن یبعثن عثمان إلی أبی بکر، فیسألنه میراثهن الخ. و مسند أبی عوانه ج ۴ ص ۱۴۵ و راجع ص ۱۴۳ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۳۱۵ و تاریخ المدینه ج ۱ ص ۲۰۵ و ۲۰۱ و ۲۰۷ و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۴۷۱ و ۴۷۲ و الصواعق المحرقه ص ۳۶ و راجع: تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۵۰ و الموطأ مطبوع بهامش تنویر الحوالک ج ۳ ص ۱۵۴ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۲۰۳ و ج ۵ ص ۲۸۸ و فتوح البلدان ج ۴ ص ۳۴ و معجم البلدان ج ۴ ص ۲۳۹ و الإیضاح لإبن شاذان ص ۲۵۷- ۲۶۲ و راجع هوامشه.
۲- السیره النبویه ج ۴ ص ۵۷۳ و البدایه و النهایه ج ۵ ص ۲۸۸.

(رحمه اللّه) قد طالبا عمر بن الخطاب بأراضی بنی النضیر، و لکننا نری:

أن حکایه هذه القضیه بالشکل الآنف الذکر، لا ریب فی کونها مکذوبه و مصنوعه، بهدف تبرئه ساحه الهیئه الحاکمه فیما أقدمت علیه من مصادره أموال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فور وفاته، و حرمان إبنته من إرثه.

و لکن مخترعها، أو فقل الذی حرفها، و صاغها بهذا الشکل لم یکن ذکیا بالقدر الکافی، و لا له معرفه تؤهله للإحتراس من المؤخذات الظاهره و الواضحه؛ تاریخیه کانت، أو تفسیریه، أو شرعیه، أو غیرها کما سنری.

و الأبدع من ذلک!!: أننا نجد الروایه قد ذکرت فی کتب الصحاح، التی هی أصح الکتب- عند أصحابها- بعد القرآن .. فکیف خفی أمرها علی مؤلفی هذه الکتب، و هم الأئمه الکبار و العارفون، و الضلیعون فی فنهم، حسبما یصفهم به اتباعهم و محبوهم، و الآخذون عنهم ..

و قبل أن نشیر إلی نقاط الضعف التی فی هذه الروایه نذکّر القاری ء الکریم بأن ما سوف نذکره من نقاط- و إن کان أکثره قد خطر فی بالنا- و لکنه أیضا مما قد تنبّه له الآخرون، و لذا فإننا سوف نشیر إلی هؤلاء الذین سبقونا إلی ذلک، ناسبین الکلام إلیهم، بل و معتمدین فی أحیان کثیره فی صیاغه العباره علیهم .. فنقول:

المؤاخذات التی لا محیص عنها:

اشاره

و بعد .. فإنه یرد علی الروایه المتقدمه:

أولا:

إن روایه مسلم تذکر: أن العباس، قال لعمر: (اقض بینی و بین هذا الآثم الغادر الخائن). و هذا مما لا یتصور صدوره من العباس؛ إذ کیف ینسب هذه الأوصاف إلی من اعتبرته آیه المباهله نفس النبی الأمین، و لمن شهد اللّه سبحانه له بالطهاره.

و كيف يسبه، و قد علم أن من سبه سب اللّه و رسوله ..

فلا بد أن يكون هذا القول مكذوبا على العباس من المنافقين الذين يريدون سب الإمام الحق، على لسان غيرهم (۱).

و نشير هنا إلى ما يلى:

أ: (استصوب المازرى صنيع من حذف هذه الالفاظ من هذا الحديث و قال: لعل بعض الرواه و هم فيها) (۲).

فالمازرى إذن يؤيد و يستوصب تحريف النصوص، و ذلك من أجل الحفاظ على ماء الوجه. أمام الحقائق التاريخيه الدامغه؛ فانهم حينما رأوا: أن كذبها صريح إلى درجه الفضيحه، و رأوا: أنها موجوده فى صحاحهم، و تلك فضيحه أخرى أدهى و أمرّ- نعم حينما رأوا ذلك- التجأوا إلى هذا الأسلوب الساقط و الرذل، ألا و هو التحريف و الاسقاط، كما اعترف به المازرى و استصوبه ..

و هذا الأسلوب لا يزال متبعا عند خلف هؤلاء القوم، فنجد الوهابيين يحرفون كتب علمائهم، و غيرها، و كذلك غيرهم من أولئك الذين يخونون دينهم و أمتهم، بخيانتهم أماناتهم (۳).

ب: قال العسقلانى: إن المازرى قال: (أجود ما تحمل عليه: أن العباس قالها دلالا على على؛ لأنه كان عنده بمنزله الولد؛ فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطى ء فيه. و أن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد.ك.

۱- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۳۳.

۲- فتح البارى ج ۶ ص ۱۴۳.

۳- راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التأريخ و الإسلام ج ۱، البحث الأول، ففيه بعض النماذج من ذلك.

قـال: و لابـد من هـذا التأويـل، لوقـوع ذلـك بمحضـر الخليفه، و من ذكر معه، و لم يصـدر منهم إنكـار لـذلك، مع مـا علم من تشددهم فی إنكار المنكر) (۱).

و نقول للمازری: مرحبا و أهلا بهـذا الـدّلال الوقـح و المشـين! فهل كل من كان بمنزله الوالد يحق له أن يسب الناس، و يتهمهم بالغدر، و الخيانه، و الإثم؟!.

و أيضـا .. فان روايه البخاری تقول: إنهما قـد اسـتبا (۲)، فهـل سبّ علی (علیه السـلام) للعبـاس كـان دلالا أيضا و هل كان علی بمنزله الوالد بالنسبه للعباس؟!.

و هل كان هذا الدلال مما جرت عليه عاده العرب؟!.

و هل يصح الردع عن الخطأ بهذا الأسلوب الفاحش و البذی ء؟!.

ثم إننا لم نعلم ما الذی فعله علی (علیه السـلام) بأرض بنی النضـير حتی اسـتحق الوصف بالغدر و الخيانه؟!، فهل فعل فيها غير ما كان رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) يفعله؟!

و لـو أنـه تعـدی فی فعله، فهـل يكـون غـادرا، و خائنـا؟! و لمن يـا تری؟! و هـل يمكن أن يظن علی بالعبـاس: أنه يرتكب الخطأ الفاحش الذی هو علی حد الخيانه و الغدر عن عمد و قصد؟!.

أسئله ننتظر الجواب عنها بصوره منصفه و مقنعه، و هيهات.

و ثانيا:

قال العلامه المظفر: (إنه يصرح بأن عمر ناشد القوم و من جملتهم.

۱- فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۳.

۲- صحيح البخاری ج ۳ ص ۱۱ و غيره.

عثمان؛ فشهدوا بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: لا نورث.

و هو مناف لما رواه البخارى (۱) عن عـائشه، إنهـا قالت: أرسل أزواج النبى عثمان إلى أبى بكر، يسألنه ثمنهن مما أفاء اللّه على رسوله، فكنت أنا أردهن الحـديث .. فإنه يقتضـى أن يكون عثمان جاهلا بـذلك، و إلا لامتنع أن يكون رسولا لهن، إلا أن يظن القوم فيه السوء).

و هذا أيضا قد أورده المعتزلى الحنفى (۲).

و قد حاول المعتزلى الإعتذار عن ذلك، فقال:

(اللهم إلا أن يكون عثمان و سـعد، و عبـد الرحمن، و الزبير، صـدقوا عمر على سبيل التقليد لأبى بكر فيما رواه، و حسن الظن. و سمّوا ذلك علما لأنه قد يطلق على الظن إسم العلم).

ثم ذكر: أنه يجوز أن يكون عثمان فى مبـدأ الأمر شاكا فى روايه أبى بكر، ثم يغلب على ظنّه صدقه لامارات اقتضت تصديقه. و كل الناس يقع لهم مثل ذلك (۳).

و نقول:

أ: إن نفس المعتزلى يقول: إن أكثر الروايات: أنه لم يرو خبر (لا نورث) غير أبى بكر، ذكر ذلك أعظم المحدثين (۴) ..

فمن أين جاءت هذه الإمارات على الصدق. لا سيما مع تكذيبر.

۱- تقدمت مصادر الروايه عن قريب، فقد رواها البخارى و مسلم و عبد الرزاق و غيرهم، فراجع.

۲- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۳۲ و شرح نهج البلاغه ج ۱۶ ص ۲۲۳.

۳- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ۶ ص ۲۲۳ و ۳۲۴.

۴- سيأتى كلام المعتزلى هذا بعد أسطر.

فاطمه له، و هی المطهره بنص الکتاب العزیز، و کذلک مع إنکار علی و العباس، و غیرهم من خیار الأصحاب و أکابرهم ..

و لو کان لـدیهم أدنی احتمال بصدق الحدیث- و لو بأن یحتملوا أن یکون (صـلی اللّه علیه و آله) قد أسـرّ به إلی أبی بکر- لما بادروا إلی إنکاره، و استمروا علی ذلک، حتی لقد توفیت الصدیقه الزهراء (علیها السلام) مهاجره له لأجل ذلک.

إن المعتزلی و غیره- و الحاله هـذه- حین یصدقون حدیث لا نورث، فإنهم یکونون قد طعنوا بالقرآن الذی نزّه الزهراء، و علیا، و أهل البیت علیهم صلوات ربی و سلامه ..

ب: إن مـا ذکر، یبقی مجرد احتمـال. و یبقی احتمـال أن یکون قـد جـاری عمر، و شـهد بمـا لا یعلم قائما و قویا، بعـد أن کانت السـلطه، التی کان عثمان أحد مؤیدیها و معاضدیها، تتجه نحو تثبیت دعوی أبی بکر، و زعزعه موقف آل رسول اللّه (صـلی اللّه علیه و آله).

و ثالثا:

قال العلامه الشیخ محمد حسن المظفر رحمه اللّه تعالی:

(لو کان الذین ناشدهم عمر عالمین بما رواه أبو بکر لما تفرد أبو بکر بروایته عند منازعته فاطمه (علیها السلام).

فهل تراهم ذخروا شهادتهم لعمر، و أخفوها عن أبی بکر، و هو إلیها أحوج؟!) (۱).

و حول تفرد أبی بکر بروایه الحدیث، قال ابن أبی الحدید المعتزلی الشافعی:۳.

۱- دلائل الصدق: ج ۳ قسم ۱ ص ۳۳.

(.. إن أكثر الروايات: أنه لم يرو هذا الخبر إلاـ أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين. حتى إن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى احتجاجهم فى الخبر بروايه الصحابى الواحد.

و قال شيخنا أبو على: لا تقبل فى الروايه إلا روايه اثنين كالشهاده.

فخالفه المتكلمون و الفقهاء كلهم، و احتجوا عليه بقبول الصحابه روايه أبى بكر وحده: نحن معاشر الأنبياء لا نورث الخ ..) (۱).

و رابعا:

قال العسقلانی- و ذكر ذلك غيره أيضا-: (و فى ذلك إشكال شديد، و هو: أن أصل القصه صريح فى أن العباس و عليا، قد علما: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: لا نورث؛ فإن كانا سمعاه من النبى (صلى اللّه عليه و آله) فكيف يطلبانه من أبى بكر؟! (۲) و إن كان إنما سمعاه من أبى بكر، أو فى زمنه؛ بحيث أفادهما العلم بذلك، فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر؟!) (۳).

و قال العينى: (.. هذه القصه مشكله؛ فانهما أخذاها من عمر۴.

۱- شرح نهج البلاغه ج ۱۶ ص ۲۲۷ و راجع ص ۲۴۵.
۲- و قد طالب العباس و فاطمه أبا بكر بالميراث أيضا؛ فراجع فى ذلك: صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۴ و راجع: الصواعق المحرقه ص ۳۷ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۶ و تاريخ المدينه ج ۱ ص ۱۹۷ و البدايه و النهايه ج ۵ ص ۲۸۵ و ج ۴ ص ۲۰۳ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۴۷۲ و مسند أبى عوانه ج ۴ ص ۱۴۵ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۰ و ۴ و تلخيص الشافى ج ۳ ص ۱۳۱ و ۱۳۲ و نهج الحق ص ۳۶۰.
۳- فتح البارى ج ۶ ص ۱۴۵ و راجع: دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۳۳ و راجع: حاشيه السندى على صحيح البخارى، و هى مطبوعه بهامشه ج ۲ ص ۱۲۱ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۲۴.

(رض) على الشريطه. و اعترفا بأنه (صلى اللّه عليه و آله قال: ما تركناه صدقه؛ فما الذى بدا لهما بعد ذلک حتى تخاصما؟!) (۱).

و بعد أن ذكر العلامه المظفر (رحمه اللّه) تعالى. ما يقرب مما ذكره العسقلانى، و أن صريح أحاديث البخارى: أن العباس، و عليا (عليه السلام) قد طلبا الميراث من عمر، مع علمهما بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: لا نورث .. قال:

(.. و هو من الكذب الفضيع؛ لمنافاته لدينهما و شأنهما، و كونه من طلب المستحيل عاده؛ لأن أبا بكر قد حسم أمره، و كان أكبر أعوانه عليه عمر، فكيف يطلبان منه الميراث؟!

و مع ذلک، فكيف دفع لهما عمر مال بنى النضير؛ ليعملا به عمله، و عمل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أبى بكر؟. و هما قد جاءاه يطلبان الميراث، مخالفين لعلمهما، غير مبالين بحكم اللّه و رسوله، حاشا هما؛ فيكون قدحا فى عمر) (۲).

و احتمال: أن يظنا بأن عمر لسوف ينقض قضاء أبى بكر ..

قد دفعه المعتزلى بقوله: (و هذا بعيد؛ لأن عليا و العباس- فى هذه المسأله- يتهمان عمر بممالأه أبى بكر على ذلک، ألا تراه يقول:

نسبتمانى و نسبتما أبا بكر إلى الظلم و الخيانه؟.

فكيف يظنان: أنه ينقض قضاء أبى بكر، و يورثهما؟!) (۳).۰.

۱- عمده القارى ء ج ۲۱ ص ۱۷.
۲- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۳۳ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۲۹ و ۳۳۰.
۳- شرح نهج البلاغه ج ۱۶ ص ۲۳۰.

و أجابوا عن ذلک کله بجوابین:

الأول: (کأن المراد: تسألنی التصرف فیما کان نصیبک، لو کان هناک إرث) (۱).

و علی حد تعبیر ابن کثیر: (.. کأن الذی سألوه، بعد تفویض النظر إلیهما- و اللّه أعلم-: هو أن یقسم بینهما النظر، فیجعل لکل واحد منهما نظر ما یستحقه بالأرض، لو قدّر أنه کان وارثا .. إلی أن قال: و کان قد وقع بینهما خصومه شدیده، بسبب إشاعه النظر بینهما.

إلی أن قال: فکأن عمر تحرج من قسمه النظر بینهما بما یشبه قسمه المیراث، و لو فی الصوره الظاهره، محافظه علی امتثال قوله: لا نورث، ما ترکناه صدقه)

زاد العینی قوله: (فمنعهما عمر القسم؛ لئلّا یجری علیها اسم الملک؛ لأن القسم یقع فی الأملاک، و یتطاول الزمان؛ فیظن به الملکیه) (۲).

أما الهیثمی؛ فقد ذهب إلی أبعد من ذلک، حین قال: (إستباب علی و العباس صریح فی أنهما متفقان علی أنها غیر إرث، و إلا .. لکان للعباس سهم، و لعلی سهم زوجته. و لم یکن للخصام بینهما وجه؛ فخصامهما إنما هو لأجل کونها صدقه، و کل منهما یرید أن یتولاها؛ فأصلح بینهما عمر (رض)، و أعطاه لهما إلخ) (۳).۷.

۱- حاشیه السندی علی صحیح البخاری، مطبوعه بهامشه ج ۲ ص ۱۲۱.

۲- راجع: البدایه و النهایه ج ۵ ص ۲۸۸ و عمده القاری ء ج ۲۱ ص ۱۷ و راجع فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۵. عن إسماعیل القاضی، و عن أبی داود فی السنن، قال العسقلانی: و به جزم ابن الجوزی، و الشیخ محیی الدین، و تعجب العسقلانی من جزمهما هذا، فراجع.

۳- الصواعق المحرقه ص ۳۷.

و قال إسماعيل القاضى: إنما تنازعا- يعنى عند عمر- فى ولايه الصدقه، و فى صرفها كيف تصرف (١).

الثانى: ما أجاب به العسقلانى بقوله: (إن كلا- من على و فاطمه و العباس اعتقد: أن عموم قوله لا نورث، مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض، و لذلك نسب عمر إلى على و العباس: أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما فى ذلك) (٢).

و نقول:

إن ذلك لا يصح، أما بالنسبه لما عدا الجواب الأخير، فلما يلى:

أ: إننا نقول: لو صح ما ذكروه لكان عمر اقتصر على ذكر هذا المعنى و لم يكن بحاجه إلى المناشده المذكوره، و الاستدلال على عدم كونها إرثا بحديث لا نورّث.

ب: قال العسقلانى: (لكن فى روايه النسائى، و عمر بن شبه (٣)، من طريق أبى البخترى، ما يدل على أنهما أرادا أن يقسم بينهما على سبيل الميراث، و لفظه فى آخره: ثم جئتمانى الآن تختصمان يقول هذا:

أريد نصيبى من ابن أخى، و يقول هذا أريد نصيبى من امرأتى، و اللّه، لا أقضى بينكما إلا بذلك، أى إلا بما تقدم من تسليمها لهما على سبيل الولايه. و كذا وقع عند النسائى من طريق عكرمه بن خالد، عن مالك بن أوس نحوه).

ثم ذكر دعوى أبى داود: أنهما أرادا من عمر أن يقسمها بينهمال.

١- فتح البارى ج ۶ ص ۱۴۵.
٢- المصدر السابق.
٣- سنن النسائى ج ۷ ص ۱۳۶ و تاريخ المدينه ج ۱ ص ۲۰۴ و شرح النهج ج ۱۶ ص ۲۲۲ و راجع سائر المصادر التى تقدمت للروايه فى أوائل هذا الفصل.

للانفراد بالنظر فيما يتوليان، و أن أكثر الشراح اقتصروا عليه و استحسنوه ثم تنظر فيه بما تقدم.

ثم إنه بعد ذلک تعجّب من ابن الجوزی و من الشيخ محيی الدين، لجزمهما بأن عليا و العباس لم يطلبا إلا قسمه النظر و الولايه .. مع أن السياق صريح فی أنهما جاءاه مرتين فی طلب شی ء واحد، ثم اعتذر بأنهما شرحا اللفظ الوارد فی مسلم دون اللفظ الوارد فی البخاری (۱).

ج: إن العم لا يرث مع وجود البنت لبطلان التعصيب، كما سيأتی.

د: قول ابن كثير: إنه كان قد وقع بين علی و العباس خصومه شديده، بسبب إشاعه النظر بينهما محض رجم بالغيب، إذ ليس فی الروايه ما يدل علی أن سبب الخصومه هو ذلک، و لا حدثنا التاريخ بشی ء عن السبب المذكور. بل الأمر علی العكس كما تقدم عن العسقلانی.

ه: لم نفهم معنی لهذا التحرج المدّعی من قبل عمر، فإنه إذا كان الأنبياء لا يورثون، فإن قسمه النظر بينهما لا تخالف حديث لا نورث- إن صحّ- لا فی الظاهر و لا فی الباطن، و إذا كان حديث لا نورث باطلا، و كانوا يورثون، فمخالفه الحديث لا ضير فيها و لا حرج.

و: لم نفهم لماذا لا تصح القسمه إلا فی الأملاک- كما ذكره العينی- و كيف غفل علی و العباس عن ذلک، و كيف لم يقل لهما عمر، و لا أحد ممن حضر الخصومه: إن القسمه لا تقع فی الأملاک؟!.

ز: لم نفهم كيف أصبح استباب علی و العباس دليلا علی كون أرض بنی النضير ليست إرثا، أليس الأرث يحتاج إلی القسمه، و قد يقع الخلاف فی هذا القسم أو ذاک؟!، فلعل أحد هما يريد هذه القطعه، و ذاک۵.

۱- فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۵.

یریدها أیضا، فیقع الخصام، و یحتاج إلی الفصل بینهما، و إراحه کل منهما من الآخر.

و أما بالنسبه لجواب العسقلانی، فإننا نقول:

أ: قـد صـرح المعتزلی الشافعی بأن خبر أبی بکر یمنع من الإرث مطلقا، قلیلا کان أو کثیرا، و لا سیما مع إضافه کلمه: (ما ترکناه صدقه).

و أضاف: (فإن قال قائل: نحن معاشر الأنبیاء لا نورث ذهبا، و لا فضه، و لا أرضا، و لا عقارا، و لا دارا ..

قیل: هذا الکلام یفهم من مضـمونه: أنهم لا یورثون شیئا أصلا، لأن عاده العرب جاریه بمثل ذلک. و لیس یقصدون نفی میراث هذه الأجناس المعدوده دون غیرها، بل یجعلون ذلک کالتصریح بنفی أن یورثوا شیئا ما علی الإطلاق) (۱).

و إن کان لنا تحفظ علی إضافته المذکوره، فإن ظاهر قوله: نحن معاشـر الأنبیاء لا نورث ذهبا و لا فضه إلخ .. أنهم ما جاؤا لأجل جمع حطام الـدنیا لأنفسـهم، و لیورثوه أبناءهم، و إنما هم زهاد تارکون للدنیا، و لا یجمعون ذهبا و لا فضه لیقع فی میراثهم لمن بعدهم.

ب: قول العسـقلانی: إن اعتقـاد علی و العباس ظلم من خالفهما یـدل علی اعتقادهما باختصاص حـدیث لا نورث ببعض الأموال دون بعض ..

لا یصـح، إذ کما یمکن أن یکون ذلک لأجل اعتقادهما بما ذکر، کـذلک یمکن أن یکون لأجل اعتقادهما بعـدم صـحه أصـل الحدیث، و أنه مجعول و مختلق.۴.

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۶ ص ۲۲۴.

و هذا الثانی هو الصحیح؛ لإنکار علی (علیه السلام)، و فاطمه (علیها السلام)، و العباس (رحمه اللّه) هذا الحدیث من الأساس، و مطالبتهم بترکه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، کما هو ظاهر لا یخفی.

خامسا:

إن العم لا یرث مع وجود البنت، کما هو الحق الذی لا محیص عنه. و إنما ترث البنت الواحده نصف الترکه بالفرض، و النصف الباقی بالرد علیها، و التعصیب یعنی توریث العصبه النصف- کالعم- مع البنت، باطل و لا یصح، و قد استدل العلماء علی بطلانه بما لا مزید علیه؛ فلیراجع فی مظانه (۱).

و یبدو: أن توریث العم- مع البنت الذی هو من التعصیب الباطل- قد نشأ عن إراده تقویه موقف أبی بکر، و إضعاف موقف فاطمه و علی (علیهما الصلاه و السلام) ..

سؤال .. و جوابه:

و یرد هنا سؤال، و هو: أنه إذا کان العباس لا یرث؛ فلما ذا شارک فی المطالبه بإرث النبی (صلی اللّه علیه و آله) من أبی بکر، ثم من عمر؟!.

و أجاب السید ابن طاووس بأن هذه المطالبه، بل و حتی إظهار الخصومه مع علی فی ذلک عند عمر، قد کان لأجل مساعده علی و فاطمه (علیهما السلام)، و قطع حجه أبی بکر، و إقامه الحجه علی عمر فی ذلک، ثم ذکر ابن طاووس هنا قصه الجاریه التی قالت للرشید العباسی:ث.

۱- راجع: جواهر الکلام ج ۳۹ ص ۹۹- ۱۰۵، و تلخیص الشافی ج ۱ هامش ص ۲۵۴- ۲۵۹ و نهج الحق ص ۵۱۵ و اللمعه الدمشقیه ج ۸ ص ۷۹ و ۸۰ و الحدائق الناضره- کتاب المواریث- ص ۴۹- ۵۵ و أی کتاب فقهی للشیعه الإمامیه تعرض فیه لمسائل الإرث.

إن عليـا و العباس كانا فى هـذه القضـيه كالملكين، الـذين تحاكما إلى داود فى الغنم، حيث أرادا تعريفه وجه الحكم؛ فكـذلك أراد على و العباس تعريف أبى بكر و عمر: أنهما ظالمان لهما بمنع ميراث نبيهما (۱).

و قـد يجـاب عن ذلـك بـأن العباس كان يظن فى ظاهر الحال أنه يرث النبى صـلى الله عليه و آله وسـلم لعمومته له، و كان على (عليه السلام) يرفض ذلك، على اعتبار أن العم لا يرث، فترافعا إلى عمر على هذا النحو ليقيما الحجه عليه.

سادسا:

قال الشيخ المظفر (رحمه اللّه): (إن أمير المؤمنين لو سمع ذلك؛ أى حديث: لا نورث الخ ..؛ فلم ترك بضعه الرسول أن تطالب بما لا حق لها فيه؟! أأخفى ذلك عنها راضيا بأن تغصب مال المسلمين؟! أو أعلمها فلم تبال؟! وعـدت على ما ليس لها فيه حق! فيكون الكتاب كاذبا، أو غالطا بشـهادته لهما بالطهاره، فلا منـدوحه لمن صدق اللّه، و كتابه، و رسوله (صـلى اللّه عليه و آله) أن يقول بكذب هذه الأحاديث) (۲).

و قال المعتزلى: (.. و هل يجوز أن يقال: إن عليا كان يعلم ذلك، و يمكّن زوجته أن تطلب مالا تسـتحقه؟! خرجت من دارها، و نازعت أبا بكر، و كلمته بما كلمته إلا بقوله، و إذنه و رأيه!) (۳).

سابعا:

قال المظفر و المعتزلى: (إن أمير المؤمنين و العباس، لو كانا سمعا۴.

۱- راجع: الطرائف ص ۲۸۳- ۲۸۵.
۲- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۳۳.
۳- شرح النهج ج ۱۶ ص ۲۲۴.

من النبی ما رواه أبو بکر، حتی أقرّا به لعمر؛ فکیف یقول لهما عمر:

- کما فی حدیث مسلم-: رأیتما أبا بکر کاذبا، آثما، غادرا، خائنا.

و رأیتمانی آثما، غادرا، خائنا) (۱).

ثامنا:

قال العلامه الحلی ما حاصله: إن عمر بن الخطاب قد أخبر: أن علیا و العباس یعتقدان فیه و فی أبی بکر بأنهما: کاذبان آثمان غادران خائنان، فإن کان ذلک حقا، فهما لا یصلحان للخلافه، و إن کان کذبا، لزمه تطرق الذم إلی علی و العباس، لاعتقادهما فی أبی بکر، و عمر ما لیس فیهما؛ فکیف استصلحوا علیا للخلافه. مع أن اللّه قد نزهه عن الکذب و الزور و طهره ..

و إن کان عمر قد نسب إلی العباس و علی شیئا لا یعلمانه، لزمه تطرق الذم إلی عمر نفسه، لأنه یفتری علیهما، و ینسب إلیهما ما لا یعتقدانه ..

مع أن البخاری و مسلما ذکرا فی صحیحیهما: أن قول عمر هذا لعلی و العباس، قد کان بمحضر مالک بن أوس، و عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و الزبیر و سعد. و لم یعتذر أمیر المؤمنین عن هذا الاعتقاد الذی نسب إلیهما، و لا أحد من الحاضرین اعتذر لأبی بکر و عمر (۲).

و أجاب البعض عن ذلک: بأنه قد جاء علی لسان عمر علی سبیل الفرض و التقدیر، و الزعم؛ فإن الحاکم إذا حکم بخلاف ما یرضی الخصم، یقول له: تحسبنی ظالما و لست کذلک، و لذلک لم یعتذر علی۵.

۱- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۳۳ و شرح النهج للمعتزلی الشافعی ج ۱۶ ص ۲۲۶.

۲- نهج الحق ص ۳۶۵ و ۳۶۶ و راجع دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۴ و ۱۲۵.

و لا العباس و لا غير هما ممن حضر (۱).

ورد علیه العلامه المظفر (رحمه اللّه)، بأن هذا مضحک، إذ کیف لا یکون علی سبیل الحقیقه، و هما إنما یتنازعان عند عمر فی میراث النبی (صلی اللّه علیه و آله) بعد سبق روایه أبی بکر و حکمه، فإن هذا النزاع بینهما لا یتم إلا بتکذیبهما لأبی بکر فی حدیثه، و حکمهما علیه بأنه آثم غادر خائن علی وجه یعلمان: أن عمر عالم بکذب حدیث أبی بکر، و أن موافقته له فی السابق کان لسیاسه دعته إلی الموافقه، و لو لم یکونا عالمین بأن عمر عالم بکذب حدیث أبی بکر، لم یصح ترافعهما إلی عمر من جدید (۲).

تاسعا:

إن من المعلوم: أن الحکام بعد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد دفعوا الحجر إلی زوجاته (صلی اللّه علیه و آله) (۳). کما أن خلفاء بنی العباس قد تداولوا البرده و القضیب (۴) و قد قال ابن المعتز مخاطبا العلویین:

و نحن ورثنا ثیاب النبی فلم تجذبون بأهدابها

لکم رحم یا بنی بنته و لکن بنو العم أولی بها (۵) ۲.

۱- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۶.

۲- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۸ و ۱۲۹.

۳- راجع: تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۲۹ و ۱۳۰ و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۹ و نهج الحق ص ۳۶۶.

۴- تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۴۷ و ۱۴۸.

۵- دیوان ابن المعتز ص ۲۹ و راجع: تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۴۸ هامش و الغدیر ج ۶ ص ۵۲.

فأجابه الصفی الحلی بقوله:

و قلت ورثنا ثیاب النبی فکم تجذبون بأهدابها

و عندک لا یورث الأنبیاءفکیف حظیتم بأثوابها (۱) و قال الشریف الرضی (رحمه اللّه):

ردوا تراث محمد ردّوالیس القضیب لکم و لا البرد (۲) کما أنهم دفعوا آلته و بغلته و حذاءه و خاتمه و قضیبه إلی علی (علیه الصلاه و السلام) (۳).

و علیه فیرد ما أورده المعتزلی الشافعی هنا حیث قال:

(إذا کان (صلی اللّه علیه و آله) لا یورث؛ فقد أشکل دفع آلته و دابته، و حذائه إلی علی (علیه السلام)؛ لأنه غیر وارث فی الأصل.

و إن کان إعطاؤه ذلک لأن زوجته بعرضه أن ترث لو لا الخبر، فهو أیضا غیر جائز؛ لأن الخبر قد منع أن یرث منه شیئا، قلیلا کان أو کثیرا).

(ثم ذکر ما تقدم عنه آنفا حین الجواب علی ما ذکره العسقلانی، الذی ادعی: أن علیا (علیه السلام) و العباس توهما: أن (لا نورث) لیست عامه).

ثم قال: (.. فإنه جاء فی خبر الدابه و الآله، و الحذاء: أنه روی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله): (لا نورث، ما ترکناه صدقه) و لم یقل:ه.

۱- راجع: دیوان الصفی الحلی و راجع تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۴۸ هامش و الغدیر ج ۶ ص ۵۳.
۲- دیوان الشریف الرضی ج ۱ ص ۴۰۷ و تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۴۸ هامش.
۳- راجع: مناقب آل أبی طالب لإبن شهر آشوب ج ۱ ص ۲۶۲ و راجع: شرح النهج للمعتزلی ج ۱۶ ص ۲۲۴ و ۲۱۴ و تلخیص الشافی ج ۳ ص ۱۴۷ و فی هامشه أیضا عن: الریاض النضره.

(لا نورث كذا و كذا) و ذلک يقضى عموم انتفاء الأرث عن كل شى ء) (۱).

عاشرا:

لقد قال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد اللّه بن محمد بن أبى شيبه حدثنا محمد بن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبى الطفيل قال: لما قبض رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أرسلت فاطمه إلى أبى بكر: أأنت ورثت رسول اللّه أم أهله؟!.

فقال: لا بل أهله.

فقالت: فأين سهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!.

فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقول:

(إن اللّه إذا أطعم نبيا طعمه، ثم قبضه جعله للذى يقوم من بعده).

فرأيت أن أرده على المسلمين.

قالت: فأنت و ما سمعت عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (۲).

فنلاحظ: أن الخليفه يعترف بأن أهل النبى (صلى اللّه عليه و آله) يرثونه. و ذلک يكذب دعوى: أن الأنبياء لا يورثون (۳). و لكنه عاد فادعى أنه يعود إليه لأنه قام بعد الرسول.

و لعل قول فاطمه أخيرا: فأنت و ما سمعت من رسول اللّه، ظاهر فى أنها تشک فى صحه الحديث، و أرجعت الأمر إلى اللّه سبحانه ليحكم فى٩.

۱- شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۲۴.
۲- مسند أحمد ج ۱ ص ۴ و البدايه و النهايه ج ۵ ص ۲۸۹ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۱۸ و ۲۱۹ و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۴۴ عن كنز العمال ج ۳ ص ۱۳۰ عن أحمد و ابن جرير، و البيهقى و غيرهم و راجع: سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۴۴.
۳- شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۲۱۹.

هذا الأمر ..

و لنا أن نحتمل: أن السلطه قد سارت فی موضوع إرث النبی (صلی اللّه علیه و آله) بخطوات تراتبیه تصعیدیه، و ربما تکون هذه القضیه للزهراء (علیها السلام) مع أبی بکر من الخطوات فی هذا الإتجاه، ثم تلاها غیرها إلی أن انتهوا إلی إنکار إرثها (علیها السلام) من الأساس.

حادی عشر:

قد اعترض ابن طاووس علی دعوی: أن علیا قد غلب العباس علی أرض بنی النضیر، و قال: إن ذلک غیر صحیح.

(لاستمرار ید علی (علیه السلام) و ولده علی صدقات نبیهم، و ترک منازعه بنی العباس لهم، مع أن العباس ما کان ضعیفا عن منازعه علی، و لا کان أولاد العباس ضعفاء عن المنازعه لأولاد علی فی الصدقات المذکوره).

ثم ذکر (رحمه اللّه) روایتین عن قثم و عن عبد اللّه إبنی عباس، یقرران فیها: أن الحق فی إرث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام) (١).

و یجب أن لا ننسی مدی حرص الحکام علی کسر شوکه علی (علیه السلام)، و إبطال قوله و قول أهل بیته، سواء فی ذلک اولئک الذین استولوا علی ترکه النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أو الذین أتوا بعدهم من الأمویین أو العباسیین.

ثانی عشر:

قال العلامه: (کیف یجوز لأبی بکر أن یقول: أنا ولی رسول اللّه، و کذا لعمر، مع أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مات، و قد جعلهما من ۵.

١- راجع: الطرائف لإبن طاووس ص ٢٨۴ و ٢٨۵.

جمله رعایا أسامه بن زید) (۱).

و أجاب البعض: أن المراد بالولی: من تولی الخلافه، فإنه یصبح المتصرف فی أمور رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بعده، و تأمیر أسامه علیهما لا یجعلهما من رعایاه، بل هم جمیعا من رعایا النبی (صلی اللّه علیه و آله) (۲).

و هو جواب لا یصح، فقد قال الشیخ محمد حسن المظفر (رحمه اللّه)، ما حاصله:

إن الولی للشخص هو المتصرف فی أموره؛ لسلطانه علیه و لو فی الجمله، کالمتصرف فی أمور الطفل و الغائب، و لا یصدق علی الوکیل أنه ولی، مع أنه متصرف فی أموره، فلا أقل من أن ذلک إساءه أدب معه (صلی اللّه علیه و آله) لم یستصلحهما حین وفاته إلا أن یکونا فی جمله رعایا أسامه، فکیف صلحا بعده للإمامه علی الناس عامه و منهم أسامه.

علی أن إضافه الولی إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، من دون اعتبار السلطنه فی معنی الولی تقتضی ظاهرا: أن تکون الولایه مجعوله من النبی (صلی اللّه علیه و آله)، لأنها من إضافه الصفه إلی الفاعل، لا إلی المفعول، و ذلک باطل بالإتفاق. و إنکار إطلاق الرعیه علی مثل تأمیر أسامه فی غیر محله (۳).

ثالث عشر:

قال العلامه الحلی ما حاصله: کیف استجاز عمر أن یعبر عن النبی۶.

۱- نهج الحق ص ۳۶۴ و راجع: دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۴.
۲- هذا کلام ابن روزبهان فی کتابه المسمّی: (إبطال نهج الباطل) فراجع دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۵.
۳- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۶.

(صلی اللّه علیه و آله) للعباس: تطلب میراثک من ابن أخیک، مع أن اللّه تعالی یخاطبه بصفاته، مثل یا أیها الرسول، یا أیها النبی، و لم یذکره باسمه إلا فی أربعه مواضع شهد له فیها بالرساله لضروره تخصیصه و تعیینه ..

و قد قال اللّه تعالی: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً (۱).

ثم عبر عمر عن ابنته مع عظم شأنها و شرف منزلتها بقوله: یطلب میراث إمرأته (۲).

أضف إلی ذلک: أنه عبر عن أمیر المؤمنین (علیه السلام) بإسم الإشاره، فقال: (هذا).

و أجاب البعض:

بأنه (إنما عبّر بذلک لبیان قسمه المیراث کیف یقسم أن لو کان هناک میراث، لا أنه أراد الغض منهما بهذا الکلام) (۳).

و قال آخر: هذا القول من عمر قد جاء علی طریق محاورات العرب، و هو یتضمن ذکر عله طلب المیراث، و هو کونه ابن أخیه، و لیس فیه إساءه أدب، و عمر لم یذکر النبی باسمه ..

و بالنسبه للزهراء، فإن الأولی ترک ذکر النساء باسمائهن فی محضر۵.

۱- النور: ۶۳.

۲- نهج الحق ص ۳۶۵ و راجع: دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۴ و راجع: میزان الإعتدال ج ۲ ص ۶۱۱ و سیر أعلام النبلاء ج ۹ ص ۵۷۲ و فی هامشه عن الضعفاء للعقیلی ص ۲۶۵ و ۲۶۶.

۳- فتح الباری ج ۶ ص ۱۴۴ و ۱۴۵.

الرجال، فهو متأدب فی ترک ذکر اسمها، لا مسی ء للأدب بذلک (۱).

و لکنها أجوبه لا تصح، فقد قال العلامه المظفر (رحمه اللّه) تعالی، ما حاصله: إن محاورات العرب إذا اقتضت التوهین برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فلا بد من ترکها، فإنه لا یصح ترک أدب القرآن، و العمل بآداب الأعراب، و أهل الجاهلیه ..

و بالنسبه إلی عله المیراث، فإنه لا- حاجه إلی ذکرها، و ترک الأدب مع الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم). فهل لم یکن علی (علیه السلام) و العباس (ره) أو أحد من الحضور یعلم هذه العله؟!.

هذا .. بالإضافه إلی أنه کان یمکنه ذکر عله المیراث، و مراعاه الأدب معه (صلی اللّه علیه و آله) فی آن واحد.

و بالنسبه إلی أن عمر لم یذکر النبی (صلی اللّه علیه و آله) باسمه الشریف، فإن المقصود: أن تکریمه (صلی اللّه علیه و آله) مطلوب، و لیس فی عبارته ذلک، و قد قال تعالی: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً.

کما أن تعبیره ب (إمرأته) لیس فیه عله المیراث التی هی بنوتها لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله). و قد کان یمکنه إحترام الزهراء بذکر بعض ألقابها. و عدم ذکر النساء بأسمائهن لا یحل المشکله، فقد کان یمکنه تجنب إسمها (علیها السلام)، و ذکرها ببعض ألقابها المادحه لها (۲).

الإنتصار لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، أم لعمر الفاروق:

۱- هذا کلام الفضل بن روزبهان، راجع: دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۵.

۲- دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۷.

قال العقیلی: (سمعت علی بن عبد اللّه بن المبارک الصنعانی یقول: کان زید بن المبارک لزم عبد الرزاق، فأکثر عنه، ثم خرق کتبه، و لزم محمد بن ثور؛ فقیل له فی ذلک، فقال:

کنا عند عبد الرزاق، فحدثنا بحدیث معمر، عن الزهری، عن مالک بن أوس بن الحدثان الحدیث الطویل؛ فلما قرأ قول عمر لعلی و العباس: (فجئت أنت تطلب میراثک من ابن أخیک، و جاء هذا یطلب میراث إمرأته من أبیها).

قال عبد الرزاق: أنظروا إلی الأنوک یقول: تطلب أنت میراثک من ابن أخیک، و یطلب هذا میراث إمرأته من أبیها ألا یقول: رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؟!.

قال زید بن المبارک؛ فقمت، فلم اعد إلیه، و لا أروی عنه.

قال الذهبی: (لا اعتراض علی الفاروق (رض) فیها، فإنه تکلم بلسان قسمه الترکات) (۱).

و قال: (إن عمر إنما کان فی مقام تبیین العمومه و البنوه، و إلا ..

فعمر (رض) أعلم بحق المصطفی و بتوقیره (صلی اللّه علیه و آله) و تعظیمه من کل متحذلق متنطع. بل الصواب ان نقول عنک: أنظروا إلی هذا الأنوک الفاعل- عفا اللّه عنه- کیف یقول عن عمر هذا، و لا یقول: قال أمیر المؤمنین الفاروق؟! (۲).

و نقول:۲.

۱- راجع: الضعفاء الکبیر ج ۳ ص ۱۱۰ و میزان الإعتدال ج ۲ ص ۶۱۱ و سیر أعلام النبلاء ج ۹ ص ۵۷۲ و فی هامشه عن الضعفاء للعقیلی ص ۲۶۵ و ۲۶۶ و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۲ ص ۱۲۷.

۲- سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۵۷۲.

۱- إن بيان العمومه و البنوه ليس ضروريا هنا، و ذلك لوضوحه لكل أحد ..

۲- إن بيانهما و التكلم بلسان قسمه التركات لا يمنع من الإتيان بعباره تفيد توقير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و احترامه.

۳- إن التكلم بلسان قسمه التركات في غير محله، لأن العباس لا يرث؛ لبطلان التعصيب ..

۴- إذا صح: أن النبي (صلى اللّه عليه و آله) لا يورث، فلا حاجه إلى التحدث بلسان قسمه التركات، لا سيما و أن المطلوب- حسب ما يدّعون- هو قسمه النظر، كما تقدم. و تقدم بطلانه ..

۵- إن زيد بن المبارك لا يعود إلى عبد الرزاق، لأنه رآه ينتصر لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ينتقد عمر على عدم توقيره للنبي (صلى اللّه عليه و آله). و هذا من ابن المبارك عجيب!! و عجيب جدا!!.

۶- إن الذهبي، و غيره يغضبون لعمر، و يشتمون عبد الرزاق لتوهينه عمر، و لا يغضبون لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا يقبلون حتى بانتقاد من يتصدى لإهانته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ..

۷- إنهم يطلبون من عبد الرزاق أن يذكر عمر بألقابه، و لا يطلبون من عمر أن يذكر النبي بألقابه التي شرفه اللّه تعالى بها ..

فإنا للّه و إنا إليه راجعون، و لا حول و لا قوه إلا باللّه العلي العظيم ..

يحسبهم الجاهل أغنياء:

و بعد .. فإن إلقاء نظره فاحصه على حياه فاطمه الزهراء (عليها السلام)، تعطينا: أنها (صلوات اللّه و سلامه عليها)، لم تتغير حياتها- بعد فتح بني النضير و خيبر، و ملكها فدكا و غيرها- عما كانت عليه قبل

ذلک، رغم غلتها الکثیره و الوافره، فهی لم تعمّر الـدور، و لم تبن القصور، و لا لبست الحریر و الدیباج، و لا اقتنت النفائس، و لا احتفظت لنفسها بشی ء. و هکذا کانت حال زوجها علی (علیه الصلاه و السلام) رغم توفر الأموال له.

بینما نجـد: أن بعض أولئک الـذین اسـتفادوا من أموال بنی النضـیر و غیرها قـد خلفوا من الذهب و الفضه ما یکسـر بالفؤوس، و یکفی أن نذکر هنا ..

۱- أن الزبیر بن العوام بنی داره المشـهوره بالبصره، و فیها الأسواق، و التجارات، و بنی دارا فی الکوفه، و مصر، و الإسکندریه، و بلغ ثمن ماله خمسـین ألف دینار، و ترک ألف فرس، و ألف مملوک، و خططا بمصـر و الإسـکندریه، و الکوفه و البصره (۱). و قالوا: کان للزبیر خمسون ملیونا و مئتا ألف. و قیل: بل مجموع ماله سبعه و خمسون ملیونا و ست مئه ألف (۲).

۲- أما عبـد الرحمان بن عوف: فقـد کان له ألف بعیر، و عشـره آلاف شاه، و مائه فرس، و صولحت إحـدی نسائه علی ربع ثمن ماله بأربعه و ثمانین ألف دینار (۳).

و عن أم سلمه: أن عبد الرحمن بن عوف دخل علیها، فقال: یا۷.

۱- مشاکله الناس لزمانهم ص ۱۳ و حدیث الألف مملوک موجود أیضا فی: ربیع الأبرار ج ۱ ص ۸۳۰ و راجع: حیاه الصحابه ج ۲ ص ۲۴۲ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۹۰ و جامع بیان العلم ج ۲ ص ۱۷ و راجع: البدایه و النهایه ج ۵ ص ۳۴۵ و راجع: التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۹۷- ۴۰۴ و ۲۴- ۲۹.

۲- راجع: حیاه الصحابه ج ۲ ص ۲۴۴ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۲۴۹.

۳- راجع: البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۶۴ و مشاکله الناس لزمانهم ص ۱۴ و حدیث ربع الثمن هذا موجود فی جامع بیان العلم ج ۲ ص ۱۶ و ۱۷.

أمّه، قد خفت أن تهلكنی کثره مالی، و أنا أکثر قریش مالا إلخ (۱).

و حینما مات ابن عوف جی ء بترکته إلی مجلس عثمان؛ فحالت البدر بین عثمان و بین الرجل القائم فی الجهه الأخری، و فی هذه المناسبه ضرب أبو ذر کعب الأحبار بالعصا علی رأسه فکانت النتیجه هی نفی أبی ذر (۲).

و بعد إخراج وصایاه کلها، فإنه قد ترک مالا جزیلا، من ذلک ذهب قطّع بالفؤوس، حتی مجلت أیدی الرجال (۳).

۳- إن عمر بن الخطاب الذی استفاد هو الآخر من أموال بنی النضیر و غیرها، کان أیضا یملک ثروه هائله فی أیام خلافته، بل هو یدّعی: أنه کان فی مکه من أکثر قریش مالا- کما ذکره ابن هشام، حین الحدیث عن هجرته هو و عیّاش بن أبی ربیعه، فقد أصدق إحدی زوجاته أربعین ألف دینار أو درهم (۴)، و قیل: عشره آلاف. و أعطی صهرا له قدم علیه من مکه عشره آلاف درهم من صلب ماله (۵).ر.

۱- کشف الأستار ج ۳ ص ۱۷۲ و راجع: مجمع الزوائد ج ۹ ص ۷۲ و قال: رجاله رجال الصحیح.
۲- راجع: مروج الذهب ج ۲ ص ۳۴۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۶۳ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۱۶۰.
۳- البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۶۴ و راجع فی مقدار ترکته مآثر الإنافه ج ۱ ص ۹۶ و هناک تفاصیل عجیبه ذکرها فی التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۹۷ حتی ص ۴۰۵ و ۲۴- ۲۹.
۴- راجع: الفتوحات الإسلامیه ج ۲ ص ۵۵، و البحر الزخار ج ۴ ص ۱۰۰ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۰۵.
۵- طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۲۱۹ و الفتوحات الإسلامیه ج ۲ ص ۳۹۰، و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۲۵۶ عن ابن سعد، و عن کنز العمال ج ۲ ص ۳۱۷، و عن ابن جریر، و ابن عساکر.

كما أن: (إبنا لعمر باع ميراثه من ابن عمر (۱) بمائه الف درهم) (۲).

و فى نص آخر: أن ثلث مال عمر كان أربعين ألفا، أوصى بها. و إن كان الحسن البصرى قد استبعد ذلك، و احتمل أن يكون قد أوصى بأربعين ألفا فأجازوها (۳).

لقد كان هذا فى وقت كان يعيش الناس فيه أقسى حياه تمر على إنسان، حتى إن بعضهم لم يكن يملك سوى رقعتين، يستر بإحداهما فرجه، و بالأخرى دبره (۴).

فهؤلاء يجمعون الأموال، و يتنعمون بها، ثم يرثها عنهم أبناؤهم و زوجاتهم، ليكون لها نفس المصير أيضا.

و فى المقابل، فإن عليا أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام)، الذى وقف على الحجاج مائه عين استنبطها فى ينبع (۵) يروى عنه: أن صدقات۵

۱- لعل الصحيح: من عمر؛ و ذلك لأن المفروض: أن الوارث هو ابن عمر، فالمورث لابد أن يكون هو عمر نفسه. و احتمال أن يكون المراد بابن عمر هو عبد اللّه، و يكون أحد أبناء عمر قد باع ميراثه من ابيه إلى أخيه عبد اللّه بمائه الف. هذا الإحتمال بعيد عن مساق الكلام و قد كان ينبغى الفات النظر إلى ذلك مع العلم بأن هذا الإحتمال، لا يضر بما نريد أن نستفيده من هذا النص، و ذلك ظاهر.

۲- جامع بيان العلم ج ۲ ص ۱۷.

۳- المصدر السابق.

۴- المصنف لعبد الرزاق ج ۶ ص ۳۶۷ و راجع: ص ۲۶۸ و السنن الكبرى ج ۷ ص ۲۰۹.

۵- أصول مالكيت ج ۲ ص ۷۹ عن المناقب ج ۲ ص ۱۲۳ و راجع البحار ج ۴۱ ص ۳۲ و راجع حول ثورته عليه السلام ايضا ج ۴۱ ص ۱۲۵ ففيه قصه طريفه حول هذا الموضوع و راجع الوسائل ج ۱۲ ص ۲۲۵.

أمواله قد بلغت فی السنه أربعین ألف دینار (۱). و کانت صدقاته هذه کافیه لبنی هاشم جمیعا (۲)، إن لم نقل إنها تکفی أمه کبیره من الناس من غیرهم، إذا لاحظنا أن ثلاثین درهما کانت کافیه لشراء جاریه للخدمه، کما قاله معاویه لعقیل. و کان الدرهم یکفی لشراء حاجات کثیره بسبب قله الأموال حینئذ، و لغیر ذلک من أسباب ..

نعم .. إننا نجد علیا (علیه السلام) لم یلبس ثوبا جدیدا، و لم یتخذ ضیعه، و لم یعقد علی مال، إلا ما کان بینبع، و البغیبغه، مما یتصدق به) (۳).

کما أنه لم یترک حین وفاته سوی سبع مائه درهم أراد أن یشتری بها خادما لأهله (۴) و قد أمر برد هذه السبع مائه درهم إلی بیت المال بعد وفاته،۷.

۱- راجع: کشف المحجه ص ۱۳۴ و البحار ج ۴۱ ص ۲۶ و ۴۳ و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۱۷ و منتخب کنز العمال بهامش مسند أحمد ج ۵ ص ۵۶۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۵۹ و ینابیع الموده ص ۳۷۲ عن فصل الخطاب لخواجه پارسا و أسد الغابه ج ۴ ص ۲۳ و تاریخ الإسلام للذهبی ج ۲ ص ۱۹۹ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۲۳ و التراتیب الإداریه، ج ۱ ص ۴۰۷ و تهذیب الأسماء ج ۱ ص ۳۴۶ و صید الخاطر ص ۲۶ و ملحقات إحقاق الحق ج ۸ ص ۵۷۴ و مناقب آل أبی طالب ج ۲ ص ۷۲ و ترجمه الإمام علی بن أبی طالب من تاریخ دمشق، بتحقیق المحمودی ج ۲ ص ۴۵۰ و ۴۵۱ و حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۸۶ و کنز العمال ج ۱۵ ص ۱۵۹ عن أحمد و أبی نعیم و الدورقی، و الضیاء فی المختاره، و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۰۷. و الریاض النضره ج ۴ ص ۲۰۸ و عن ارجح المطالب ص ۱۶۶ و عن ربیع الأبرار و راجع: أصول مالکیت للأحمدی ج ۲ ص ۷۴.

۲- کشف المحجه ص ۱۲۴ و البحار ج ۴۱ ص ۲۶.

۳- مشاکله الناس لزمانهم ص ۱۵.

۴- البحار ج ۴۰ ص ۳۴۰ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۵ ص ۴۶ و ینابیع الموده ص ۲۰۸ و الإمامه و السیاسه ج ۱ ص ۱۶۲ و الفتوح لإبن أعثم ج ۴ ص ۱۴۶ و الإستیعاب بهامش الإصابه ج ۳ ص ۴۸ و تاریخ الإسلام للذهبی ج ۲ ص ۲۰۷.

کما ذکره الإمام الحسن (علیه السلام) فی خطبته (۱) آنئذ.

و عاش و مات، و ما بنی لبنه علی لبنه، و لا قصبه علی قصبه (۲).

و باع سیفه و قال: لو کان عندی ثمن عشاء- أو إزار- ما بعته (۳).

و یقول عنه معاویه: (و اللّه، لو کان له بیتان، بیت تبن و بیت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه) (۴).

و کان مصیر تلک الأراضی و الأموال و الأملاک، أنه (علیه السلام) تصدق بها، و وقفها علی المسلمین، و لم یبق منها شی ء حین وفاته (صلوات اللّه و سلامه علیه (۵)، کما هو صریح خطبه ولده السبط حین توفی والده.

و قد قال (علیه السلام): أنا الذی أهنت الدنیا (۶) و قد کان من أهم أسباب انصراف العرب عن علی (علیه السلام) سیرته فی المال، حیث لم یکن یحابی أحدا فی هذا الأمر (۷).ه.

۱- الفتوح لإبن أعثم ج ۴ ص ۱۴۶.

۲- تهذیب الأسماء ج ۲ ص ۳۴۶ و أسد الغابه ج ۴ ص ۲۴ و المناقب للخوارزمی ص ۷۰ و البدایه و النهایه ج ۸ ص ۵۵ و البحار ج ۴۰ و ۳۲۲.

۳- کشف المحجه ص ۱۲۴ و راجع: أصول مالکیت ج ۲ ص ۷۸- ۹۸ عن مصادر کثیره و البحار ج ۴۱ ص ۳۲۴.

۴- کشف الیقین فی فضائل أمیر المؤمنین للحلی ص ۴۷۵ و کشف الغمه ج ۲ ص ۴۷ و ترجمه الإمام علی من تاریخ دمشق (بتحقیق المحمودی) ج ۳ ص ۵۸ و ۶۰.

۵- راجع شرح النهج للمعتزلی ج ۱۵ ص ۴۶ و کشف المحجه ص ۱۲۶ و البحار ج ۴ ص ۳۴۰.

۶- ترجمه الإمام علی (لإبن عساکر) بتحقیق المحمودی ج ۳ ص ۲۰۲ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۳۱۰ و البدایه و النهایه ج ۸ ص ۵.

۷- البحار ج ۴۱ ص ۱۳۳ عن المعتزلی فی شرح نهج البلاغه.

و کـذلک کـان حال زوجته الصـدیقه الطاهره فاطمه الزهراء (علیها صـلوات ربی و سـلامه)؛ فإنها لم تزل تتصـدق بغله فـدک و غیرهـا، و تنفق الأـموال فی سبیـل اللّه سـبحانه، لتعیش هی (علیهـا السـلام) حیـاه الزهـد، و العزوف عن الـدنیا، و عن زبارجهـا و بهارجها.

و حتی هـذه الموقوفات و الصدقات؛ فإنها لم تسـلم من الظلم و الظالمین، فقد اسـتولی الحکام علیها، و منعوا من اسـتمرار انفاقها فی سبیل اللّه، و من انتفاع الفقراء و المحتاجین بها، و لتصـبح بأیدی خصـماء أهل البیت من بنی أمیه، الذین کانوا یخضمون مال اللّه خضم الإبل نبته الربیع، علی حد تعبیر علی (علیه الیلام) فی خطبته الشقشقیه المذکوره فی نهج البلاغه.

الزهد .. الحریه:

و کلمه أخیره نود تسجیلها هنا، و هی: أن بعض الناس یری فی الزهد معنی غیر واقعی، و لا سلیم.

فیری: أن الزهـد هو: أن یلبس الإنسـان الخشن، و یأکـل من فضول طعـام النـاس، و یتخلی عن کل شؤون الحیاه، فلا یعمل، و لا یسعی، و لاـ یکـد علی عیـاله، و لاـ یملک شـیئا من حطام الـدنیا .. و ذلک لأن عمله، و حصوله علی المال إنما یعنی: أنه یحب الدنیا، و لیس ذلک من الزهد فی شی ء.

و إذا کان لا مال لدیه، فلا یکون مکلفا بشی ء، و لا یتحمّل أیه مسؤولیه مالیه، لا تجاه نفسه، و لا تجاه غیره.

و نقول:

إن هـذا الفهم للزهد، غیر مقبول فی الإسـلام، بل هو خطأ کبیر و خطیر، فإن الحصول علی المال لا ینافی الزهد ما دام یضـعه فی مواضعه

التی یریدها اللّه، فقد روی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قوله:

نعم المال الصالح للرجل الصالح (۱).

فالإسلام یقول: إنک إذا استطعت أن تحصل علی المال لتوظفه فی قضاء حاجات المؤمنین، و لیکون وسیله لإحیاء الدین، و نشر تعالیمه، و یکون قوه علی الأعداء، و سببا فی دفع البلاء. فإن ذلک لازم إن لم یکن واجبا شرعیا، یعاقب اللّه علی ترکه، و علی عدم التقید به ..

غایه الأمر: أنه یقول: لا یجوز أن یتحول هذا المال إلی إله یعبد، و إلی سید یطاع، و إلی مالک لرقبه صاحبه، فإنه:

(لیس الزهد أن لا تملک شیئا، و لکن الزهد أن لا یملکک شی).

و التعبیر عن الزهد بأنه حریه و انعتاق قد ورد عنهم (علیهم الصلاه و السلام) فلتراجع کتب الحدیث و الروایه (۲).

و هذا .. بالذات هو المنهج الذی سار علیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) الذی ملک الفی ء و الخمس و غیر ذلک، و لکنه لم یصبح مملوکا لما ملکه .. و کذلک الحال بالنسبه إلی بضعته الصدیقه الطاهره، و علی أمیر المؤمنین (علیه السلام)، و الأئمه الطاهرین من ولده صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین ..

الزهراء .. فی مواجهه التحدی:

إن مطالبه علی (علیه السلام) بأموال بنی النضیر، و مطالبه الزهراء بفدک، و بسهمها بخیبر، و بسهمها من الخمس، و بإرثها أیضا من أبیها الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) .. و إصرارها علی تحدی السلطهم.

۱- جامع بیان العلم ج ۲ ص ۱۶ و مسند أحمد ج ۴ ص ۱۹۷ و ۲۰۲.
۲- راجع: میزان الحکمه ج ۴ ص ۲۶۳ عن غرر الحکم.

فى إجراءاتها الظالمه ثم مغاضبتها للغاصبين حتى توفيت، حيث أوصت أن تدفن ليلا- إن ذلك كله- لا يمكن تفسيره على أنه رغبه فى حطام الدنيا، و حب للحصول على المال .. فإن حياتها و هى الصديقه الطاهره، و الزاهده، و الفانيه فى اللّه، حتى إنها كانت تقوم الليل حتى تورمت قدماها ..

و كذلك ما شاع و ذاع حول كيفيه تعاملها مع الأموال التى كانت تحصل عليها من فدك و غيرها، و كيف كانت تصرفها- إن ذلك- لخير دليل على ما نقول، و أوضح شاهد عليه.

و هذا بالذات هو ما يجعلنا نتساءل عن السر الكامن وراء تلك المطالبه، و ذلك الإصرار و لعلنا نستطيع أن نفسر ذلك بما يلى:

۱- إن نفس الإنتصار للحق، و تأكيده، و رفض الباطل و إدانته أمر مهم و مطلوب و محبوب، و هو من القيم و المثل التى لا بد من الإلتزام بها و التأكيد عليها، فى مختلف الظروف و الأحوال.

۲- إن فى موقف فاطمه الزهراء (عليها السلام) فى وقت لا يزال فيه الإسلام طرىّ العود، و يمكن أن يصبح فيه السكوت على الإنحراف سببا فى قبول الناس له على أنه أمر لا يتنافى مع أحكام الشرع و الدين- إن فى هذا الموقف- حفاظا على مبادىء الإسلام، و على قوانينه و أحكامه، و صيانه له عن الفهم الخاطىء و عن التحريف ..

۳- إن فاطمه (عليها السلام) بموقفها هذا قد أفهمت كل أحد: أنه لابد من قول الحق، و إطلاق كلمه (لا) فى وجه الحاكم، و أنه ليس فى منأى عن الحساب و العتاب و العقاب، و أن الإنحراف مرفوض من كل أحد حتى من الحاكم، و ليس هو فوق القانون، بل هو حام للقانون، و مدافع عنه، و أن سلطته و حكمه ليس امتيازا له يصول به على الآخرين، و يستطيل به عليهم، و إنما هو مسؤوليه، لابد و أن يطالب هو قبل كل أحد بالقيام بها، و بالالتزام بما يفرض الشرع عليه الإلتزام به فى نطاقها ..

۴- إن الاعتراض حيث لابد منه حتى على الحاكم، مهما كان قويا و عاتيا، هو مسؤوليه كل أحد حتى النساء بالمقدار الذى يمكن. و لا يختص ذلك بالرجال.

۵- إن التصدى للمطالبه بالحق و تسجيل الموقف، لا يجب أن ينحصر فى صوره العلم بإمكان الحصول على ذلك الحق، أو احتمال ذلك، بل إن ذلك قد يجب حتى مع العلم بعدم إمكان الحصول على شى ء، فإن فاطمه (عليها السلام) كانت تعلم بأن مطالبتها لن تجدى شيئا فى إرجاع ما اغتصب منها إليها، و لكنها مع ذلك قد سجلت موقفا حاسما و أدانت الإنحراف، و تصدت له، و ماتت و هى مهاجره و غاضبه على أولئك الذين أخذوا حقها، و استأثروا به دونها.

و حتى حين طلب منها أمير المؤمنين أن تستقبلهما، فإنها لم تجب بالقبول، بل قالت له (عليه السلام): البيت بيتك، و الحره زوجتك، إفعل ما تشاء.

فدخلا عليها، و حاولا استرضاءها و بكيا لديها، و لكنها فضحت خطتهما، و أوضحت لهما، من خلال حملها إياهما على الإقرار بأنهما قد أغضباها، و بأن اللّه يغضب لغضبها، و يرضى لرضاها- أوضحت لهما: أنها لا تزال غاضبه ساخطه عليهما (۱)، لا سيما و أنهما ما زالا يصران على غصبها حقها، و منعها إرثها، و سائر أموالها.

و ذلك لأنها عرفت أن بكاء هما و خضوعهما لها إنما يرمى إلى التأثير عليها عاطفيا، من دون تقديم أى تراجع عن موقفهما السابق، أو تقديم أى إعتذار مقبول عنه.٠.

۱- البحار ج ۴۳ ص ۱۹۸ و ۱۹۹ و كتاب سليم بن قيس ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و راجع: كنز العمال ج ۵ ص ۳۵۱ و ۳۵۲ و الغدير ج ۷ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و الإمامه و السياسه ج ۱ ص ۱۴ و أعلام النساء ج ۴ ص ۱۲۴ و عن رسائل الجاحظ ص ۳۰۰.

و معنی ذلک هو أنهما قد أرادا من وراء استرضائهما إیاها (علیها السلام)، هو أن یصبح بإمکانهما دعوی: أن فاطمه قد رضیت، و طابت نفسها، بل و أقرتهما علی ما فعلاه و سلّمت لهما بما ادّعیاه.

و لکن وصیتها بأن تدفن لیلا، ثم تنفیذ هذه الوصیه من قبل أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) قد فوّت الفرصه علی کل دعوی، و سد السبیل أمام أی تزویر.

فلم یبق أمام أولئک الذین یقدسون هؤلاء الغاصبین و یؤیدونهم إلا الإعلان بالخلاف، و الإصرار علی الباطل، بل إن بعضهم لم یستطع إخفاء ما یجنه من حقد و ضغینه، فجاهر بالطعن، و الإنتقاص، و النیل من مقامها، و حاول- ما أمکنه- تصغیر عظیم منزلتها ..

فأنکر بعضهم کونها واجبه العصمه (۱) لأجل ذلک، رغم أن الکتاب العزیز قد نصّ علی طهارتها، و علی أنها بریئه من أی رجس أو رین ...

کما أن الحدیث المتواتر عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حول أن اللّه یغضب لغضبها (۲) یدل علی عصمتها کذلک.

لماذا لم یسترجع علی (علیه السلام) ما اغتصب؟!

و أما لماذا لم یسترجع علی (علیه الصلاه و السلام) فدکا و غیرها مما اغتصب منهم (علیهم السلام)، مع أنه کان قادرا علی ذلک أیام خلافته ..

فقد ذکرت الروایات الوارده عن الأئمه (علیهم السلام) الأسباب التالیه:).

۱- راجع: البدایه و النهایه ج ۵ ص ۲۸۹ و راجع: ج ۴ ص ۲۰۳.

۲- تقدمت مصادر کثیره لهذا النص فی الجزء الرابع من هذا الکتاب، فی فصل: سرایا و غزوات قبل بدر، حین الحدیث حول تکنیه علی بأبی تراب، و الإفتراء علیه باغضابه لفاطمه (علیها السلام).

۱- إن الظالم و المظلوم كانا قد قدما على اللّه عز و جل، و أثاب اللّه المظلوم، و عاقب الظالم؛ فكره أن يسترجع شيئا قد عاقب اللّه عليه غاصبه، و أثاب عليه المغصوب (عن الصادق عليه السلام) (۱).

۲- للإقتداء برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما فتح مكه و قد باع عقيل بن أبى طالب داره؛ فقيل له: يا رسول اللّه، ألا ترجع إلى دارك؟ ..

فقال (صلى اللّه عليه و آله): و هل ترك عقيل لنا دارا، إنا أهل بيت لا نسترجع شيئا يؤخذ منا ظلما؛ فلذلك لم يسترجع فدكا لما ولى (عن الصادق عليه السلام) (۲).

۳- لأنا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو (يعنى: إلا اللّه)، و نحن أولياء المؤمنين، إنما نحكم لهم، و نأخذ حقوقهم ممن ظلمهم، و لا نأخذ لأنفسنا (عن الإمام الكاظم عليه السلام) (۳).۵.

۱- الطرائف: ص ۲۵۱ و علل الشرائع ص ۱۵۴ و ۱۵۵.

۲- الطرائف: ص ۲۵۱ و علل الشرائع ص ۱۵۵ و المناقب لإبن شهر آشوب ج ۱ ص ۲۷۰.

۳- الطرائف ص ۲۵۱ و ۲۵۲ و علل الشرائع ص ۱۵۵.

ص: ۲۶۳

الباب التاسع: حتى الخندق

اشاره

الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

اشاره

بدايه:

قد اتّضح من كل ما ذكرناه فى كتابنا هذا: أن جل إن لم يكن كل ما يذكره المؤرخون و المحدثون من نصوص و آثار يحتاج إلى تمحيص و تحقيق وفق المعايير الصحيحه التى تستطيع أن تقرب إلى ما هو الواقع و الصحيح.

و ليست النصوص التى نقلت لنا أحداث غزوه ذات الرقاع مستثناه من هذه الظاهره. و لأجل ذلك، فنحن نورد منها بعض نصوصها، ثم نختار بعضه لنركز الأضواء عليه، بهدف إعطاء صوره متقاربه الملامح عن الواقع و الحقيقه، حسبما يتيسر لنا فى هذا الظرف، فنقول:

الرصد الدقيق:

إن من الأمور الواضحه: أن ليقظه القائد الفذ، و تنبهه للأمور، و رصدها بدقه و وعى، ثم قدرته على استشفاف المستقبل و استشرافه، دورا كبيرا فى إحكام الأمور، و فى ترسيخ قواعد الحكم و الحاكميه، ثم فى إبعاد الأخطار عن المجتمع الذى يرعاه. و حسن تدبير شؤونه، و سلامه التحرك فى نطاق تصريف الأمور على النحو الأفضل و الأمثل.

و على هذا الأساس نستطيع أن نتفهم بعمق ما نشهده من مبادرات متكرره للرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم لضرب أى تجمع أو

تحرک ضد المسلمین، قبل أن یشتد عوده، و لا یعطیه أیه فرصه لیتماسک، و یقوی، و یستفحل أمره.

و ذلک لأن الانتظار إلی أن تحتشد جموع الأعداء معناه أن یواجه المسلمون صعوبات کبیره و ربما خطیره للتخلص من شرهم، و تفویت الفرصه علیهم.

و هذا ما یفسر لنا ما نجده من رصد دقیق من قبل المسلمین لکل القوی المعادیه التی کانت معنیه بالوجود الإسلامی فی بلاد الحجاز ..

ثم نعرف سر السرعه التی کان یظهرها المسلمون فی رده الفعل،

غزوه ذات الرقاع:

یذکر المؤرخون: أن قادما قدم المدینه بجلب له، فأخبر أنّ أنمارا، و ثعلبه، و غطفانا قد جمعوا جموعا بقصد غزو المسلمین. فلما بلغ النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم ذلک استخلف علی المدینه عثمان بن عفان، أو أبا ذر الغفاری، و خرج لیله السبت لعشر خلون من المحرم فی أربع مئه و المبادره إلی حسم الموقف بقوه و حزم، بمجرد تلقیهم أی نبأ یشیر إلی وجود حشود، أو استعدادات أو حتی تآمر و تخطیط یستهدفهم.

فیبادرون إلی إرسال السرایا، و تنظیم الغزوات ضد أعدائهم من مجرمین و متآمرین. ثم تکون النتیجه فی أغلب الأحیان هی فرار القوی المعادیه، و تفرقهم قبل الاشتباک معهم، أو إثر مناوشات یسیره، تکون الخسائر فیها معدومه أو تکاد، بل واتفق أن ظفر المسلمون بجمیع أعدائهم فقتل من قتل منهم، و أسر الباقون ..

نتائج و آثار:

و قد نتج عن ذلک ١- أن أولئک الأعراب الجفاه، الذین مردوا علی شنّ الغارات،

و قطع الطرق، قد أصبحوا يعيشون حاله الرعب و الخوف من المسلمين إلى درجه كبيره، و كانوا إذا تناهى إليهم ما يشير إلى تحرك المسلمين باتجاههم، فإنهم لا يجرؤون على الظهور بمظهر التحدى، و لا يتخذون قرارا بالهجوم، أو التصدى للدفاع، و إنما يقررون الفرار إلى رؤوس الجبال، و التمنع فيها، أو التخفى فى أى من المسارب و المهارب، حتى ولو أدى ذلك إلى استيلاء المسلمين على أموالهم، و مواشيهم، و حتى على نسائهم و أولادهم أحيانا.

۲- أضف إلى ذلك: أن ذلك قد هيأ الجو للنبى صلى الله عليه و آله وسلم ليعقد تحالفات كثيره مع كثير من القبائل فى ذلك المحيط. و قد نتج عن ذلك، و عن الجهد الذى بذله صلى الله عليه و آله وسلم لرد كيد أعدائهم و إفشال مخططاتهم، بواسطه ما أرسله من سرايا و غزوات. أن تأكدت قوّه المسلمين، و ظهرت شوكتهم، و عرف الناس كلهم مدى تصميمهم على تحقيق أهدافهم، و مواصله طريقهم الرامى إلى نشر هذا الدين، و الدفاع عنه، و بذل كل غال و نفيس فى سبيله.

و قد كان من الطبيعى أن ينزعج المكيون لذلك، و أن يضايقهم، و يفقدهم كثيرا من الامتيازات السياسيه و العسكريه و غيرها. كما أنه يحدّ إلى حد بعيد- من حريتهم فى التحرك لعقد تحالفات واسعه و مؤثره ضد المسلمين، ما دام أن الكثيرين من سكان المنطقه لن يجرؤا على عمل من هذا القبيل بسبب هزيمتهم النفسيه حسبما تقدم.

۳- كما أن ذلك قد هيأ للمسلمين أجواء و مناخات مريحه إلى حد مّا استطاعوا فيها مضاعفه نشاطهم الإعلامى، و كان ذلك سببا فى انتشار دعوتهم، و بعد صيتها، حتى أصبحت الحديث اليومى للصغير و الكبير فى مختلف البلاد، و العباد. و ترسخت هذه الدعوه و امتدت جذورها باطراد، و اطمأن كثير من الناس إليها، و عوّلوا عليها. و تلمسوا فيها كل المعانى الخيره و النبيله، الموافقه لما تحكم به عقولهم، و تقضى به فطرتهم. و قد

ساعد على ذلک ما ظهر لهم من قوه المسلمین، بعد أن بسطوا هیبتهم على المنطقه بأسرها.

رجل. (و قیل: فی سبع مئه (۱) و قیل فی ثمان مئه) (۲)، حتى أتى وادی الشقره. فأقام بها یوما، و بث السرایا، فرجعوا إلیه مع اللیل؛ و أخبروه:

أنهم لم یرو أحدا.

ثم سار صلى اللّه علیه و آله و سلم بأصحابه حتى أتى محالّهم؛ فلما عاینوا عسکره، ولوا عن المسلمین، و کرهوا لقاءهم. فتسنموا الجبل، و تعلقوا فی قلّته. و لحق بعضهم ببطون الأودیه.

و لم یبق إلا نسوه، فجاء صلى اللّه علیه و آله و سلم، فأخذهن، و فیهن جاریه وضیئه.

و لم یکن قتال (۳).ره

۱- راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۰ و سیره مغلطای ص ۵۴ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۰۱ و الطبقات الکبرى ح ۲ ص ۶۱ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۶ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۱ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۳ و نهایه الارب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۶ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۲۷۱.
۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۰ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۶ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴.
۳- راجع تفصیل غزوه ذات الرقاع أو إجماله فی المصادر التالیه: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و السیره النبویه لزینی دحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۱ و سیره مغلطای ص ۵۴ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۲۷۱ و حیاه محمد لهیکل ص ۲۸۱ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و الوفاء ص ۶۹۱ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۷۴ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۷ و ۲۵۸ و التنبیه و الإشراف ص ۲۱۴ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۶ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و ۲۱۵ و المغازی للذهبی ص ۲۰۱ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۵ و ۳۹۶ و السیره

ثم قفل صلى اللّه عليه و آله و سلم نحو المدينه، و بعث جعال بن سراقه إلى المدينه مبشرا بسلامته، و سلامه المسلمين (۱).

و قدم صلى اللّه عليه و آله و سلم صرارا يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم.

و صرار موضع على ثلاثه أميال من المدينه، و هى بئر جاهليه على طريق العراق (۲).

و كانت هذه الغزوه بأرض غطفان من نجد.

و كانت غيبته صلى اللّه عليه و آله و سلم فى تلك الغزوه خمس عشره ليله (۳).

نقاط لابد من بحثها:

أما النقاط التى لا بد من بحثها فى هذا الفصل، فهى التاليه:

۱- سبب تسميه هذه الغزوه بذات الرقاع.

۲- تاريخ هذه الغزوه، و لسوف نثبت: أن الصحيح هو أنها قد۱.

۱- راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و نهايه الارب ج ۱۷ ص ۱۶۲ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۳ قال: (و هو الذى تمثل به إبليس لعنه اللّه يوم أحد، حين نادى: إن محمدا قد قتل).

۲- راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و نهايه الارب ج ۱۷ ص ۱۶۲ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۱.

۳- راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۳ و سيره مغلطاى ص ۵۴. و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و نهايه الارب ج ۱۷ ص ۱۶۲ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۷ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۱ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۶۱.

كانت بعد غزوه الحديبيه.

۳- ثم نشير بعد ذلك إلى ما يحاول أن يدعيه البعض من أن غزوه ذات الرقاع لم تكن واحده بل هناك غزوتان كل منهما تحمل هذا الاسم.

۴- و بعد ذلك يأتى كلام حول أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم حينما خرج إلى ذات الرقاع قد جعل أبا ذر واليا على المدينه.

۵- ثم نذكر قصه يقال: إنها جرت لعباد بن بشر و عمار بن ياسر، حينما كانا يحرسان المسلمين فى موضع نزلوه و هم راجعون. مع تعليق تحليلى على الحدث.

۶- و لا ننسى أن نذكر قصه غورث بن الحارث، و شكوكنا حولها و مبررات هذه الشكوك، ثم نورد القصه الأقرب إلى القبول فى هذا المجال. مع تعليق تحليلى حولها.

و نرجى ء الحديث عن بقيه النقاط المرتبطه بهذه الغزوه إلى فصل لاحق.

فنحن وفقا لهذا الذى ذكرناه نقول:

التسميه بذات الرقاع:

قد اختلفت كلمات المؤرخين فى سبب تسميه هذه الغزوه بذات الرقاع. و نحن نجمل الأقوال فى ذلك على النحو التالى:

۱- سميت بذات الرقاع، لأنه لم يكن فى تلك الغزوه ما يكفى لركوبهم فى سيرهم إليها، فنقبت أقدامهم من الحفاء، فلفوا عليها الخرق، و هى الرقاع. كما فى البخارى و غيره.

۲- سميت بذلك لأن المسلمين رقعوا راياتهم فيها.

۳- أو لأن الصلاه قد رقعت فيها، لوقوع صلاه الخوف فيها، قاله

الداودی.

۴- أو لأجل شجره کانت هناک یقال لها ذات الرقاع.

۵- أو لأجل جبل هناک اسمه الرقاع؛ لأن فیه بیاضا، و سوادا، و حمره. و یقع قریبا من النخیل، بین السعد و الشقره.

۶- أو لأجل أن الخیل کان فیها سواد و بیاض، کما قاله ابن حبان، مع احتمال أن یکون ابن حبان قد صحف کلمه (جبل) فقرأها (خیل) کما ذکره البعض (۱).

۷- أو لأجل کل الأمور السابقه (۲).

و تحقیق ذلک لیس بذی أهمیه، و إن کنا نستبعد بعض ما ذکر کالقول الثالث لما سیأتی من أن صلاه الخوف قد صلیت فی غزوات أخری قبل أو بعد هذه الغزوه، فلا وجه لاختصاص هذه الغزوه بهذه التسمیه لأجل۶.

۱- راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۳ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۶.

۲- راجع هذه الأقوال أو بعضها فی المصادر التالیه: سیره مغلطای ص ۵۳ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۶ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۳، و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۵. و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۰ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۳ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۲ و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۲ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۳ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و شرح النووی علی صحیح مسلم ج ۱۲ ص ۱۹۷ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۱ و ۳۷۲. و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۴ و البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۳ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۶ و ۳۵۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۶۱، و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و ۲۹ و الوفا ص ۶۹۱ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۷۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۲۷ و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۶۰ و أنساب الاشراف ج ۱ ص ۳۳۴ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۸ و التنبیه و الإشراف ص ۲۱۴ و اعلام الوری ص ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۶.

ذلک.

کما و نستبعد القول الثانی أیضا بالإضافه إلی أقوال أخری.

و تسمی هذه الغزوه أیضا ب (غزوه الأعاجیب). لما وقع فیها من أمور عجیبه.

و تسمی أیضا ب (غزوه محارب) و (غزوه بنی ثعلبه) و (غزوه بنی أنمار) (۱).

تاریخ هذه الغزوه:

و قد اختلفوا فی تاریخ غزوه ذات الرقاع.

فقال فریق: هی بعد غزوه بنی النضیر فی السنه الرابعه، فی شهر ربیع الآخر، و بعض جمادی الأولی (۲) و حسب قول البعض: إنها بعد غزوه بنی النضیر بشهرین و عشرین یوما (۳).

و قال القیروانی: خرج لخمس من جمادی الأولی، و انصرف یوم الأربعاء لثمان بقین منه (۴).۹.

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۰ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴.
۲- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۳ و سیره مغلطای ص ۵۴ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۰ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۶۹ و ۳۷۰ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۶۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۳ و ۲۱۴ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۰۰ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و کتاب الجامع ص ۲۷۹ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۱.
۳- راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۳ عن خلاصه الوفاء و إعلام الوری ص ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۶ و ۱۷۸ و ۱۷۷ عن ابن الأثیر فی الکامل و عن المناقب، و عن اعلام الوری.
۴- الجامع ص ۲۷۹.

و قال آخرون: إنها كانت فى شهر محرم (۱).

و قيل: كانت بعد غزوه بدر الصغرى (۲).

و تردد ابن عقبه فى كونها قبل بدر أو بعدها، أو قبل غزوه أحد أو بعدها (۳).

و قيل: كانت فى سنه خمس (۴).

و جعلها أبو معشر فى سنتين حينما قال: إنها كانت بعد بنى قريظه فى ذى القعده، سنه خمس، فتكون ذات الرقاع فى آخر هذه السنه، و أول التى تليها (۵).

و قال بعضهم: إنها كانت بعد خيبر سنه سبع (۶). و هو ما ذهب إليهمس

۱- راجع: مرآه الجنان ج ۱ ص ۹ و سيره مغلطاى ص ۵۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹. و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و راجع: زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۰ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و نهايه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۶ عن ابن سعد، و ابن حبان و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۲۷۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۲.
۲- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و ۴۶۴ و سيره مغلطاى ص ۵۴.
۳- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ عن المواهب اللدنيه و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۱.
۴- راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ عن ابن سعد، و ابن حبان و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۶ عنهما و عن أبى معشر، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۳۴ و الجامع للقيروانى ص ۲۸۱ و ۲۷۹ و سيره مغلطاى ص ۵۴ و راجع: شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۷ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۷ و ۲۵۹ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۶ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و نصب الرايه ج ۲ ص ۲۴۹.
۵- راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۶.
۶- راجع صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ عن فتح البارى و البخارى و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۰ عن البخارى و عن الشمس

البخاری، و هو ما نذهب إلیه أیضا.

و قال الغزالی: إن غزوه ذات الرقاع آخر الغزوات، قالوا (و هو غلط واضح، و قد بالغ ابن الصلاح فی إنکاره) و قد ذکر ذلک زینی دحلان فراجع (۱).

الصحیح و المعقول:

و بعد ما تقدم نقول: إن تشریع صلاه الخوف، و نزول الآیه قد کان فی الحدیبیه، ثم بعد ذلک کانت غزوه ذات الرقاع فصلی النبی فیها صلاه الخوف أیضا.

و مستندنا فی ذلک ما یلی:

۱- سیأتی فی هذا الفصل: أن صلاه الخوف قد شرعت فی غزوه الحدیبیه (۲). و أن الصدوق یروی فی الفقیه بسند صحیح: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد صلی بأصحابه صلاه الخوف فی غزوه ذات الرقاع (۳) فتکون متأخره عن الحدیبیه.

۲- روی أحمد عن جابر قال: (غزا رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ست غزوات قبل صلاه الخوف، و کانت صلاه الخوف فی السنه السابعه) (۴).

و من المعلوم: أن صلاه الخوف قد صلیت فی غزوه ذات الرقاع، فتکون هذه الغزوه فی السنه السابعه أو بعدها.۸.

۱- السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۷ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۶.
۲- البرهان فی تفسیر القرآن ج ۱ ص ۴۱۱.
۳- من لا یحضره الفقیه ج ۱ ص ۲۶۰ رقم الحدیث ۱۳۳۴ ط جماعه المدرسین و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۴۱۱.
۴- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۸.

لكن عباره البخارى هكذا: (عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنهما:

إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم صلى بأصحابه فى الخوف فى غزوه السابعه، غزوه ذات الرقاع) (۱).

فإن كان المراد: الغزوه السابعه التى حضرها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و لم يكن فيها جميعها قتال. كانت هذه الغزوه قبل أحد، و هو غير مقبول، للاتفاق على أن ذات الرقاع لم تكن قبل أحد، و إن كان موسى بن عقبه قد تردد فى ذلك. لكن تردده فى ذلك لا معنى له، للاتفاق على تأخر صلاه الخوف عن هذا التاريخ، بالإضافه إلى الأدله التى تقدمت و ستأتى.

و إن كان المراد: الغزوه السابعه من الغزوات التى حضرها الرسول، مما كان فيه قتال، فإنها تكون و الحال هذه بعد خيبر، و هو المطلوب.

و إن كان المراد: السنه السابعه، فهو المطلوب أيضا، و يؤيد إراده هذا الأخير روايه مسند أحمد المتقدمه (۲).

و نحن نرجح هذا الشق الأخير، لما ذكرناه و ما سيأتى.

و أما الاحتمال الثانى، فيرد عليه: أن غزوه ذات الرقاع لم يقع فيها قتال؛ فما معنى جعلها سابعه للغزوات التى وقع فيها قتال.

و الأنسب بالعباره المنقوله، هو إراده السنه السابعه، و ذلك بملاحظه عدم وجود لام التعريف فى المضاف، حيث قال: (غزوه السابعه) و لم يقل: (الغزوه السابعه).

و ادعى العسقلانى: أنه لو كان المحذوف هو كلمه سنه لم يحتج البخارى إلى الاستدلال على تأخرها بروايه أبى موسى و غيره. و لعل۴.

۱- صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و ۳۲۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و راجع البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳.

۲- فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و ۳۲۴.

المراد: غزوه السفره السابعه.

و نقول؛ إن نسبه الغزوه إلى السفره مما لا يحسن هنا، و نسبتها إلى السنه أنسب و أوضح فی التقدیر لا سیما مع روایه أحمد المتقدمه فکلام العسقلانی فی غیر محله.

و لکن یبقی هنا سؤال، و هو: لماذا یعبر فی الروایه عن ذات الرقاع بأنها (غزوه السابعه) مع أن ثمه ما هو أهم منها قد وقع فی سنه سبع مثل غزوه خیبر؟!.

إلا أن یجاب عن ذلک بأن ما وقع فیها من أعاجیب، و قضایا قد جعلت لها أهمیه خاصه، بالنسبه لغیرها من الغزوات. لا سیما و أن غیرها قد عرف باسمه الخاص به، و شاع و ذاع أمره، بذلک الاسم بالذات. أما بالنسبه لذات الرقاع، فلم یکن الأمر کذلک.

أو فقل: إن من الممکن أن تکون غزوه ذات الرقاع قد حصلت قبل سائر غزوات سنه سبع، فأطلق علیها اسم غزوه السابعه، ثم جاءت سائر الغزوات، فأطلقوا علیها أسماءها الخاصه بها بعد ذلک، فلم یوجب ذلک تغییرا فی اسم هذه الغزوه. أو فقل: لم یوجب ذلک خللا فی فهم المراد من هذه العباره حین إطلاقها.

۳- ما احتج به البخاری من أن أبا موسی الأشعری ذکر أنه قد حضر غزوه ذات الرقاع، فقال:

(خرجنا مع النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی غزاه، و نحن فی سته نفر، بیننا بعیر نعتقبه، فنقبت أقدامنا، و نقبت قدمای، و سقطت أظفاری، فکنا نلف علی أرجلنا الخرق، فسمیت غزوه ذات الرقاع) (۱).ره

۱- صحیح البخاری ج ۳ ص ۲۳ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۱ و راجع ص ۳۲۲ و راجع: دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۲ و ۳۶۹ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۲ و السیره

و أبو موسى إنما جاء من الحبشه بعد خيبر، فتكون ذات الرقاع بعد خيبر أيضا.

مؤيدات:

۱- و يؤيد ذلك: أن عددا من المؤرخين يقول: إن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم قد استخلف أبا ذر الغفارى على المدينه حين غزا ذات الرقاع. و أبو ذر إنما قدم المدينه بعد أن مضت بدر، و أحد، و الخندق.

و سيأتى توضيح ذلك مع ذكر المصادر إن شاء اللّه تعالى حين الحديث عن الذى و لاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم المدينه فى هذه الغزاه.

۲- و يؤيد ذلك أيضا: ما روى عن ابن عمر الذى أجازه النبى بالخروج إلى الغزو فى وقعه الخندق أنه قال: غزوت مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قبل نجد، فذكر صلاه الخوف (۱).

۳- و يؤيد ذلك أيضا، قول أبى هريره: (صليت مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى غزوه نجد صلاه الخوف) و إنما جاء أبو هريره إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم أيام۴.

۱- راجع: المصادر التاليه: صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و ج ۱ ص ۱۱۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و ۳۲۱ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۶۹ و راجع ص ۳۷۹ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۱ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۳ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و استدل به. و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۶ و نصب الرايه ج ۲ ص ۲۴۴.

خيبر (۱).

لماذا مؤيدات؟!

ألف: إنما جعلنا توليه أبي ذر على المدينه مؤيدا لا دليلا، لأنه سيأتي: أنه قد حضر إلى المدينه حينما أسلم سلمان، بسبب ما رآه من علامات النبوه في الرسول صلى الله عليه و آله وسلم و قد شهد على كتاب عتق سلمان. كما أن ذلك لا يدل إلا على تأخر غزوه ذات الرقاع عن الخندق، و لا يدل على كونها في السنه السابعه، أو غيرها.

ب: بالنسبه لروايه ابن عمر نقول: إنها لا تدل إلا على أن ذات الرقاع قد كانت بعد الخندق، و لا تدل على أكثر من ذلك.

أضف إلى ذلك: أنه لم ينص على اسم الغزوه، بل ذكر أن ذلك قد حصل في غزوه نجد، فلعل هناك غزوات أخرى قد كانت قبل نجد، و قد صلى فيها النبي صلى الله عليه و آله وسلم صلاه الخوف أيضا.

إلا أن يقال: إن غزوه نجد المعهوده في كلماتهم منحصره بذات الرقاع.

ج: و روايه أبي هريره، يرد عليها نفس ما يرد على روايه ابن عمر.

كلام الدمياطي:

و قد اتضح من جميع ما تقدم: أنه لا يصغى لقول الدمياطي: إن ما ورد عن أبي موسى في حضوره غزوه ذات الرقاع غلط، لأن جميع أهل السير على خلافه (۲).

و ذلك لأن كلام أهل السير لا عبره به إذا قام الدليل على خطإهم۶.

۱- راجع المصادر المتقدمه.

۲- فتح الباري ج ۷ ص ۳۲۲ و راجع: المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۶.

فیه، و قد ثبت عن أهل البیت، و کذلک سائر ما قدمناه من أدله: أن ذات الرقاع قد کانت فی الحدیبیه، فلا مجال للشک فی ذلک، أو التشکیک فیه.

دلیل الرأی الآخر:

و بعد ما تقدم نقول: قد یقال: إن الراجح هو أن تکون غزوه ذات الرقاع قبل الخندق. و مستند ترجیح ذلک ما یلی:

۱- ما روی من أن جابرا قد دعا النبی صلی الله علیه و آله وسلم یوم الخندق إلی طعام فی بیته، صنعته زوجته لهم فی قصه مفصله ظهرت فیها کرامه لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم فی ذلک الطعام (۱).

و فی غزوه ذات الرقاع لم یکن النبی صلی الله علیه و آله وسلم یعلم شیئا عن تزوج جابر بأی من النساء منذ استشهد أبوه فی أحد، حیث سأله، إن کان قد تزوج أم لا- ثم لما أجابه بالإیجاب، عاد فسأله، إن کانت التی تزوجها بکرا أو ثیبا فی محاوره جرت بینهما ستأتی إن شاء اللّه.

و قد صرح له فیها: بأنه إنما اختارها ثیبا لأجل أن أباه مات و ترک له أخوات یحتجن إلی من یجمعهن و یمشطهن، و یقوم علیهن (۲).

و نقول:

إن هذا النص لا- یکفی لمعارضه الأدله المتقدمه، و ذلک لا- مکان المناقشه فی دلالته علی المطلوب من حیث أنه یمکن أن یکون جابر قد۸.

۱- صحیح البخاری ج ۳ ص ۲۱ و ستأتی سائر المصادر فی غزوه الخندق إن شاء اللّه. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۸ ۲۸۱ دلیل الرأی الآخر: ..... ص : ۲۸۱ وه للبیهقی ج ۳ ص ۳۸۱ و ۳۸۳ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۹- ۴۰۱ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۱ و ۱۶۲ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۶ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۶ و ۸۷ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۸.

انفصل عن زوجته الأولى بموت لها أو طلاق. أو تكون قد أصبحت لسبب أو لآخر عاجزه عن القيام بمسؤولياتها تجاه أخواته، و كان صلى الله عليه و آله وسلم يعلم بذلك، و يعلم أن جابرا قد كان بصدد الزواج من جديد، فجرت المحاوره بينه و بين جابر على النحو المذكور، و كان اعتذار جابر عن اختيار الثيب هو ذلك. و لا يجب أن يكون صلى الله عليه و آله وسلم عارفا بما تركه جابر من بنات، أو كان صلى الله عليه و آله وسلم عارفا، و لا يمنع ذلك جابرا من جعل ذلك هو العذر لاختياره الثيب للزواج.

غزوتان أم غزوه واحده:

قد أشار البيهقى إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين، إحداهما قبل خيبر، و الأخرى بعدها (۱).

و قال الذهبی: (و الظاهر أنهما غزوتان) (۲).

و نقول:

إن منشأ هذا الاحتمال هو روايه أبی موسى الأشعری السابقه. و قد تقدم: أن أبا موسى قال: (و نحن فی سته نفر بيننا بعير) و هذا يقرب أن يكون أبو موسى يتحدث عن غزوه ثانيه أطلق عليها اسم غزوه ذات الرقاع أيضا.

و لكننا فی قراره أنفسنا نشك فی وجود غزوه من هذا القبيل؛ فإنه يبعد أن يقوم بغزوه يكون قوامها سته نفر فقط لا غير!!.٠.

۱- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۱ و ۳۳۱ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۱ و راجع ص ۲۷۰ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و راجع: زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و راجع: المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۶.
۲- تاريخ الإسلام (المغازى) ص ۲۰۱ و راجع فتح البارى ج ۷/ ۳۲۲/ ۳۲۳ و راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۰.

و لعل المراد: أن الذين كانوا يعتقبون الجمل مع أبى موسى- كانوا سته أشخاص، فى ضمن جيش كثيف يقوده النبى فى غزوه ذات الرقاع.

من استخلف النبى صلى الله عليه و آله وسلم على المدينه:

يظهر من عدد من المؤرخين: أنهم يرجحون أن يكون النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد استخلف على المدينه فى حال غيابه عنها إلى غزوه ذات الرقاع أبا ذر الغفارى، و ليس عثمان بن عفان. لأنهم ذكروا الأول بصوره طبيعيه، ثم عقبوا ذلك بالإشاره إلى توليه عثمان بلفظ قيل (۱) و إن ادعى ابن عبد البر:

أن عليه الأكثر ..

و قد ناقش فى أن يكون أبو ذر هو المتولى لها بأن أبا ذر لما أسلم رجع إلى بلاد قومه، فلم يجى ء حتى مضت بدر و أحد، و الخندق (۲).

و لكن هذه المناقشه موضع نظر:

أولا: لأن ثمه ما يدل على قدوم أبى ذر إلى المدينه قبل الخندق، حيث إنه قد شهد على كتاب عتق سلمان و هو مؤرخ فى السنه الأولى للهجره (۳).دم

۱- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۱، و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۰ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۳ و نهايه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴.
۲- راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۱ و السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴.
۳- ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۵۲ و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۷۰ و راجع كتاب العتق أيضا فى: تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۱۹۹ و مجموعه الوثائق السياسيه ص ۳۲۸ عن الأولين و عن جامع الآثار فى مولد المختار محمد بن ناصر الدين الدمشقى، و طبقات المحدثين بأصبهان ج ۱ ص ۲۲۶ و ۲۲۷ و نفس الرحمان فى فضائل سلمان ص ۲۰/ ۲۱ عن تاريخ كزيده، و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۰۹ عن أكثر من تقدم

و ثانیا: هناک حدیث آخر یذکر فیه أن أبا ذر کان حین قضیه سلمان فی المدینه، و ذلک حین کان فی حائط لمولاته، فجاء النبی صلی الله علیه و آله وسلم و علی علیه السلام، و أبو ذر، و المقداد، و عقیل، و حمزه و زید بن حارثه، و لم یکن سلمان یعرفهم .. ثم ذکر قصته معهم و العلامات التی وجدها فی النبی صلی الله علیه و آله وسلم . و بعض أسانید هذه الروایه صحیحه فراجع المصادر (۱).

و ثالثا: یؤید ذلک مؤاخاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم فیما بین سلمان و أبی ذر (۲).

إلا أن یدعی: أنه إنما آخی بینهما بعد غزوه الخندق فلاحظ!.

و رابعا: إن ما ذکروه إنما یتم بناء علی ما قیل من أن غزوه ذات الرقاع قد کانت قبل غزوه الخندق. و أما بناء علی ما هو الصحیح من أنها إنما کانت بعد خیبر، فلا یبقی محذور فی أن یکون أبو ذر هو الذی ولی المدینه، بعد قدومه إلیها بعد الخندق.

تضحیات عباد بن بشر:

و فی غزوه ذات الرقاع نزل رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم لیلا، و کانت لیله ذات ریح. و کان نزوله فی شعب استقبله. فقال: من رجل یکلؤنا هذه اللیله،۱.

۱- راجع: البحار ج ۲۲ ص ۳۵۸ و إکمال الدین ج ۱ ص ۱۶۴/ ۱۶۵ و روضه الواعظین ص ۲۷۶- ۲۷۸، و الدرجات الرفیعه ص ۲۰۳ عن إکمال الدین و نفس الرحمان ص ۵ و ۶ و ۲۲ عن إکمال الدین، و الراوندی فی قصص الأنبیاء، و روضه الواعظین، و الحسین بن حمدان، و الدر النظیم.

۲- راجع: بصائر الدرجات ص ۲۵ و الکافی ج ۱ ص ۳۳۱ و ج ۸ ص ۱۶۲ و الغدیر ج ۷ ص ۳۵ عنهما. و اختیار معرفه الرجال ص ۱۷ و البحار ج ۲۲ ص ۳۴۳ و ۲۴۵ و مصابیح الأنوار ج ۱ ص ۳۴۸ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۸ و نفس الرحمان ص ۹۱.

فقام عباد بن بشر أو عماره بن حزم. و قام أيضا عمار بن ياسر، فقالا: نحن يا رسول اللّه نكلؤكم.

و عباره البعض: انتدب رجل مهاجرى، و آخر أنصارى فجلسا على فم الشعب، فقال عباد لعمار: أنا أكفيك أول الليل، و تكفينى آخره، فنام عمار، و قام عباد يصلى.

و كان زوج بعض النسوه اللاتى أصابهن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم غائبا، فلما جاء و عرف ما جرى، تتبع الجيش، و حلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا، أو يهريق فى أصحاب محمد دما.

فلما رأى سواد عباد قال: هذا ربيئه القوم، ففوّق سهما فوضعه فيه، فانتزعه عباد، فرماه بآخر، فانتزعه. فرماه بثالث فانتزعه كذلك. فلما غلبه الدم أيقظ عمارا، فلما رأى ذلك الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب.

فقال عمار لعباد: ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم يرمى به؟

فقال: كنت أقرأ فى سوره الكهف فكرهت أن أقطعها- أضاف فى نص آخر: فلما تابع على الرمى أعلمتك.

و فى نص آخر: أنه صلى الله عليه و آله وسلم جعلهما بإزاء العدو فرمى أحدهما بسهم و هو يصلى، فأصابه، و نزفه الدم و لم يقطع صلاته، ثم رماه بثان و ثالث و هو يصيبه و لم يقطع صلاته.

و يقال: إن عبادا قال معتذرا عن إيقاظ صاحبه: لو لا أنى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ما انصرفت و لو أتى على نفسى (۱).نن

۱- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۱/ ۲۷۲. و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۸/ ۲۲۹ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱/ ۱۱۲ و السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۸/ ۲۱۹ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۷ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۴ و ۱۶۵ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۵ و ۸۶ و راجع السنن

و يقال: إن الأنصارى هو عماره بن حزم (۱).

قال الحلبى الشافعى: (و بهذه الواقعه استدل أئمتنا على أن النجاسه الحادثه من غير السبيلين لا تنقض الوضوء؛ لأنه صلى الله عليه و آله وسلم علم ذلک و لم ينكره.

و أما كونه صلى مع الدم، فلعل ما أصاب ثوبه و بدنه منه قليل.

و لا ينافى ذلک ما تقدم فى الروايه قبل هذه: فلما غلبه الدم. إذ يجوز مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه و لا بدنه إلا القليل منه) (۲).

تسجيل تحفظ:

و نحن و إن كنا لا نملک معطيات كثيره فى مجال البحث حول هذه، القضيه، إلا أننا نرتاب فى أن يكون الذى تعرّض للسهام هو خصوص عباد بن بشر، لأننا نشعر من خلال مراجعه ما لدينا من نصوص حول هذا الرجل: أنه كان موضع اهتمام فريق خاص يعنى بتسجيل الكرامات له.

فراجع ترجمته (۳).

كما أن ما ذكر آنفا لتصحيح صلاه عباد بالدماء ليس كافيا فى ذلک۵.

۱- دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۹.

۲- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۲.

۳- الإصابه ج ۲ ص ۲۶۳ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ۲ ص ۴۵۲- ۴۵۶ و أسد الغابه ج ۳ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۳۷- ۳۴۰ و فى هامشه عن المصادر التاليه: طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۲ ص ۱۶ و طبقات خليفه ص ۵۸ و تاريخ خليفه ص ۱۱۳ و التاريخ الصغير ص ۳۶ و الجرح و التعديل ج ۶ ص ۷۷ و مشاهير علماء الأمصار ص ۱۱۳ و الاستبصار ص ۲۲۰- ۲۲۲ و تاريخ الإسلام ج ۱ ص ۳۷۰ و العبر ج ۱ ص ۱۵.

كما هو ظاهر.

مع الحدث فی مرامیه و دلالاته:

إن من الواضح: أن حرب بدر بكل ظروفها، و أحداثها و ملابساتها قد أقنعت أهل الإيمان بأن الجهاد ليس مجرد إنجاز عسكرى يتجلى، و يتجسد من خلال جهد يبذل فى ساحه القتال، تتجلى فيه فاعليه السلاح المتفاعل مع عنصرى الشجاعه الذاتيه من جهه، و الطموح من جهه أخرى، حيث يرسم معالمهما جهد تربوى، و تعليمى، و شحن روحى و نفسى، بالإضافه إلى تأثير النواحى التنظيمه، و ما يتبع ذلك من تخطيط عسكرى مستند إلى الخبرات الواسعه، و الدراسات المعمقه، إلى أن ينتهى الأمر بحسن الأداء. و الدقه فى التنفيذ و الالتزام.

إن حرب بدر ثم ما تلاها من حروب و أحداث، و كذلك ما سبقها من ذلك أيضا قد أقنعت أهل الأيمان: بأن الحرب ليست هى مجرد ما ذكرناه آنفا.

و إنما الحرب و الجهاد عباده و فناء فى ذات اللّه، و باب قد فتحه اللّه و لكن ليس لكل أحد، و إنما لخاصه أوليائه، حيث يخرج من عالم و يدخل من ذلك الباب إلى عالم جديد بكل ما لهذه الكلمه من معنى. يعبر الإنسان فيه بوابه الموت ليصل إلى الحياه، و هى الحياه الحقيقيه التى يصبح فيها هؤلاء الأموات الأحياء شهداء على الناس. لأنهم أصبحوا قادرين على فهم الواقع بعمق. و من دون أيه حواجز و موانع تقلل من درجه الإدراك، سواء كانت تلك الحواجز ماديه، و لو كانت هى نفس الوسائل التى يستخدمها الإنسان للحصول على العلم بما يحيط به من حوله، أو كانت من نوع الشهوات و الأهواء، و غير هما مما يمنع من إدراك الأشياء على حقيقتها.

فالصلاه و الجهاد من سنخ واحد. فإذا كانت الصلاه تساعد الإنسان على ممارسه الجهاد الأكبر الذی هو جهاد النفس، فإن القتال و الحرب جهاد أصغر يمكّن من دحر العدو الذی يهدف إلى تسديد الضربه إلى الإسلام و المسلمين، أو يهدف إلى سلب الإنسان المسلم حريه الرأی و حريه الاعتقاد، و حريه التفكير. و حريه الممارسه.

و لأجل هذه السنخيه بين الصلاه، و بين الجهاد، فإننا لا نستغرب بعد هذا أن يكون أولئك المجاهدون، الذين يقفون فی موقع متقدم لحمايته من الأعداء، تنصرف همتهم فی هذه المواقع بالذات إلى ممارسه الجهاد الأصغر، و التربيه النفسيه عن طريق ترويض النفس، و تربيتها بالصلاه التی هی عمود الدين.

فتكون الصلاه و العبادات هی الشغل الشاغل لهم فی هذه المواقع بالذات، حيث يرون أنفسهم فيها فيما بين الدنيا و الآخره، فتلين قلوبهم.

و تصبح نفوسهم أكثر شفافيه و صفاء، و يصبحون أكثر شجاعه و صبرا و تحملا للمكاره ..

و ما قصه عباد و عمار المذكوره إلا شاهد صدق على ما نقول.

۲- إننا نلاحظ: أن الرجل الذی استهدفه ذلك المشرك بسهامه لم يوقظ رفيقه لانهزامه أمام سهام ذلك العدو الغادر، و إنما من إحساسه بالمسؤوليه تجاه ما كلّفه به النبی صلى الله عليه و آله وسلم ، فهو يوقظه، لأنه يريد مواصله الصمود بذلك، لكی لا يضيع ثغرا من ثغور المسلمين. أی أنه لم يوقظه ليستعين به على الدفع عن نفسه، و ليجد فيه قوه له كفرد، و إنما أراده ليحفظ الإسلام و ثغوره.

قصه غورث بن الحارث:

و يذكر المؤرخون و المحدثون هنا قصه مفادها:

إنه حین تحصّن بنو محارب فی رأس جبل فی غزوه ذات الرقاع قال لهم غورث بن الحارث: ألا أقتل لکم محمدا؟!

قالوا: بلی، و کیف تقتله؟!

قال: أفتک به. أی یقتله علی حین غفله

فجاء إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم و سیفه صلی الله علیه و آله وسلم فی حجره، فقال: یا محمد، أرنی أنظر إلی سیفک هذا (و کان محلی بفضه (۱))، فأخذه من حجره؛ فاستله، ثم جعل یهزه، و یهمّ به، فیکبته اللّه (أی یخزیه) ثم قال: یا محمد، أما تخافنی؟!

قال: لا، بل یمنعنی اللّه تعالی منک.

ثم دفع السیف إلیه صلی الله علیه و آله وسلم فأخذه النبی صلی الله علیه و آله وسلم و قال: من یمنعک منی؟!

قال: کن خیر آخذ.

قال: تشهد أن لا إله إلا اللّه، و أنی رسول اللّه ..

قال: أعاهدک علی أنی لا أقاتلک، و لا أکون مع قوم یقاتلونک.

قال: فخلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم سبیله؛ فجاء قومه، فقال: جئتکم من عند خیر الناس!!.

زاد فی بعض المصادر قوله:

و أسلم هذا بعد، و کانت له صحبه (۲).ری

۱- راجع: البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۳ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۶.
۲- راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۲ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۷۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۲۸ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷ و شرحه مطبوع معه بهامشه و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۶۰ و أشار إلی ذلک أیضا فی: الوفاء ص ۶۹۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۶ و فتح الباری

زاد فی نص آخر قوله: فلما حضرت الصلاه صلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم صلاه الخوف فکانت للنبی صلی الله علیه و آله وسلم أربع رکعات، و للناس رکعتین (۱).

و فی بعض نصوص الروایه: أنه لما همّ غورث برسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم (منعه اللّه عز و جل لذلک، و انکب علی وجهه، فنزلت: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ، إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ یَبْسُطُوا إِلَیْکُمْ أَیْدِیَهُمْ (۲) الآیه.

و لهذه الروایه نص آخر، لا یختلف کثیرا عما ذکرناه فراجع (۳).

قال القسطلانی و غیره: (و ذکر الواقدی فی نحو هذه القصه: أنه أسلم، و رجع إلی أهله، فاهتدی به خلق کثیر) (۴).

قصه أخری تشبه قصه غورث:

و هناک قصه أخری یقال: إنها قد حصلت فی هذه الغزوه أیضا،۱.

۱- دلائل النبویه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۶.
۲- نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۰ و البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۳ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۳ و ۱۶۱ و ۱۶۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۴ و ۸۵ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۲۸ و راجع: السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۶ و دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۴۲۲- ۴۲۴ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۶ عن ابن جریر، و ابن إسحاق، و أبی نعیم فی الدلائل، و ابن المنذر، و عبد بن حمید و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱.
۳- الطبقات الکبری ج ۲ ص ۶۱ و ۶۲ و راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۲ و راجع: نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۰.
۴- المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۷ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۳۱.

و هی تشبه قصه غورث. و قد استبعد البعض اتحاد القصتین، لاختلاف سیاقهما.

و ملخصـها: أنه صـلی الله علیه و آله وسـلم لمّا قفل راجعا إلی المدینه أدرکته القائله یوما بواد کثیر العظاه، أی الأشجار العظیمه، التی لها شوک، و تفرق الناس فی العظاه یستظلون بالشجر، و نزل رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم تحت ظل شجره ظلیله.

قال جابر: ترکناها للنبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فعلق صلی الله علیه و آله وسلم سیفه فیها؛ فنمنا نومه فإذا رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم یدعونا؛ فجئنا إلیه؛ فوجدنا عنده أعرابیا جالسا؛ فقال:

إن هذا اخترط سیفی، و أنا نائم، فاستیقظت، و هو فی یده مصلتا، فقال لی: من یمنعک منی؟!

قلت: اللّه.

قال ذلک ثلاث مرات.

فشام السیف، و جلس، فلم یعاقبه رسول اللّه.

و عند مسلم و البخاری، و فی فتح الباری: فهدده أصحاب رسول اللّه، فاغمد السیف و علقه (۱).ع.

۱- راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۲ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۰۱/ ۲۰۲ و صحیح البخاری ج ۲ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و ج ۳ ص ۲۴ و ۲۵ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۶۲ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۲ و ۱۶۳ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۴ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۳- ۳۷۵ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۳۰. و راجع: اعلام الوری ص ۷۸ و ۷۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۵ و ۱۷۶ عن مجمع البیان ج ۳ ص ۱۰۳. و لکنهما ذکرا: أن ذلک کان فی غزوه محارب و بنی أنمار. و أنه صلی الله علیه و آله وسلم انصرف لأجل قضاء حاجته، و کان المطر یرش و جاء السیل قبل أن یفرغ من حاجته، فحال الوادی بینه و بین أصحابه. و کان العدو یرونهم، و لا یراهم المسلمون فأرسلوا غورث أو دعثور لقتل رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، فکان ما کان من دفع جبرئیل فی صدره. فراجع.

و فی روایه أخری: (أنه جعل یضرب برأسه الشجره، حتی انتثر دماغه) (۱).

زاد فی نص آخر قوله: (فأغمد السیف و علقه، فنودی بالصلاه، فصلی بطائفه رکعتین ثم تأخروا) و ذکر صلاه الخوف) (۲).

و نص آخر یقول: (کان قتاده یذکر نحو هذا و یقول: إن قوما من العرب أرادوا أن یفتکوا بالنبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فأرسلوا هذا الأعرابی، و یتلو:

و اذکروا نعمه اللّه علیکم، إذ همّ قوم أن یبسطوا إلیکم أیدیهم الخ) (۳).

و نقول:

إننا نشک فی صحه هذه القصه و تلک، علی حد سواء.

و نذکّر القاری ء بأن هذه القصه تشبه قصه دعثور، التی یقال: إنها کانت فی غزوه ذی أمر، بل لقد قال البعض إنهما قضیه واحده (۴). کما أنها تشبه قصه عمرو بن جحاش، التی یقال: إنها قد حصلت فی غزوه بنی النضیر (۵).

و قد تحدثنا عن القصه الأولی فی الجزء الرابع من هذا الکتاب فی فصل.

و أشرنا إلی الإشکال فی الثانیه فی فصل: الجزاء الأوفی، تحت۴.

۱- شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷ عن البغوی فی التفسیر.
۲- دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۵ عن صحیح مسلم.
۳- دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۴.
۴- راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۲ و راجع: السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۳۳۱ و راجع بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷.
۵- السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۶ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۲ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۴ و راجع: السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و ۲۶۱ و البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۲ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۱۲۱ و فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۵ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۶۴.

عنوان: نزول آیه سوره المائده فی بنی النضیر.

و (فی الشفاء: و قد حکیت مثل هذه الحکایه: أنها جرت له یوم بدر، و قد انفرد عن أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقین، و ذکر مثله) (۱).

و نکتفی هنا بالإشاره إلی ما یلی:

أولا: إن هذه القضایا لا یمکن قبولها؛ لأنها تصور لنا رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بصوره إنسان بسیط و ساذج، لا یفکر بعواقب الأمور، بل یخدعه أعرابی، دون أن یستعمل أی أسلوب متمیز، بل هو لا یزید علی أن طلب منه أن یعطیه سیفه، لینظر إلیه.

و معنی ذلک هو أن هذا النبی، الذی یطلب من أی مؤمن عادی أن یکون کیسا و فطنا، و حذرا (۲)، لم یلتزم هو بأبسط قواعد الحذر أو الکیاسه و الفطانه، و قد أمر اللّه المؤمنین بالحذر فی صلاه الخوف، و أمرهم بذلک أیضا فی قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَکُمْ؛ فَانْفِرُوا ثُباتٍ، أَوِ انْفِرُوا جَمِیعاً (۳).

و ثانیا: إن هذا النبی الکریم و العظیم صلی اللّه علیه و آله و سلم هو الذی أمر باتخاذ الحرس للجیش یطوفون به، و کان مواظبا علی الاستعانه بهم، و الاعتماد علیهم فی غزواته (۴).وک

۱- شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷.

۲- راجع: الخصال ج ۱ ص ۹۹/ ۱۰۰ و عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۲۵۷ و البحار ج ۶۸ ص ۳۳۹ و ج ۶۴ ص ۳۰۷.

۳- سوره النساء: ۷۱.

۴- راجع فی جعل النبی الحرس أفرادا، و جماعات: المغازی للواقدی و ج ۲ ص ۶۰۲ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۹۳ و تاریخ الخمیس ج ۱ من ۴۲۲ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۲۱ و شرح النهج للمعتزلی ج ۴ ص ۲۲۸ و تاریخ الأمم و الملوک

و أين كان عنه على عليه السلام الذى كان يتولى حراسته بنفسه، فى الحضر، و فى السفر، و كان فى حرب بدر و الحرب قائمه لا يزال يتفقد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى موضعه (۱).

و كان هو المدافع عنه و الحامى له فى حرب أحد. و فى غيرها.

و كان له فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله وسلم أسطوانه أمام الحجره. يجلس إليها لحراسته صلى اللّه عليه و آله و سلم (۲).

و زعموا: أن غير على عليه السلام أيضا كان يحرس النبى صلى الله عليه و آله وسلم (۳).

و ثالثا: كيف يترك جيش بأكمله قائدهم، و نبيهم وحيدا فريدا فى غابه، تكثر فيها المفاجئات، و لا يلتفت و لو واحد منهم إلى رجل يتسلّل إلى موضعه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى يهدد حياته بخطر أكيد؟، ثم ينجيه اللّه منه.

و هل نام الجيش بأكمله فى آن واحد؟!

و رابعا: قد ذكرت بعض النصوص ما يفيد: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بأصحابه صلاه الخوف فى هذه المناسبه، مع أنه لم يكن- حسبما يستظهر من تلك النصوص- يواجه عدوا يخشاه. بل كان ذلك فى طريق عودته إلى المدينه. و إن كان يظهر من بعض الروايات الأخرى: أن ذلك كان حينما كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يواجه أعداءه فى غزوه ذات الرقاع.۳.

۱- راجع: البدايه و النهايه ج ۳ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ عن البيهقى، و عن النسائى فى اليوم و الليله و حياه الصحابه ج ۱ ص ۵۰۲ عنه و عن كنز العمال ج ۵ ص ۲۶۷ عن الحاكم و البزار، و أبى يعلى، و الفريابى.
۲- وفاء الوفاء ج ۲ ص ۴۴۸.
۳- الإصابه ج ۲ ص ۴۲۸ و التراتيب الإداريه ج ۱ ص ۳۵۷ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۲۴ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۵۰ و ۶۵۱ و ۲۵۱ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۹۱ و ۴۵۰ و ج ۴ ص ۱۳۴ و التراتيب الإداريه ج ۱ ص ۳۵۶ و ۳۹۲ و ۳۹۳.

و خامسا: قد ذكرنا فيما سبق أن آيه: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، قد وردت فی سوره المائده الآيه/ ١١. و هی قد نزلت قبل وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم بشهرين أو ثلاثه دفعه واحده على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم (۱).

إلا أن يدعى تكرر نزول الآيه، و هو يحتاج إلى إثبات، ما دام أنه لا يمكن إبقاء آيه معلقه بالهواء، عده سنوات و القرآن ينزل، ثم تنزل سوره، فيأتی بها و يضعها فيها.

و سادسا: الآيه ذكرت: أن قوما قد هموا أن يبسطوا أيديهم لضرب المسلمين، و هی لا تناسب شخصا واحدا كما هو مورد البحث هنا. و من يدری. فقد تكون هذه الآيه قد نزلت فی الذين تآمروا على النبی صلی الله علیه و آله وسلم ليله العقبه، لينفروا به ناقته، و يقتلوه.

و سابعا: (۲) يلاحظ مدى التناقض فيما يرتبط بمصير هذا الرجل الذی تقول روايه: إنه ضرب رأسه بالشجره حتى انتثر دماغه، و أخرى تقول: إنه أسلم و اهتدى به خلق كثير.

و تناقض آخر، و هو أنه لما دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وسلم أصحابه، وجدوا رجلا جالسا عنده، فأخبرهم النبی صلی الله علیه و آله وسلم بما جرى له معه. و فی روايه۴.

۱- البرهان فی تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۳۰ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أحمد، و أبی عبيد فی فضائله، و النحاس فی ناسخه، و النسائی، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه، و البيهقی فی سننه، و الترمذی، و حسّنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير. و ممن صرح أنها نزلت دفعه واحده كما فی المصدر المتقدم: أحمد، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و الطبرانی، و محمد بن نصر فی الصلاه، و أبو نعيم فی الدلائل و البيهقی فی شعب الإيمان. و البرهان ج ۱ ص ۴۳۰.

۲- راجع ما تقدم فی السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۳- ۲۶۴.

أخرى: إنهم تهددوه حتى اغمد السيف. و فی النص الأول المتقدم: أنه ردّ السيف إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم . و فی نص رابع: أن جبريل دفع فی صدره فوقع السيف من يده (۱). إلی تناقضات أخری يستطيع من يقارن بين نصوص الروايات أن يقف عليها، و يلتفت إليها.

ثامنا: لماذا يعيد غورث بن الحارث السيف إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، حسبما ذكرته الروايه الأولى؟!

هذا كله عدا عن عدم معقوليته أن يضرب رأسه حتى ينتثر دفاعه، سوف يغمر عليه من أول ضربه شديده يتعرض لها رأسه.

نقول ذلک كله مع أننا على يقين من أن من الممكن أن يتسلل بعض الناس إلى جهه النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فی ظروف معينه. و لكن لا بهذه الطريقه و لا على حساب كرامه النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، حين يكون الهدف هو النيل من شخصيته بصوره أو بأخرى.

القصه الأقرب إلى القبول:

و نعتقد: أن القصه الأقرب إلى القبول هی ما رواه أبان، عن أبی بصير، عن أبی عبد اللّه عليه السلام، قال:

(نزل رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی غزوه ذات الرقاع تحت شجره، على شفير واد، فأقبل سيل، فحال بينه و بين أصحابه، فرآه رجل من المشركين، و المسلمون قيام على شفير الوادی ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمدا.

فجاء و شد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وسلم بالسيف، ثم قال: من ينجيک منی يا محمد؟.٠.

۱- فتح الباری ج ۷ ص ۳۳۰.

فقال: ربی و ربک.

فنسفه جبرئیل علیه السلام عن فرسه فسقط علی ظهره. فقام رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و أخذ السیف و جلس علی صدره و قال: من ینجیک منی یا غورث؟!

فقال: جودک و کرمک یا محمد.

فترکه، فقام، و هو یقول: و اللّه، لأنت خیر منی و أکرم) (۱).

کیف نفهم هذه القصه؟!

و بعد، فإنه إذا کان لهذه القصه أصل، و قبلنا منها ما یتوافق مع الضوابط العامه، و مع النظره الواقعیه لشخصیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم، و مع الظروف التی کانت قائمه آنذاک.

و بعد أن تصبح عناصر القصه فی حدود المعقول و المقبول، فإننا إذا أردنا أن نستفید منها فی مجال التقییم و التقویم، فإن ما یمکن أن نقوله هو:

إن اللّه لم یزل یرعی نبیه، و یظهر له المزید من الکرامه، و یحوطه بألطافه، و یکلؤه، و یحفظه، و یصونه.

و یلفت نظرنا هنا تأثیر جواب النبی صلی الله علیه و آله وسلم لذلک الرجل بأن اللّه هو الذی یمنعه منه، فی ظرف لم یکن ذلک الرجل یفکر باللّه سبحانه، و لا یخطر فی باله أن یتدخل اللّه فی موقف کهذا النصره أی من الفریقین، و رأی من ثقه النبی صلی الله علیه و آله وسلم باللّه و اعتماده علیه حتی إنه لم یتطرق ذره من الخوف إلی قلبه الشریف حتی فی موقف کهذا- رأی من ذلک ما أرعبه، و هز کیانه، و أثار أمامه أکثر من سؤال، فتزعزعت الثوابت التی کانت۹.

۱- الکافی ج ۸ ص ۱۲۷ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۹ عنه و اعلام الوری ص ۸۹.

تتحكم فى كيانه و تهيمن على وجوده. فلم يعد ثمه ما يحمى له قراره بقتل محمد، و أصبحت اليد الممدوده ليس لها مدد من إراده، و لا رافد من عزيمه، فكان من الطبيعى أن تسقط، و يسقط السيف الذى كانت تحمله.

ثم لما رأى السيف فى يد النبى، و رجع إلى كيانه و وجوده، فرآه موزعا و خاويا. و راجع حساباته، كلها، فرأى أنه لا يملك أى رصيد يخوله أن يعتمد عليه، و يستند إليه، كان لا بد له من الاعتراف بأن لا أحد يمنع أو يدفع عنه، فما دام اللّه ليس معه، فإنه لا أحد معه، و هذه حقيقه لا بد من الاعتراف بها و الانصياع لها قبل فوات الأوان، و هكذا كان.

الفصل الثانی: حدث و تشریع

اشاره

ماذا فی هذا الفصل؟!

إننا لاستكمال الحديث عن الأمور المرتبطه بغزوه ذات الرقاع نتحدث فی هذا الفصل عن عده أمور بالترتيب التالی:

۱- إنهم يقولون: إن صلاه الخوف قد شرعت فی غزوه ذات الرقاع، و صلاها النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم بأصحابه فيها، و هی أول صلاه خوف فی الإسلام.

و نحن نری: أن ذلک غير سليم، و أن صلاه الخوف قد شرعت فی الحديبيه، و هی قبل ذات الرقاع. بل قد يقال: إنها قد شرعت قبل الحديبيه أيضا.

۲- ثم نشير إلی الاختلافات الوارده فی كيفيه صلاه الخوف.

۳- و نتحدث أيضا بإجمال عما يقال عن عدم صلاه الخوف فی غزوه الخندق، لأنها لم تكن شرعت آنئذ ..

۴- ثم نعقب ذلک بفلسفه تحليليه لتشريع صلاه الخوف فی حدود ما تسمح به المناسبه.

۵- ثم نتوجه إلی الحديث عن قصر الصلاه، حيث يقال: إن ذلک قد حدث فی غزوه ذات الرقاع أيضا.

۶- ثم نستطرد فی الحديث إلی موضوع آخر يرتبط بقصر الصلاه،

و هو مـا اشترطته الآيه للقصـر، من كونه فى مورد خوف الفتنه، و ذلک من أجل بيان المراد من هـذا الشـرط، ثم المبرر لإدراجه فى الآيه الشريفه.

٧- و لا ننسـى أن نسـتطرد أيضا إلى موضوع قصـر عثمان للصـلاه فى منى و عرفات فى أيام الحج، و ما نشأ عن ذلک و ما انتهى إليه. و نذكر أيضا أعذارا و توجيهات لهذا الأمر لا يمكن أن تصح، و لا يصح الاعتماد عليها.

٨- ثم نختم الحديث عن هذا الموضوع بالإشاره إلى أن القصـر فى السفر رخصه أم عزيمه، من أجل أن يتضح المقصود من آيه القصر، حيث إن الحديث عن القصر فيها إنما هو بصيغه: ليس عليكم جناح أن تقصروا.

٩- و أما الحـديث عن أن آيه التيمم قـد نزلت فى غزوه ذات الرقاع أيضا فنرجئه إلى الحـديث عن غزوه المريسـيع بعـد الخندق، حيث يتم التعرض له هناک إن شاء اللّه تعالى ..

هـذه خلاصه ما سوف نتحـدث عنه فى هـذا الفصل، و أنت ترى: أنه كله حـديث عن تشـريعات ادعى أنها قد حصـلت فى غزوه ذات الرقاع. ثم استطرادات مفيده فى نطاق الحديث عن هذه التشريعات.

و نحن نرجو أن يكون فصـلا مفيـدا للقـارى ء و ممتعـا له فى نفس الوقت .. فـإلى مـا يلى من مطـالب، و من اللّه نسـتمد العون و القوه، و عليه نتوكل ..

صلاه الخوف:

يقـال: إن صـلاه الخوف قـد شـرعت فى غزوه ذات الرقاع. حيث إنه صـلى اللّه عليه و آله و سـلم فى هـذه الغزوه واجه جمعا من الأعداء (فتقارب الجمعان، و لم يكن بينهما حرب. و قد خاف بعضـهم بعضا، من غير أن يغيروا عليهم، فصلى بهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم صلاه الخوف، ثم انصرف

بالناس) (۱).

و هی أول صلاه خوف فی الإسلام (۲).

و نقول:

إننا نسجل هنا ما یلی:

۱- قولهم: إنها أول صلاه خوف صلیت فی الإسلام لا تؤیده الروایات علی اختلافها؛ فقد ذکروا- و إن کنا قد رددنا ذلک فیما یأتی- أن صلاه الخوف إنما شرعت فی غزوه بنی النضیر (۳) و هی قبل غزوه ذات۲.

۱- راجع: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸/ ۲۹ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۱ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۰۰ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۶ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۰ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۳ و راجع: صحیح البخاری ج ۳ ص ۲۴ و ۲۵ و راجع: الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۷۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۲۷ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و تفسیر البرهان ج ۱ ص ۴۱۱ عن من لا- یحضره الفقیه و الثقات ج ۱ ص ۲۵۸ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۱۰ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و راجع: نصب الرایه ج ۲ ص ۲۴۶ و ۲۴۷ و راجع صحیح مسلم (باب صلاه الخوف) ج ۲ ص ۲۱۴ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۷ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۲ و ۲۱۳ عن أبی داود، و ابن حبان، و الحاکم و صححه و البیهقی، و عن مالک، و الشافعی، و ابن أبی شیبه، و عبد بن حمید، و البخاری و مسلم و الترمذی و النسائی و ابن ماجه و الدارقطنی.

۲- حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۷ و الطبقات الکبری لابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۷ و الجامع ص ۲۷۹ و راجع المصادر المتقدمه أیضا، فبعضها قد ذکر ذلک و نصب الرایه ج ۲ ص ۲۴۸ و ۲۴۹ عن الواقدی و غیره.

۳- راجع هذا القول فی: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۱، و التنبیه و الإشراف ص ۲۱۴ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۷ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۵ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۹ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۷۰ و صحیح البخاری ج ۳ ص ۲۳، و فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۵ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۲.

الرقاع قطعا.

۲- و من جهه أخرى ثمه روايات تقول: إن آيات صلاه الخوف قد نزلت فى غزوه عسفان، فصلى بهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم صلاه الخوف- و فى روايه الترمذى و ابن جرير: أن جبرئيل هو الذى علّم النبى صلى الله عليه و آله وسلم كيف يصليها، و ذلك، بين ضجنان، و عسفان. و عسفان كانت بعد الخندق (۱).

۳- و سأل سليمان اليشكرى جابر بن عبد اللّه عن إقصار الصلاه أى يوم أنزل؟.

فقال جابر بن عبد اللّه: و عير قريش آتيه من الشام، حتى إذا كنا بنخل ... ثم ذكر ما جرى، و صلاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم بهم صلاه الخوف، ثم قال: فأنزل اللّه فى إقصار الصلاه (۲).

و لكن قال ياقوت: إن نخلا (موضع بنجد، من أرض غطفان مذكور فى غزاه ذات الرقاع) (۳).٠.

۱- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۱ و ۲۱۳ عن المصادر التاليه: عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و أبى داود، و عبد بن حميد، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الدارقطنى، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى، و الترمذى، و ابن جرير. و عن البزار عن ابن عباس، و عن أبى عياش الزرقى، و أبى هريره، و مجاهد. و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۷ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۱ و نصب الرايه ج ۲ ص ۲۴۸، و مسند أحمد ج ۴ ص ۵۹ و فى هامش نصب الرايه عن سنن أبى داود ج ۲ ص ۱۱ و ۱۲ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۲۵۷ و راجع: سنن النسائى ج ۳ ص ۱۷۴ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۲۴۳ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۰۴/ ۵۰۵ و جامع البيان ج ۵ ص ۱۵۶ و سنن الدارقطنى ج ۲ ص ۵۹ و مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۳۳۷ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۳۲۶.

۲- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۱ عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و جامع البيان و بغيه الألمعى (مطبوع مع نصب الرايه) ج ۲ ص ۲۴۸ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۷۶.

۳- معجم البلدان- ط دار الكتب العلميه ج ۵ ص ۳۲۰.

و عن السمهودی، أنه قال: (حتی نزل نخلا، و هی غزوه ذات الرقاع) (۱).

و قال السمهودی أیضا: (و کأن أبا حاتم رأی اتحادهما، فلم یذکر ذات الرقاع.

و هی بنخل عند بعضهم، فلذلک لم یذکرها أیضا) (۲).

و نقول: إن هـذا اشـتباه واضـح، فإن نخلا إذا کانت بنجد لم یکن ثمه مناسـبه بینها و بین عیر قریش الآتیه من الشام، فالمراد إذن هو نخل التی من جهه الشام دون سواها.

۴- و عن مجاهد أنه قال بالنسـبه لصـلاه الخوف فی عسـفان: (فلم یصل رسول اللّه صـلی الله علیه و آله وسـلم صلاه الخوف قبل یومه، و لا بعده) (۳).

۵- عن جـابر قـال: غزا رسول اللّه صـلی الله علیه و آله وسـلم ست غزوات قبـل صـلاه الخوف، و کانت صـلاه الخوف فی السـنه السابعه (۴).

فالقول بأنها فی ذات الرقاع، و ذات الرقاع فی السنه الرابعه، لا یصح.

الروایه الاقرب إلی القبول:

و المعتمـد عنـدنا فی هـذا المجال هـو الروایـه الـتی رواهـا علی بن ابراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن الإمـام الصـادق علیه السلام:۸.

۱- بغیه الألمعی (مطبوع بهامش نصب الرایه) ج ۲ ص ۲۴۸ عن وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۸۱.

۲- وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۸۰.

۳- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ عن ابن أبی شیبه، و ابن جریر، و راجع جامع البیان، ج ۵ ص ۱۵۶.

۴- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ عن أحمد. و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۸.

(فإنها نزلت لما خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى الحديبيه، يريد مكه، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد فى ماءتى فارس كمينا يستقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم [فكان يعارض رسول اللّه] على الجبال.

فلما كان فى بعض الطريق، و حضرت صلاه الظهر، فأذن بلال، فصلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم بالناس.

فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم، و هم فى الصلاه لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، و لكن تجى ء لهم الآن صلاه أخرى هى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا فى الصلاه أغرنا عليهم.

فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم بصلاه الخوف فى قوله: (و إذا كنت فيهم الآيه ..) (۱).

و لا يعارض ذلك ما رواه ابن بابويه فى الفقيه بسند صحيح إلى عبد الرحمان بن أبى عبد اللّه: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بأصحابه صلاه الخوف فى ذات الرقاع؛ فإن هذه الروايه ليس فيها: أن جبرئيل قد نزل بصلاه الخوف آنئذ، و لا أن الآيه قد نزلت أيضا فى غزوه ذات الرقاع. و إن كان الإمام عليه السلام بعد أن ذكر كيفيه صلاته صلى الله عليه و آله وسلم بأصحابه صلاه الخوف، قد أورد الآيه، مظهرا بذلك موافقه فعل النبى صلى الله عليه و آله وسلم لمضمونها، فراجع (۲).

فتشريع صلاه الخوف قد كان فى الحديبيه التى كانت فى سنه ست ثم صلاها صلى الله عليه و آله وسلم مره أخرى بأصحابه فى غزوه ذات الرقاع، التى كانت فى السنه السابعه حسبما قدمنا.ن.

۱- البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۱۱.

۲- البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۱۱ و من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۴۶۰ ط جماعه المدرسين.

کیفیه صلاه الخوف:

اشاره

قد اختلفت روایاتهم فی کیفیه صلاه الخوف التی صلاها رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی مغازیه، حتی لیقول البعض:

(قد رویت صلاه الخوف علی سته عشر صوره کلها سائغ فعله) (۱).

و قال آخر: (و رواء ذلک من الکیفیات المتباینات، و الخلافات المتعددات بحسب اختلاف الروایات، ما یطول ذکره، و یعز حصره) (۲).

و قد أغنانا ذلک عن ذکر التناقضات الکثیره و الاختلافات الفاحشه بین الروایات المختلفه.

و الحل الأمثل هو الرجوع إلی أهل بیت النبوه، و معدن الرساله، فإنهم هم أحد الثقلین اللذین لن یضل من تمسک بهما، و هم سفینه نوح، من رکبها نجا، و من تخلف عنها غرق و هوی. و قد ذکروا أن صلاه الخوف فی ذات الرقاع کانت قصرا (۳).

صلاه الخوف فی غزوه الخندق:

و قد زعم البعض: أن صلاه الخوف لم تکن شرعت فی غزوه الخندق، و إلا لکان صلاها حینئذ، لأنهم حبسوه عن صلاه الظهرین و العشاءین فصلاهن جمیعا. و ذلک قبل نزول صلاه الخوف (۴).۷.

۱- سیره مغلطای ص ۵۳/ ۵۴ و راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۳ و شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۴ و راجع: التنبیه و الإشراف ص ۲۱۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۲۷.

۲- بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۳.

۳- البرهان فی تفسیر القرآن ج ۱ ص ۴۱۱.

۴- راجع: زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۰ و راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۳۲۷.

و نقول:

إن هذا الاستدلال لا يصح، إذ لعل العدو كان فی جهه القبله فصلاها المسلمون إيماء أو كان الوضع الحربی لا يسمح بالصلاه جماعه بسبب تلاحم المقاتلين، و المناوشه بينهم، حيث يكفی فی هذه الحاله التهليل و التسبيح، و التحميد، و الدعاء، كما حدث فی صفين ليله الهرير (۱).

و سيأتی عدم صحه ما يذكرون حول هذا الأمر فی موضعه إن شاء اللّه تعالی ..

صلاه الخوف لما ذا؟!:

و لربما يراود ذهن البعض سؤال عن السبب فی الإصرار علی الصلاه جماعه حتی فی حال الحرب، مع أن بالإمكان أن يصلی المسلمون فرادی متفرقين، مع الاحتفاظ بمواجهه العدو بالكثره العدديه فی ساحه القتال.

خصوصا مع اتساع الوقت لأداء الصلاه بصوره متواليه من العناصر، بحيث لا يخل ذلك بالحاله التی يتخذونها تجاه العدو بهدف إرهاقه. أو دفع شره.

و للإجابه علی هذا السؤال لا بد لنا من الإشاره إلی أن هذا أمر مقصود للّه عز و جل، لأنه يمثل مطلبا أساسيا فی أكثر من اتجاه.

فهو من جهه يمثل إصرار المسلمين علی الجهر بمعتقداتهم، و ممارسه حقهم بحريه التعبير عنها، و حريه ممارسه شعائرهم الدينيه.

رضی الناس ذلك أم غضبوا.

كما أنه يمثل إظهارا للالتزام بالقياده المثلی، و الاقتداء بها.

و التلاقی عليها و معها لتكون رمز وحده الأمه، من خلال وحده الهدف، ثم۲.

۱- البرهان ج ۱ ص ۴۱۱ و ۴۱۲.

وحده الموقف، و انتهاء بوحده المصير.

و من جهه أخرى، فإن هـذا المظهر العبادى الوحدوى التنظيمى و وحده الشعار، لا بد أن يثير لدى الأعداء أكثر من سؤال يرتبط بالموقف السياسى و العسكرى، الـذى يتخذه ذلك العدو، و يتحرك و يتعامل معهم على أساسه و من خلاله، حتى إذا ما راجع حساباته فى هـذا السبيل، فلسوف يجـد أنه لم يكن منطقيا، و لا منصـفا فى عـدائه لهم، و لا فى مواقفه منهم، التى اتخذها انطلاقا من عدم قناعته بما اقتنعوا به، أو فقل: من عدم قبوله بما هم عليه. فهل عدم اقتناع شـخص بأفكار، و معتقدات، و قناعات شـخص آخر، يعطيه الحق فى تدمير ذلك الشخص و استئصاله من الوجود؟! ..

و هـل إذا قـال هؤلاء: ربنـا اللّه، و ليس الصـنم الفلانى، يسـتحقون أن يواجهوا بالحرب و بالحرمان و بالقطيعه، و بجميع أشـكال الاضطهاد و التنكيل؟!.

إن صلاه الخوف هذه لسوف تقنع هذا العدو بالذات أن ما يحاربهم من أجله، و يصرون هم عليه، إنما يعنيهم هم أولا و بالذات، و ليس له هو حق فى اتخـاذ أى موقف سـلبى منهم لأجـل أمر يخصـهم و يرجع إليهم. ف (لا إكراه فى الـدين) فإن الـدين يقوم على أساس القناعات، و على أساس المشاعر، و عقد القلب، و إحساسه بالأمن، و استشعاره الإيمان.

و لا يمكن أن يفرض هذا على أحد. و لا يتحقق الإكراه فيه.

و لا يملك أحد أن يصادر حريه الآخرين فى أن يعتقدوا ما شاؤا.

و لا يمكنه أن يمنعهم من ممارسه كثير مما يريدون ممارسته.

بل إن هـذا يخضع للمنطق و للبرهان و للدليل أولا. مع إعطاء دور رئيس لتكوّن عامل الثقه، و الصـراحه و الصدق و الانصاف، و الحريه، و غير ذلك مما هو ضرورى فى مجال التحرك الواعى و المسؤول فى مجال

الدعوه لتحقیق الإستجابه الحقیقیه و الواعیه و المسؤوله.

فصلاه الخوف شعار، و موقف. و بلاغ. و دعوه. و تصمیم، و وحده.

و خلوص. و التفاف حول القیاده. و تربیه، و تعلیم. و تحدّ، ثم هی حرب نفسیه. و سلاح قاطع.

و لیس ثمه رساله أبلغ منها للعدو، لیعرف أن هؤلاء الناس، قد بلغوا من إصرارهم علی مواقفهم، و تمسکهم بمبادئهم، و فنائهم فیها، حدا یجعلهم یرون قضیتهم، و دینهم و دعوتهم، هی الأهم من کل شی ء، و أن حیاتهم، و کل شی ء یملکونه لا بد أن یکون لها و من أجلها، و فی سبیلها.

و هم یمارسون ذلک عملا، و یقدمون علی البذل و العطاء فی سبیله، بکل رضا و محبه، و صفاء و سخاء.

و من جهه ثانیه: إن ذلک یؤکد للإنسان المسلم مدی أهمیه الصلاه، حتی إنها لا تترک بحال، حتی للغریق المشرف علی التلف، و حتی للمقاتل الذی یواجه الأخطار الکبری علی حیاته و وجوده ..

و تأتی الصلاه فی هذه الحال بالذات- حال الخوف- لتربط الإنسان بمصدر الأمن، و السلام، و الطمأنینه للقلوب، و انسجام المشاعر و تلاقیها، لیعیش الإنسان فی الآفاق الملکوتیه روح الطهر و الخلوص. لیصبح قادرا علی التخلص مما یربطه بهذه الدنیا، و یشده إلی الأرض لیخلد إلیها، و یحجبه ذلک عن مصدر القدره، و عن الانطلاق فی رحابه، و فی آفاق ملکوته، و معاینه آلائه، و تلمسها، و التصدیق بها.

قصر الصلاه:

و قالوا: إن الصلاه قد قصرت فی غزوه ذات الرقاع (۱) حیث نزله.

۱- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و اکتفی فی السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۸ بالقول: بأن قصر الصلاه کان فی الرابعه.

قوله تعالی: و إذا ضربتم فی الأرض فلیس علیکم جناح أن تقصروا من الصلاه، إن خفتم أن یفتنکم الذین کفروا، إن الکافرین کانوا لکم عدوا مبینا (۱).

و نقول:

إن الکلام هنا فی عده جهات، نذکر منها ما یلی:

۱- تاریخ قصر الصلاه:

إن القول: بأن ذلک کان فی غزوه ذات الرقاع، یقابله الروایه التی تقول: إن ذلک قد کان فی غزوه عسفان.

فقد روی (عن مجاهد، فی قوله: لیس علیکم جناح أن تقصروا من الصلاه، قال: أنزلت یوم کان النبی، و المشرکون بضجنان، فتوافقوا فصلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم بأصحابه صلاه الظهر أربعا، رکوعهم و سجودهم، و قیامهم معا جمعا. فهمّ به المشرکون أن یغیروا علی أمتعتهم، و أثقالهم، فأنزل اللّه: فلتقم طائفه منهم معک.

فصلی العصر، فصف أصحابه صفین ثم کبر بهم جمیعا، ثم سجد الأولون لسجوده، و الآخرون قیام لم یسجدوا حتی قام النبی صلی الله علیه و آله وسلم ثم کبر بهم و رکعوا جمیعا، فتقدم الصف الآخر، و استأخر الصف المقدم، فتعاقبوا السجود کما فعلوا أول مره، و قصر العصر إلی رکعتین (۲)).

و نقول:

إن هذه الروایه صریحه فی أن آیه قصر الصلاه قد نزلت بعد أو حین تشریع صلاه الخوف، و ثمه روایات أخری یظهر منها أنهم یتحدثون عن۴.

۱- النساء/ ۱۰۱.

۲- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۰ عن عبد الرزاق، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم و جامع البیان ج ۵ ص ۱۵۶ و المصنف ج ۲ ص ۵۰۴.

آیه القصر و یقصدون منها صلاه الخوف فقط (۱)، و لعل هذا قد نشأ عن کونهما قد نزلتا فی زمان واحد.

و قـد تقـدم أن صـلاه الخوف قـد شـرعت فی الحدیبیه، ثم صـلاها النبی صـلی الله علیه و آله وسـلم فی ذات الرقاع، التی کانت بعدها، فمعنی ذلک: أن قصر الصلاه قد شرع فی الحدیبیه أیضا. أو بعدها. و ذلک واضح لا یحتاج إلی بیان ..

لکن ثمه روایه تقول: إن نزول الآیه، و تشـریع صـلاه القصـر قد کان قبل نزول آیه صـلاه الخوف بسـنه؛ فشـرّع القصر علی لسان رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم، حین سأله تجار یضربون فی الأرض عن کیفیه صلاتهم، فراجع (۲).

فیکون تشریع القصر، قبل غزوه الحدیبیه بسنه!

القصر فی حالتی الأمن و الخوف:

و من الأمور التی تساءل بعض الناس عنها هو: أن آیه القصـر إنما تتحـدث عن إیجاب القصـر بشـرط خوف الفتنه من قبل الذین کفروا، مع أن القصر ثابت مع خوف الفتنه و بدونه.

و قد حاول البعض الهروب من هذا الإشکال بدعوی: أن القصر لم یذکر فی القرآن أصلا (۳).۱:

۱- راجع الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۰ عن عبد الرزاق عن طاووس، و ابن جریر، و ابن أبی حاتم عن السدی و المصـنف ج ۲ ص ۵۱۷ و غیرها و جامع البیان ج ۵ ص ۱۵۴.

۲- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ و جامع البیان ج ۵ ص ۱۵۵ عن علی علیه السلام، و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۲۸.

۳- سنن النسائی ج ۳ ص ۱۱۷ و سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۳۶ و سنن ابن ماجه ج ۱:

و بعض آخر، كعائشه، و سعد بن أبى وقاص، ادعوا: أن الواجب هو القصر فى حال الخوف فقط، أما فى حال الأمن، فكانا يتمان فى السفر (۱). و روى عن عائشه خلاف ذلك أيضا (۲).

و قد يحلو للبعض أن يدعى: أن القرآن قد نسخ بالسنه، حيث إن القرآن نص على القصر فى حاله الخوف، ثم نسخ ذلك بقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، حيث جعله صلى اللّه عليه و آله فى مطلق السفر (۳).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

و نقول:

إن مجرد كون القرآن قد نص على القصر فى مورد خوف الفتنه، ثم جاء تعميم ذلك إلى مطلق السفر على لسان النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، لا يوجب اعتبار ذلك من قبيل نسخ القرآن بالسنه، إذ قد يكون القرآن قد ذكر لهم ما كان محلا لابتلائهم، أو أورد ذلك مورد الغالب؛ فإذا كان القرآن قد بين قسما٨.

۱- راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۱۱۰ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و نصب الرايه ج ۲ ص ۱۱۸ و ۱۸۹ و نيل الأوطار ج ۳ ص ۲۴۹ و راجع: الجامع الصحيح ج ۲ ص ۴۳۰ و عن عائشه فى المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۱۵ و راجع أيضا: الأم ج ۱ ص ۱۵۹.

۲- راجع: الأم ج ۱ ص ۱۵۹ و صحيح مسلم ج ۲ ص ۱۴۲ و ۱۴۳ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۵۱۵. و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۰ عن بعض من تقدم و عن البخارى، و مالك، و عبد بن حميد، و أحمد، و البيهقى فى سننه.

۳- راجع: بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸.

مما يجب فيه القصر، ثم بينت السنه باقى الموارد، فليس ذلک من قبيل النسخ، بل هو إما من باب إلقاء الخصوصيه، أو من باب التعميم، و التتميم، إذ ليس فيه إلغاء للحكم الثابت بالقرآن.

و قد أشارت الروايات إلى ذلک أيضا، فقد روى: أن يعلى بن أميه قال لعمر بن الخطاب: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاه إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، و قد أمن الناس.

فقال له عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم عن ذلك؛ فقال: صدقه تصدق اللّه بها عليكم، فاقبلوا صدقته (۱).

و عن أبى العاليه، قال: سافرت إلى مكه، فكنت أصلى بين مكه و المدينه، ركعتين، فلقينى قراء أهل هذه الناحيه، فقالوا: كيف تصلى؟!

قلت: ركعتين.

قالوا: أسنه، أو قرآن؟!

قلت: كلّ، سنه، و قرآن. صلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ركعتين.

قالوا: إنه كان فى حرب.

قلت: قال اللّه: لقد صدق اللّه رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن۹.

۱- الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ عن ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و أحمد و مسلم و النسائى و أبى داود، و الترمذى، و ابن ماجه، و ابن الجارود، و ابن خزيمه، و الطحاوى، و ابن جرير ج ۵ ص ۱۵۴ و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و النحاس فى ناسخه، و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ۶ ص ۴۴۸ و ۴۵۰ و نصب الرايه ج ۲ ص ۱۹۰ و صحيح مسلم- باب صلاه المسافر ج ۲ ص ۱۴۳ و سنن أبى داود ج ۲ ص ۳ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۱۷۶ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۵ و ۳۶ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و الجامع الصحيح (كتاب التفسير) ج ۵ ص ۲۴۲/ ۲۴۳. و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۳۴ و ۱۴۰ و ۱۴۱ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۳۵۴ و مصابيح السنه ج ۱ ص ۴۶۰ و شرح معانى الآثار ج ۱ ص ۴۱۵ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۷ و الأم ج ۱ ص ۱۵۹.

المسجد الحرام، إن شاء اللّه آمنین، محلقین رؤوسکم، و مقصرین، لا تخافون.

و قال: و إذا ضربتم فی الأرض، فلیس علیکم جناح أن تقصروا من الصلاه. فقرأ حتی بلغ: فإذا اطمأننتم) (۱).

إتمام عثمان للصلاه فی منی و عرفات:

و من الأمور التی طعن بها الصحابه و المسلمون علی عثمان بن عفان (۲): أنه أتم الصلاه بمنی و بعرفات، فخالف بذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، الذی قصر الصلاه فیهما. و کذلک أبو بکر و عمر، و عثمان نفسه عده سنوات أیام خلافته (۳).

الصامدون، و المتزلفون:

۱- جامع البیان ج ۵ ص ۱۵۵ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۰۹ عنه و الأم ج ۱ ص ۱۵۹ و نیل الأوطار ج ۳ ص ۲۴۷.

۲- تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۲۲ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و أحکام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۲۵۴.

۳- راجع: صحیح البخاری ج ۱ ص ۱۲۶ و ۱۸۹ و صحیح مسلم ج ۲ ص ۱۴۵ و ۱۴۶ و الموطأ (مطبوع مع تنویر الحوالک) ج ۱ ص ۳۱۴ و الکامل لابن الأثیر ج ۳ ص ۱۰۳ و نصب الرایه ج ۲ ص ۱۹۲ و ۱۸۷ و سنن النسائی ج ۳ ص ۱۲۰ و ۱۱۸ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۷۸ و ج ۲ ص ۱۴۸ و المصنف للصنعانی ج ۲ ص ۵۱۶ و ۵۱۸ و سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۳۶ و ۱۲۶ و ۱۴۴ و ۱۵۳ و سنن أبی داود ج ۲ ص ۱۹۹ و الأم ج ۷ ص ۱۷۵ و ج ۱ ص ۱۵۹ و نیل الأوطار ج ۳ ص ۲۴۹ و المحلی ج ۴ ص ۲۷۰ و الجامع الصحیح ج ۲ ص ۲۲۸ و ۲۳۰ و ج ۳ ص ۲۲۹ و کنز العمال ج ۸ ص ۱۵۱ و ۱۵۲ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۵۴ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۲۲ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۳۵۴ و ج ۲ ص ۵۵ و ۵۶ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹، و الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۱۰۳ و الغدیر ج ۸ ص ۹۹ فما بعدها.

و قـد كان ابن عمر بعـد أن يتم خلف عثمان، يعيـد صـلاته بعد أن يرجع إلى بيته (۱) أما ابن مسـعود الذى اعترض على عثمان، لفعله ذاک، فإنه عاد فصار يصـلى أربعا، بحجه أن الخلاف شر (۲) و کـذلک تماما کان من عبد الرحمان بن عوف، فإنه ناقش عثمان أولا، ثم تابعه و عمل بعمله أخيرا (۳).

و لكن عليا أمير المؤمنين عليه السلام وحده الذى أصر على الرفض، فقد روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال:

اعتل عثمان و هو بمنى، فأتى على، فقيل له: صل بالناس.

فقال: إن شئتم صليت لكم صلاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، يعنى ركعتين.

قالوا: لا، إلا صلاه أمير المؤمنين- يعنون عثمان- أربعا. فأبى (۴).

معاويه و الأمويون، و سنه عثمان:

و لكن معاويه حين قـدم حاجا صـلى الظهر ركعتين، فجاءه مروان بن الحكم، و عمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمک بأقبح مما عبته به.

فقال لهما: و ما ذاک؟!٠.

۱- المحلی ج ۴ ص ۲۷۰ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالک) ج ۱ ص ۱۶۴.
۲- الأم ج ۱ ص ۱۵۹ و ج ۷ ص ۱۷۵ و سنن البيهقى ج ۳ ص ۱۴۴ و الغدير ۸ ص ۱۰۰ عنهم و صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۲۶ و البدايه و النهايه ج ۷ ص ۱۵۴ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۶ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۴.
۳- تاريـخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۰۲ و أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و البدايه و النهايه ج ۷ ص ۱۵۴ و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۱۴۰ و الغدير ج ۸ ص ۹۸- ۱۰۲ عنهم.
۴- المحلی ج ۴ ص ۲۷۰ و حاشيه ابن التركمـانى على سـنن البيهقى مطبوعه بهامش السـنن ج ۳ ص ۱۴۴. و الغـدير ج ۸ ص ۱۰۰.

قال: فقال له: ألم تعلم أنه أتم الصلاه بمكه.

قال: فقال لهما: و يحكما، و هل كان غير ما صنعت. قد صليتهما مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و مع أبی بكر، و عمر رضی اللّه عنهما.

قالا: فإن ابن عمك قد أتمها. و إن خلافك إياه له عيب.

قال: فخرج معاويه إلى العصر، فصلاها بنا أربعا) (۱).

و قال ابن عباس، بعد أن ذكر صلاه عثمان شطرا من خلافته قصرا، (ثم صلاها أربعا، ثم أخذ بها بنو أميه) (۲).

أعذار لا تصح:

قد ذكروا أعذارا كثيره للخليفه، و نحن نختار منها نموذجا، و نحيل القاری ء فی الباقی إلی المصادر فنقول:

۱- لقد اعتذر الخليفه نفسه بأنه إنما فعل ذلک لأنه تأهل بمكه لما قدمها (۳).

و قال العسقلانی: (هذا الحديث لا يصح لأنه منقطع، و فی رواته من لا يحتج به، و يرده إلخ ..) (۴).٠

۱- مسند أحمد ج ۴ ص ۹۴ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۱۵۶ و عن أحمد و الطبرانی، و قال: رجال أحمد موثقون.
۲- الغدير ج ۸ ص ۱۰۱ كنز العمال ج ۸ ص ۱۵۴ عن عبد الرزاق و الدارقطنی.
۳- فتح الباری ج ۲ ص ۴۷۰ عن أحمد و البيهقی و مسند أحمد ج ۱ ص ۶۲ و أنساب الأشراف ج ۵/ ۳۹ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۱۵۶ و تاريخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۲۲ و البدايه و النهايه ج ۷ ص ۱۵۴ و الكامل فی التاريخ ج ۳ ص ۱۰۳ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹ و فيه أنه كان قد تأهل بمنی و أحكام القرآن ج ۲ ص ۲۵۴.
۴- فتح الباری ج ۲ ص ۴۷۰.

و یرده أیضا: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم کان یسافر بزوجاته، و یقصر (۱).

و قال العلامه الأمینی: (ما المسوغ له ذلک، و قد دخل مکه محرما؟

و کیف یشیع المنکر، و یقول: تأهلت بمکه مذ قدمت؟ و لم یکن متمتعا بالعمره- لأنه لم یکن یبیح ذلک أخذا برأی من حرمها کما یأتی تفصیله- حتی یقال: إنه تأهل بین الإحرامین، بعد قضاء نسک العمره، فهو لم یزل کان محرما من مسجد الشجره، حتی أحل بعد تمام النسک بمنی) .. إلی أن قال:

(و قد صح من طریق عثمان نفسه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم من قوله: (لا ینکح المحرم، و لا ینکح، و لا یخطب) (۲). ثم ذکر رحمه اللّه نصوصا أخری حول عدم جواز التزوج حال الإحرام فلتراجع (۳).

هذا بالإضافه إلی أنه لا معنی للحکم بالإتمام للمسافر إذا تزوج امرأه فی بلد ما لأن المرأه هی التابعه للرجل و لیس العکس.

و لو کان حکم عثمان الإتمام لأنه تزوج امرأه هناک، فلماذا یتم سائر الناس الذین یأتمون به؟! و لماذا یصر علی علی علیه السلام بالإتمام حینما أراده علی الصلاه مکانه؟!

و لماذا یصرون علی معاویه بالعمل بسنه عثمان، ثم یستمر بنو أمیه علی ذلک؟!۵.

۱- راجع المصدر السابق.

۲- ذکر فی الغدیر ج ۸ ص ۱۰۴، المصادر التالیه: الموطأ ج ۱ ص ۳۲۱ و فی طبعه أخری ۲۵۴ و الأم ج ۵ ص ۱۶۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۵۷ و ۶۴ و ۶۵ و ۶۸ و ۷۳ و صحیح مسلم ج ۱ ص ۹۳۵ و سنن الدارمی ج ۲ ص ۳۸ و سنن أبی داود ج ۱ ص ۲۹۰ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۶۰۶ و سنن النسائی ج ۵ ص ۱۹۲ و سنن البیهقی ج ۵ ص ۶۵ و ۶۶.

۳- الغدیر ج ۸ ص ۱۰۴ و ۱۰۵.

و لماذا یصلی ابن مسعود و عبد الرحمان بن عوف بأصحابه تماما- لأن الخلاف شر؟!

و لماذا؟. و لماذا؟! ...

۲- و ثمه عذر آخر، و هو أنه إنما أتم فی منی و عرفه، لأنه کان له مال بالطائف (۱).

و هو اعتذار لا یصح أیضا، لأن وجود ملک أو دار فی مکه فضلا عن الطائف لا یوجب الإتمام. و قد قصر الصحابه الذین حجوا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و لم یأمرهم النبی صلی الله علیه و آله وسلم بالإتمام، و لا أتموا بعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم (۲).

هذا بالإضافه إلی أن الذین ائتموا به لم یکن کلهم له أملاک هناک.

و لماذا یصر هو علی علی (ع)، و یصر بنو أمیه علی الإتمام بعد ذلک. و لماذا؟! و لماذا؟!

۳- و اعتذر أیضا بأنه خاف أن یظن أهل الیمن و الأعراب المقیمون:

أن الصلاه للمقیم رکعتان (۳).

و لکن هذا العذر غیر مقبول أیضا، إذ قد کان یمکن تعلیم الناس۸.

۱- أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۲۲ و الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۱۰۳ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۵۴ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۱۴۰ و سنن أبی داود ج ۲ ص ۱۹۹.

۲- الأم ج ۱ ص ۱۶۵ و سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۵۳.

۳- راجع: أنساب الأشراف ج ۵ ص ۳۹ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۲۲ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۵۴ و الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۱۰۳ و سنن أبی داود ج ۲ ص ۲۰۰ و سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۴۴ و نیل الأوطار ج ۲ ص ۲۶۰ و کنز العمال ج ۸ ص ۱۵۲ عن البیهقی و ابن عساکر و الغدیر ج ۸ ص ۱۰۰ و المصنف ج ۲ ص ۵۱۸.

علی الحکم الشرعی بأسلوب آخر ..

کما أن هذا الفعل قد یوجب أن یظن أهل الیمن. و الأعراب: أن الصلاه فی السفر أربع رکعات.

أضف إلی ذلک: أن رسول اللّه لم یفکر فی تعلیم الناس بهذه الطریقه، مع أنه کان یوجد فی زمنه أعراب، و کان أهل الیمن یحجون فی عهد أسلاف عثمان أیضا.

و قد قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم لأهل مکه، بعد أن صلی رکعتین: (أتموا الصلاه یا أهل مکه فإنا سفره أو قال: یا أهل البلد صلوا أربعا فإنا سفر) (۱).

و روی أن عمر أیضا کان یفعل، و یقول ذلک فراجع (۲).

۴- إن منی أصبحت قریه و صار فیها منازل، فتأول عثمان أن القصر إنما هو فی حال السفر (۳).

و نقول:

معنی هذا أن عثمان کان لا یعرف حکم القصر، و أنه کان یظن أن القصر إنما یجب فی حال المشی فی الصحراء فقط، فإذا بلغ المسافر قریه و نزل فیها، فإنه یتم حینئذ، مع أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد قصر فی مکه نفسها، و قد کانت مکه بلدا کبیرا و معمورا أکثر من منی و عرفات بمراتب.

۵- إنه أقام بها ثلاثا و المقیم یتم (۴).۹.

۱- سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۳۶ و ۱۵۷ و أحکام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۲۵۴.
۲- سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۲۶ و المحلی ج ۵ ص ۱۸ و الموطأ ج ۱ ص ۱۶۴ و فتح الباری ج ۲ ص ۴۷۰.
۳- زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.
۴- زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

و هو عذر واه، إذ أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد أقام فی مکه ما یقرب من عشره أیام، و لم یزل یصلی فیها قصرا (۱).

۶- إنه کان قد نوی الإقامه بعد الحج، و الاستیطان بمنی و اتخاذها دار الخلافه ثم بداله بعد ذلک (۲).

و علی حسب نص آخر: إنه قد نوی الإقامه بعد الحج (۳).

و الجواب عن ذلک:

أولا: ما قاله العسقلانی من أن سنده مرسل.

و ثانیا: إن الإقامه فی مکه علی المهاجرین حرام (۴).

و ثالثا: و لو صح ذلک أیضا، فلماذا یتم سائر الناس؟.

و لماذا یقتدی به الأمویون؟.

و لماذا یصر هو علی علی (ع)، بالإتمام؟! و لماذا کان قصر معاویه عیبا له، و لماذا؟ و لماذا؟!.

۷- إن الإمام حیث نزل فهو عمله و محل ولایته، فکأنه وطنه (۵).

و الأسئله الآنفه الذکر آتیه هنا. هذا بالإضافه إلی أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم کان إمام الخلائق، فلماذا لم یتم (۶) و قد قصر أبو بکر و عمر، و عثمان نفسه شطرا من ولایته.۹.

۱- راجع: الغدیر ج ۸ ص ۱۰۸ و ۱۰۹.
۲- الغدیر ج ۸ ص ۱۰۹ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.
۳- راجع: فتح الباری ج ۲ ص ۴۷۰ و نیل الأوطار ج ۳ ص ۲۶۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۲۵. و المصنف ج ۲ ص ۵۱۶ و سنن أبی داود ج ۲ ص ۱۹۹.
۴- راجع المصادر فی الهامش الآنف الذکر.
۵- راجع: الغدیر ج ۸ ص ۱۰۹ و فتح الباری ج ۲ ص ۴۷۰ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.
۶- فتح الباری ج ۲ ص ۴۷۹ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۲۹.

۸- إن التقصير فی السفر رخصه لا عزیمه (۱) کما اعتذر به المحب الطبری.

و نقول:

أولا: إن ذلک لا یصح، بسبب ورود أحادیث کثیره داله علی أن التقصیر فی السفر حکم إلزامی، و لا یجزی الإتمام عنه، بل لا بد من إعاده الصلاه لو صلی تماما فی موضع القصر عمدا (۲).

و ثانیا: لو کان ذلک رخصه فلماذا یصر عثمان علی الإتمام، حینما طلب من علی أمیر المؤمنین أن یصلی بالناس؟! و لماذا یصر الأمویون بعد ذلک علی العمل بسنه عثمان، و ترک سنه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؟!.

و ثالثا: لماذا یصر عثمان علی الإتمام فی هذا المورد بالذات، دون سائر الأسفار؟.

و لماذا ینکر علیه الصحابه ذلک، و یعترضون علیه فیه.

و لماذا لم یعتذر هو بهذا العذر لهم بالذات لیسکتهم عنه. بل اعتذر عن ذلک بأنه رأی رآه (۳).

التقصیر رخصه أم عزیمه:

قد تخیّل البعض أن القصر فی السفر رخصه، و لعل منشأ فهمهم هذا هو أن الآیه قد قررت ذلک بعباره: (لیس علیکم جناح أن تقصروا).

قال العامری:۴.

۱- الریاض النضره ج ۳ ص ۱۰۰.

۲- راجع: الغدیر ج ۸ ص ۱۱۰- ۱۱۶.

۳- راجع: تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۲۲ و الغدیر ج ۸ ص ۱۰۱ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۱۴۰ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۵۴ و الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۱۰۳ و ۱۰۴.

(ظاهرها يدل على أن رخصته مشروطه بالخوف، و دلت السنه على الترخيص مطلقا ... إلى أن قال:

ثم لا يبعد أن يبيح اللّه الشى ء فى كتابه بشرط، ثم يبيحه على لسان نبيه بانحلال ذلك الشرط، الخ) (۱).

و قد قال بعض الفقهاء بأن التقصير رخصه، فراجع (۲).

و لكن هذا التخيل مردود.

أولا: للأخبار الكثيره الداله على أن التقصير فى السفر عزيمه، و ليس رخصه. و كلام الرسول مفسر للقرآن، و مبين لمعناه، و قد ذكر العلامه الأمينى رحمه اللّه طائفه منها (۳).

و ثانيا: لقد كان من الواضح: أن الكثيرين سوف لن تطيب نفوسهم بترك ركعتين من الصلاه، و يرون فى هذا الأمر تضييعا للأهداف الإلهيه، و تساهلا فى امتثال أوامره تعالى. فجاء التعبير بلا جناح ليدفع هذا الوهم، و ليطمئنهم إلى أنه لا غضاضه عليهم، لو فعلوا ذلك، و لا نقص و لا حرج فيه.

نزول آيه التيمم:

و قالوا: فى هذه الغزوه نزلت آيه التيمم (۴).۸.

۱- بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۲۷.

۲- راجع كنز العرفان ج ۱ باب صلاه الخوف، و القصر فى السفر، و غير ذلك من كتب الفقه.

۳- راجع كتاب: الغدير ج ۸. تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۵ و ۲۷۸ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱.

۴- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۸.

و قیل: بل شرع التیمم فی غزوه بنی المصطلق. و قیل: فی غزوه أخری (۱).

و نحن نرجی ء الحدیث عن ذلک إلی غزوه بنی المصطلق؛ فإلی هناک.۸.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۸.

الفصل الثالث: عظات و کرامات أو سیاسات إلهیه

اشاره

ماذا فی هذا الفصل؟!:

و هذا الفصل یتعلق ببعض ما یقال: إنه حصل فی ذات الرقاع، و هی الأمور التالیه:

۱- إلقاء الأضواء علی قضیه شراء النبی صلی الله علیه و آله وسلم جملا من جابر بن عبد اللّه الأنصاری، و ذلک فی طریق العوده من هذه الغزوه، و ظهور کرامه للنبی صلی الله علیه و آله وسلم بالنسبه لاستعاده ذلک الجمل قوته، بعد أن کان فی آخر الرکب.

ثم سوّغ صلی الله علیه و آله وسلم جابرا الجمل و ثمنه. بالإضافه إلی حدیث جری بین النبی صلی الله علیه و آله وسلم و جابر فی طریق العوده إلی المدینه .. ثم إلقاء الأضواء علی القیمه الحقیقیه لهذین الحدثین بالمقدار الذی یسمح لنا به المجال.

۲- ثم نتحدث عن قضیه أخری لجابر مع النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم، ترتبط بقضاء دین کان علی عبد اللّه والد جابر، و هی قضیه مثیره و قد تحدثنا عن بعض دلالاتها الهامه بصوره موجزه أیضا.

۳- و نذکر أیضا ما قاله النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی هذه الغزوه، حینما جاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أحد أبویه حتی طرح نفسه بین یدی الذی أخذ فرخه، و ألقینا الأضواء علی هذه الحادثه حسبما اقتضته المناسبه.

۴- ثم تکلمنا عن قصه أخری یقال: إنها حدثت فی هذه الغزوه

حیث جاءت أعرابیه إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم بابن لها، لیعالجه، فاستجاب صلی الله علیه و آله وسلم لطلبها، مع الماحه إلی بعض دلالات هذه القضیه بصوره موجزه أیضا ..

۵- ثم نشیر إلی قصه أخری فی هـذه الغزوه ظهرت فیها کرامه للنبی صـلی الله علیه و آله وسـلم ، حیث أکل أصـحابه من ثلاث بیضات نعام، و شبعوا. و البیض فی القصعه کما هو. مع إشاره موجزه إلی بعض ما یستفاد من هذا الحدث.

۶- و ینتهی بنا المطاف إلی الحـدیث عن قضـیه أخری یقال: إنها قـد حدثت فی هذه الغزوه، و هی قصه ذلک الجمل الذی جاء یستعدی علی صاحبه، فبادر النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی تفریج کربه، و حل مشکلته.

۷- ثم اسـتطردنا إلی الحدیث عن الکرامات و المعجزات و عن لزوم معرفه النبی صـلی الله علیه و آله وسـلم بلغات البشر، و ظهر لنـا: أن ذلـک کلـه و سـواه من التصـرفات المتمیزه و الملفته إنمـا هی مقتضـیات طـبیعیه لقیـادته صـلی الله علیه و آله وسـلم - و کذلک الإمام علیه السلام- لمسیره البشریه نحو کمالها المنشود، و نحو تحقیق الأهداف الإلهیه من الخلق کله ..

و قد اقتضی ذلک أن نشیر بصوره موجزه إلی جهات أخری ترتبط بهذا البحث أو تنتهی إلیه. فإلی ما یلی من مطالب.

و من اللّه نستمد العون، و القوه، و هو الهادی إلی سواء السبیل.

جمل جابر:

یقول المؤرخون: إن النبی صـلی الله علیه و آله وسلم و هو فی طریقه إلی المدینه اشتری من جابر جملا بأوقیه، و اشترط له ظهره إلی المدینه، و استغفر له فی الطریق خمسا و عشرین مره. و فی الترمذی سبعین مره. زاد ابن سعد:

و سأله عن دین أبیه فأخبره به (۱).۱.

۱- تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۴ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۳ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱.

و تفصیل ذلک:

أن جابرا کان علی جمل ثقال فی سفر، فی آخر القوم؛ فمر به النبی صلی الله علیه و آله وسلم . فقال: من هذا؟

فقلت: جابر بن عبد اللّه.

قال: فمالک؟

قلت: إنی علی جمل ثقال.

قال: أمعک قضیب؟

قلت: نعم.

قال: أعطنیه، فضربه، فزجره؛ فکان من ذلک المکان من أول القوم.

قال: بعینه.

قلت: بل هو لک یا رسول اللّه.

قال: بل بعینه؛ فقد أخذته بأربعه دنانیر، و لک ظهره إلی المدینه.

فلما قدمت المدینه. قال: یا بلال، اقضه و زده. فأعطاه أربعه دنانیر و زاده قیراطا.

قال جابر رضی اللّه عنه: و أعطانی الجمل و سهمی مع القوم (۱).

و فی لفظ عن جابر قال: دخل النبی صلی الله علیه و آله وسلم المسجد، فدخلت إلیه، فعلفت الجمل فی ناحیه البلاط، فقلت: یا رسول اللّه، هذا جملک.۶.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۳ و راجع دلائل النبوه لأبی نعیم ص ۳۷۵ و ۳۷۶ و راجع: الثقات ج ۱ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و راجع السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۸ و أشار الذهبی إلی قصه الجمل فی تاریخ الإسلام. و راجع: نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و راجع: المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۷ و راجع: السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۶ و لا بأس بمراجعه صحیح مسلم ج ۴ ص ۱۷۶.

فخرج صلى الله عليه و آله وسلم فجعل يطوف بالجمل، قال: الثمن و الجمل لک (۱).

و حسب نص آخر، قال جابر: (و تحدثت مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فقال لی: أتبيعنی جملک هذا يا جابر؟

قال: قلت: يا رسول اللّه، بل أهبه لک.

قال: لا، و لكن بعنيه.

قال: قلت: فسمنيه يا رسول اللّه.

قال: قد أخذته بدرهم.

قال: قلت: لا، إذن تغبننی يا رسول اللّه.

قال: فبدرهمين.

قال: قلت: لا.

قال: فلم يزل يرفع لی رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فی ثمنه، حتى بلغ الأوقيه.

قال: قلت: فقد رضيت يا رسول اللّه؟

قال: نعم.

قلت: فهو لک.

قال: قد أخذته.

ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ (۲).

قال: قلت: نعم، يا رسول اللّه.

قال: أثيبا أو بكرا؟!

قلت: لا بل ثيبا.

قال: أفلا جاريه تلاعبها و تلاعبک.

قال: قلت: يا رسول اللّه، إن أبی أصيب يوم أحد، و ترک بنات لهه.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۳.

۲- فی الواقدی ذکر هذه المحادثه بعد قصه شرائه الجمل منه.

سبعا (۱)؛ فنكحت امرأه جامعه تجمع رؤوسهن، و تقوم عليهن.

قال: أصبت إن شاء اللّه. أما إنا لو قد جئنا صرارا (موضع على ثلاثه أميال من المدينه) أمرنا بجزور؛ فنحرت، و أقمنا عليها يومنا ذاك، و سمعت بنا، فنفضت نمارقها.

قال: قلت: و اللّه يا رسول اللّه ما لنا من نمارق.

قال: إنها ستكون؛ فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا.

قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بجزور فنحرت، و أقمنا عليها ذلك اليوم. فلما أمسى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم دخل و دخلنا.

قال: فحدثت المرأه الحديث، و ما قال لى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . قالت:

فدونك فسمع و طاعه.

قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . قال: ثم جلست فى المسجد قريبا منه.

قال: و خرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فرأى الجمل، فقال: ما هذا.

قالوا: يا رسول اللّه، هذا جمل جابر جاء به.

قال: فأين جابر؟

قال: فدعيت له. قال: يا ابن أخى، خذ برأس جملك فهو لك.

و دعا بلالا فقال له: إذهب بجابر فأعطه أوقيه.

قال: فذهبت معه فأعطانى أوقيه، و زادنى شيئا يسيرا. قال: فواللّهه.

۱- فى الواقدى: تسع بنات. و فى صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۷۶: و ترک تسع بنات أو سبع و فى شرح بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۸ تسعا أو ستا و جمع بين هاتين الروايتين بأن منهن ثلاث متزوجات، لم يعدهن فى روايه السته و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۱/ ۳۸۲ و ۳۸۳ و راجع صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۷۷ و ۱۷۶ و راجع صحيح البخارى ج ۲ ص ۷ و راجع: بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۸ و شرحه بهامش نفس الجزء و الصفحه.

ما زال ینمی عندی، و یری مکانه من بیتنا، حتی أصیب أمس فیما أصیب لنا. یعنی یوم الحره (۱).

و فی نص آخر: (ثم قدم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قبلی، و قدمت بالغداه؛ فجئت المسجد فوجدته علی باب المسجد، فقال: الآن حین قدمت؟

قلت: نعم.

قال: فدع جملک، و ادخل فصل رکعتین.

قال: فدخلت فصلیت رکعتین الخ) (۲).

ثم ذکر هبه النبی صلی الله علیه و آله وسلم الجمل، و ثمنه له.

و فی بعض روایات مسلم عن جابر: أن هذه القضیه قد حصلت له، و هم مقبلون من مکه إلی المدینه. (۳).

اختلافات الروایه فی مقدار ثمن الجمل:

إن المراجع لنصوص هذه الروایه یجد: أن فیها العدید من موارد الاختلاف، و التناقض، خصوصا فیما یرتبط بقیمه جمل جابر.

فقیل: اشتراه منه بأوقیه (۴) و هی أربعه دنانیر. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۸ ۳۳۲ اختلافات الروایه فی مقدار ثمن الجمل: ..... ص : ۳۳۹.

۱- السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۷ و ۲۱۸ و راجع المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۹۹- ۴۰۱ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۱ و ۱۶۲ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۶ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۶ و ۸۷.

۲- دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۸۲ و صحیح مسلم ج ۴ ص ۱۷۷ و صحیح البخاری ج ۲ ص ۷ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۸ و ۲۳۹.

۳- بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷.

۴- راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۳ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۹ و الروض الأنف ج ۳ ص ۳۵۵ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۹.

الشعبى) (١).

و قيل: بأوقيتين (٢) و قيل: بثلاث (٣) و قيل: بأربع (۴)، و قيل:

بخمس (۵)، و قيل: بست أواق (۶).

و قيل: بثمان مئه درهم (٧).

و قيل: بخمسه دنانير (٨).

و قيل: بدينارين و درهمين (٩).

و قيل بعشرين دينارا (١٠)

و حملها البعض على أنها كانت دنانير صغارا؟! (١١).

و قيل: بأربعه دنانير، بعد أن أعطاه درهما ممازحا له (١٢)

و هذا القول الأخير لا ينافى القول بأنه اشتراه بأوقيه، لأن ذلك فى معنى الأوقيه (١٣)۵.

١- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٢- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٣- راجع المصدر السابق.

۴- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣۵۵ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

۵- راجع: المصادر الثلاثه المتقدمه.

۶- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٧- المصدر السابق.

٨- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣۵۵.

٩- الروض الأنف ج ٣ ص ٣۵۵ عن صحيح مسلم.

١٠- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧۴ و بهجه المحافل ج ٢ ص ٢٣٧.

١١- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

١٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣۵۵.

١٣- راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٣۵۵.

الزياده المباركه:

و الروايات تصرح بأن النبى صلى الله عليه و آله وسلم زاد جابرا على ثمن جمله.

و تصرح بعض الروايات بأنه قد زاده قيراطا.

(فقال جابر: لا ـ تفارقنى زياده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم؛ فحفظه حتى أصيب منه يوم الحره. ففيه التبرك بآثار الصالحين) (۱).

تاريخ قصه جمل جابر:

قيل: إن قصه جمل جابر قد كانت فى غزوه ذات الرقاع حسبما تقدم.

و بعض الروايات تقتصر على القول بأنها كانت فى رجوعه من مكه إلى المدينه (۲).

و قيل: كانت فى رجوعه من غزوه تبوك (۳)، و هى متأخره عن غزوه ذات الرقاع.

و قد يناقش فى ذلك بأن سؤال النبى صلى الله عليه و آله وسلم له عن كونه قد تزوج أو، لا. و اعتذاره لتزوجه ثيبا بأنه قد لاحظ حال أخواته، اللواتى تركهن له أبوه المستشهد فى أحد، يدل على أنه إنما تزوج بعد مقتل أبيه فى أحد، و لم يؤخر ذلك إلى غزوه تبوك.

إلا أن يقال: إنه قد يكون تزوج أكثر من مره، و تكون مشكله أخواته موجوده فى المرتين. أو يكون قد تأخر زواجه طيله هذه المده، و إن كان ذلك بعيدا.۱.

۱- بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۴۰.

۲- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۳ و بهجه المحافل ج ۱ ص ۲۳۷.

۳- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۳ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱.

القيمه الحقيقيه لهذا الحدث:

و إننا حين نراجع قصه جمل جابر، فإننا نجد فيها:

۱- ملامح غنيه من الخلق الرفيع لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، لما انطوت عليه من لطف ورقه، و محبه و أريحيه ظاهره، تظهر لنا:

أن علاقاته صلى اللّه عليه و آله و سلم بأصحابه إنما كانت من منطلق الحب و العطف و الصفاء و الموده، مع إجلال منهم له و إكبار، و تقديس.

۲- إننا نجد الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى هذه القصه- كما هو فى غيرها- يعيش آلام الآخرين، و يشاركهم الشعور بها، و قد كان والد جابر بن عبد اللّه قد استشهد فى حرب أحد، و أصبح جابر هو المسؤول عن الأسره بعد أبيه، و كان عليه أن يختار للزواج امرأه تستوعب و تتفهّم الواقع الذى استجد نتيجه لذلك، و تشاركه فى معالجته بأحسن وجه و أتمّه.

و قد ظهرت رقه حال جابر، من الجهه الماليه و المعيشيه فى أن الجمل الذى أعده لهذه الأسفار البعيده و الشاقه كان من الضعف بحيث أصبح فى آخر الركب.

و لم يكن الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم بالذى يغفل عن تفقّد حال أصحابه، و الوقوف عليها عن كثب ليشاركهم حياتهم حلوها و مرّها.

و ها هو يجد جابرا على جمله الضعيف المكدود فى آخر الركب.

۳- إن من الملاحظ: أن الرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم كان يسير مع الناس، و فى أواخرهم أحيانا، فيعرف حال أصحابه فى مسيرهم ذاك بصوره أتم و أوفى، و لم يكن ليقتصر على حمله الأخبار إليه صلى اللّه عليه و آله و سلم، فكان يندفع للتعرف على الأمور بنفسه، و من دون أيه وسائط. ربما تؤثر التوجهات السياسيه و الارتباطات الاجتماعيه و غيرها

على مستوى دقتهم، و استيعابهم لسائر الخصوصيات التى يكون الوقوف عليها مفيدا بل و ضروريا فى كثير من الأحيان.

هذا كله لو فرض أن هؤلاء النقله على درجه من الحيطه الدينيه و الورع و الصفاء، و الوفاء. و قد لا يكون الكثيرون منهم كذلك بالفعل.

۴- قد لا حظنا: أن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم قد دخل مع جابر بأسلوب رضى و سليم- إلى حياته الخاصه، بل و إلى أعماقها، فعرف السر الذى لأجله أقدم جابر على التزوج بامرأه ثيب.

و عرف ما يعانى منه جابر من ضغط الظروف، و ما يتحمله من مسؤوليه نجمت عن فقد أبيه و وجود أخواته السبع.

ثم عرف أيضا: أن جابرا لا يملك شيئا من النمارق، أو غيرها مما يتنعم به المتنعمون.

ثم إنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يترك توصيه جابر بأن يعمل عملا كيسا، يتسم بالعقلانيه و التدبير.

كما أنه قد أفسح فى آماله، و طموحاته حينما أخبره: أن حالته لسوف تتغير، و تتحسن من الناحيه المعيشيه، و لسوف يملك حتى النمارق فى المستقبل، و ما عليه من أجل الحصول على ذلك، و الوصول إليه إلا أن يعمل عملا كيسا.

۵- إن عرض النبى على جابر شراء بعيره بطريقه فيها نوع من المداعبه له، ليفتح قلبه، و ليسقط حواجز الرهبه لديه، إنما أراد أن يجعل منه ذريعه لإيصال مال إليه، يستعين به على مصاعب الحياه، و على إحداث تغير أساسى فيها- و لكن بطريقه لا تبقى مجالا للتساؤل و لا للإعتراض من أحد. بخلاف ما لو بادر إلى تقديم هذا المال إلى جابر دون مبرر ظاهر.

۶- و لا نريد أن نترك الحديث عن هذه القضيه دون الإلماح إلى أن ذلك يعطينا درسا دقيقا و رائعا عن طبيعه العلاقات التى تربط بين القائد و الزعيه؛ فهى ليست علاقات السيد و المسود، و الأمير و المأمور، أو القوى و الضعيف، أو ما إلى ذلك.

و إنما هى علاقات الإنسان بالإنسان من خلال الإحساس بالمسؤوليه، و الواجب الإلهى و الإنسانى.

و نزيد ذلك توضيحا حين نقول: إن سلوك النبى صلى الله عليه و آله وسلم هذا من جهه ذاته ليس تواضعا منه و لا هو إحسان و تفضل فقط. و إنما هو مقتضى إنسانيته الكامله، و هو عمل بواجبه الإلهى، و الإنسانى.

و إن كان من جهه قياسه بما هو خارج عن مقام ذاته يعد من التواضع و الإحسان و التفضّل فى أعلى درجاتها، و أوضح تجلياتها.

وفقنا اللّه للسير على هدى النبوه، و التأسى برسوله الأكرم الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

كرامه، و تكريم:

قال الواقدى: و حدثنى إسماعيل بن عطيه بن عبد اللّه بن أنيس، عن أبيه، عن جابر بن عبد اللّه، قال:

لما انصرفنا راجعين (١)؛ فكنا بالشّقره، قال لى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : يا جابر، ما فعل دين أبيك؟!

فقلت: عليه، انتظرت يا رسول اللّه أن يجذّ نخله.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : إذا جذذت فأحضرنى.

قال: قلت: نعم.ع.

١- أى من غزوه ذات الرقاع.

ثم قال: من صاحب دين أبيك؟

فقلت: أبو الشحم اليهودى له على أبى سقه (جمع وسق) تمر.

فقال لى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : فمتى تجذها؟

قلت: غدا.

قال: يا جابر، فإذا جذذتها فاعزل العجوه على حدتها، و الوان التمر على حدتها.

قال: ففعلت، فجعلت الصيحانى على حده، و أمهات الجرادين على حده، و العجوه على حده، ثم عمدت إلى جماع من التمر، مثل نخبه، و قرن، و شقحه و غيرها من الأنواع، و هو أقل التمر، و جعلته حبلا واحدا، ثم جئت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فخبرته. فانطلق رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و معه عليه أصحابه، فدخلوا الحائط، و حضر أبو الشحم.

قال: فلما نظر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلى التمر مصنفا قال: اللهم بارك له.

ثم انتهى إلى العجوه؛ فمسّها بيده و أصناف التمر، ثم جلس وسطها، ثم قال: ادع غريمك. فجاء أبو الشحم.

فقال: اكتل.

فاكتال حقه كله من حبل واحد و هو العجوه، و بقيه التمر كما هو.

ثم قال: يا جابر، هل بقى على أبيك شى ء؟

قال: قلت: لا.

قال: و بقى سائر التمر؛ فأكلنا منه دهرا، و بعنا، حتى أدركت الثمره من قابل. و لقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما كان على أبى من الدين .. الخ (١).٢.

١- مغازى الواقدى ج ١ ص ۴٠١ و ۴٠٢.

مع الحدث فى دلالاته، و خصوصياته:

و فى وقفه قصيره مع هذا الحدث نلمح باختصار شديد إلى النقاط التاليه:

۱- إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم لا ينسى أولئك الصفوه الأبرار، الذين استشهدوا فى سبيل اللّه سبحانه، فيسعى لحل العقد و المشكلات التى ربما تكون لا تزال عالقه، و بحاجه إلى حل.

فها هو يريد إبراء ذممهم من حقوق الناس و ديونهم ما وجد إلى ذلك سبيلا، لكى تطيب سمعتهم و يذكرهم الناس بالإجلال و الإكبار، و من دون أى حزازه أو غضاضه.

ثم لتطيب نفوس أبنائهم، و أقاربهم، و يزول شعورهم بالحرج أمام الناس، و فى أنفسهم، حين يواجهون انفراجا فى حالتهم المعيشيه، التى تتسم بشى ء من الضيق و الصعوبه.

۲- رغم أن ذلك الدائن لعبد اللّه والد جابر، كان رجلا من اليهود، إلا أننا لم نجد ترددا من النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى أمر إرجاع المال إليه، و لا أخذ بنظر الاعتبار مواقف اليهود الحاقده على الإسلام و على المسلمين، و مؤامراتهم و كيدهم، و التى كان و لا يزال هو و المسلمون يعانون منها.

و قد يكون من أسباب ذلك، بالإضافه إلى أن هذا هو حكم الإسلام، و هذه هى أخلاقياته، حتى مع أعدى أعدائه، و هو ينطلق فى ذلك مما يملكه من قيم و مبادى ء إنسانيه و إلهيه ساميه و مقدسه هو:

أنه يريد بذلك: أن يقيم حركه التعامل فى ما بين الناس على أسس و ضوابط ثابته، يمكن للناس أن يعتمدوا عليها، و يرجعوا إليها و أن يطمئنوا إلى هذا الثبات فيها، ليمكنهم التحرك الفاعل و المؤثر بالفعل، و التخطيط

لبناء الحیاه فی المستقبل. إذ بدون هذا الثبات، و من دون وضوح ضوابط التعامل، فإن الحیاه تصبح قلقه، و غیر مشجعه للقیام بمبادرات ذات طابع حیوی و شمولی.

۳- إن والد جابر قد استشهد فی حرب أحد. و کانت هذه القضیه قد جرت حین رجوع النبی صلی الله علیه و آله وسلم من غزوه ذات الرقاع التی کانت بعد الحدیبیه، حسبما أثبتناه فیما سبق.

و معنی ذلک هو أنه قد مضت عده سنوات، و لم یستطع جابر أن یقضی دین أبیه، و لعله قد قضی شطرا من ذلک الدین فی السنوات و المواسم السابقه.

نعم تمضی عده سنوات، و لا ینسی النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم ذلک الدین، الذی لم یستطع جابر أن یتخلص منه، و لم تسنح الفرصه بعد لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أیضا للمبادره إلی ذلک!

۴- إن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد قبل أن یکون وفاء دین عبد اللّه من نفس النخلات التی کانت له، و لم یبادر إلی تقدیم أیه ضمانه فی أن یتم وفاؤها من بیت مال المسلمین. إذ أن عبد اللّه کان قد استفاد من ذلک المال، ولدیه ما یمکن الاعتماد علیه فی وفاء ذلک الدین. و استشهاده لا ینقل هذا الحق عن ماله لیصبح حقا علی بیت مال المسلمین.

۵- إن طریقه وفاء دین عبد اللّه قد أخذت صفه الکرامه الإلهیه من اللّه لرسوله صلی اللّه علیه و آله و سلم، حینما ظهرت البرکه فی التمر، حتی لیقول جابر، بعد أن استوفی ذلک الیهودی حقه من خصوص العجوه التی هی أفضل أنواع التمر:

(و بقی سائر التمر؛ فأکلنا منه دهرا، و بعنا، حتی أدرکت الثمره من قابل، و لقد کنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما کان علی أبی من الدین).

۶- و نلفت النظر هنا إلى أن طريقه تعامل النبى صلى الله عليه و آله وسلم مع هذه القضيه تشير إلى أنه صلى اللّه عليه و آله و سلم كان يخطط لإظهار هذا الأمر، بطريقه تجسيد الواقع.

حيث نجد أنه صلى اللّه عليه و آله و سلم قد خطط ليكون الحدث فى البستان نفسه، و لم يقنع بأن يؤتى بالثمره إلى البيت.

ثم هو يأمره بتقسيم التمر كل قسم على حده.

ثم هو يلمس العجوه بيده الشريفه، و كذا سائر الأنواع.

ثم يجلس فى وسط التمر ..

بالإضافه إلى أنه لا يأتى وحده، بل يأتى و معه عليه أصحابه، و ليس خصوص الأشخاص العادیين منهم. ثم يشهد الجميع هذا التكريم لجابر، و يشهدون هذه الكرامه الإلهيه التى أظهرها اللّه على يد رسوله صلى الله عليه و آله وسلم .

إلى غير ذلك من دروس و عبر يمكن استفادتها من هذا الحدث.

فصلى اللّه على رسوله و على الأئمه الميامين من آله و سلم تسليما كثيرا.

رحمه اللّه بعباده:

و فى هذه الغزوه أيضا جاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أحد أبويه، حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه، فعجب الناس من ذلك.

فقال صلى الله عليه و آله وسلم : أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه، فطرح نفسه رحمه لفرخه. و اللّه، لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه (۱).۹.

۱- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۴ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۸ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۵ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۶ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۹.

و ما یلفت فی هذه الروایه- علی تقدیر صحتها، و لا نری داعیا للوضع فیها- هو أننا نجده صلی الله علیه و آله وسلم یستفید حتی من مناسبه کهذه لیقوم بدوره فی تعریف أصحابه علی أمر یلزمهم أن یعرفوه بعمق وصفاء. و ذلک من خلال الاستفاده من أسلوب التجسید الظاهر للحقیقه التی یراد اطلاعهم علیها، و إقناعهم بها. حیث یکون ذلک أوقع فی النفس مما لو اکتفی بأسلوب التعلیم النظری و المجرد خصوصا إذا أدرکنا: أن هذا التجسید قد ترک أثره النفسی فیهم، و أثار فیهم انفعالات ظهرت علی شکل تعجب من رحمه ذلک الطائر بولده. فکان لا بد من الاستفاده من هذه الحاله النفسیه و توظیفها لصالح الإدراک الشعوری بالحقیقه التی یراد لهم لمسها، بروحهم و بمشاعرهم بالدرجه الأولی. ثم بعقلهم فی مرحله لا حقه.

النبی یعالج ابن الاعرابیه:

و روی: أنه فی هذه الغزوه جاءت امرأه بدویه بابنها إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فقالت له: یا رسول اللّه، هذا ابنی قد غلبنی علیه الشیطان.

ففتح فاه فبزق فیه، و قال: إخسأ عدو اللّه، أنا رسول اللّه.

ثم قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم لها: شأنک بابنک، لن یعود إلیه شی ء مما کان یصیبه. فکان کذلک (۱).

و ذکرت هذه القصه فی غزوه المریسیع أیضا (۲) التی ستأتی فی حوادث السنه السادسه.

و نقول:

۱- إن هذه الأعرابیه قد جاءت بولدها إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم لیداویه لها.

منساقه فی ذلک بدافع من إحساسها الفطری بما لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم من۲.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۴.
۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۹۲.

قداسه و طهر، و كرامه على اللّه سبحانه، و بأنه مصدر للبركات و الكرامات.

و قد استجاب صلى الله عليه و آله وسلم لها، و عالج ولدها بطريقه تكرس هذا الشعور لديها، و لدى كل من حضر و عاين ما يجرى، حيث تفل فى فم ولدها، و أخبرها بالنتيجه بصوره قطعيه.

و ذلك يكذب ما يريد البعض أن يدّعيه من أنه صلى اللّه عليه و آله، مجرد طارش و رسول، أبلغ الناس رساله و انتهى، و لا شى ء سوى ذلك.

ثم يقولون: إن القداسه إنما هى لرسالته و ليست له. فلا داعى للغلوّ فيه، و لا للتبرك بآثاره.

٢- إن ذلك يشير أيضا إلى أن على الناس أن يعوا: أن للأمور المعنويه و الروحيه، دورها فى دفع البلايا التى يتعرض لها الإنسان. كما أن عليهم أن يؤمنوا بأن ما يعترى الإنسان من أعراض و أمراض، ليس كله ناشئا عن تحولات ماديه فيه، و لا يمكن تفسيره كله على هذا الأساس.

فإن هناك قوى خفيه تشارك أيضا فى التأثير فى حياه الإنسان و فى سلامته.

و إن معالجه آثار تصرفاتها لا تكون من خلال الوسائل الماديه فى أحيان كثيره. بل لا بد من وسائل أخرى قد لا يؤمن بها كثير من الماديين.

كرامه أخرى لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم :

و يذكر المؤرخون فى حوادث هذه الغزوه: أن رجلا جاء للنبى صلى الله عليه و آله وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام، فقال صلى الله عليه و آله وسلم لجابر: دونك يا جابر، فاعمل هذه البيضات.

قال جابر: فعملتهن، ثم جئت بهن فى قصعه، فجعلنا نطلب خبزا، فلم نجد، فجعل صلى الله عليه و آله وسلم و أصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز، حتى انتهى كل إلى حاجته. أى إلى الشبع. و البيض فى القصعه كما

هو (۱).

و ذكرت هذه القصه فى غزوه المريسيع (۲).

و نقول:

و فيها أيضا كرامه ظاهره لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و ربما يكون ظهور هذه الكرامات ضروريا من أجل أن لا يغترّ المسلمون بأنفسهم، فيرون: أن ما يحققونه من انتصارات على أعدائهم، ثم ما يحصلون عليه من مكاسب، ماديه، و معنويه، و شوكه، و نفوذ، على مستوى المنطقه بأسرها. إنما كان بالدرجه الأولى بسبب هذه الألطاف الإلهيه، التى يشملهم اللّه بها. و ليس التأثير مقتصرا على قدراتهم الذاتيه، و حسن تدبيرهم فى الاستفاده منها فى الوقت المناسب، و فى المحيط المناسب.

و من جهه ثانيه، فإن من الواضح: أن وجود النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم بين ظهرانيهم، لا ينبغى أن يؤثر على نوع و مستوى العلاقه التى يجب أن تحكم نظرتهم إليه صلى اللّه عليه و آله و سلم.

فلا يجوز أن يعتادوا عليه، إلى درجه أن يصبح رجلا عاديا فيما بينهم، بل لا بد من الاحتفاظ بذلك الشعور العفوى لديهم و الذى يؤكد على ارتباطه صلى اللّه عليه و آله و سلم بالغيب، بالمصدر الأول جلّ و علا ..

فتأتى هذه الكرامات لتحدث التصحيح فى مسار تعاملهم معه و نظرتهم إليه؛ لأن هذا التصحيح ضرورى، و لا بد منه، إذا أريد لكل كلمه و موقف منه صلى اللّه عليه و آله و سلم أن يحدث الأثر العميق و الدقيق فى روح الإنسان، و فى مشاعره، و فى سلوكه، فضلا عن أن يحدث التغيير۲.

۱- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۴ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۹.

۲- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۹۲.

الجذری فی تکوینه الفکری و العقیدی بصوره عامه ..

و لأجل ذلک قلنا: إن ظهور هذه الکرامات کان ضروریا من فتره لأخری حسب ما تقتضیه المصلحه الإیمانیه و الإسلامیه فی مختلف المجالات، و علی جمیع المستویات.

و هذا واضح لا یکاد یخفی علی أحد.

جمل یستعدی علی صاحبه

و فی هذه الغزوه أیضا- کما یقولون- جاء جمل حتی وقف عنده صلی الله علیه و آله وسلم و ارغا. فأخبر النبی صلی الله علیه و آله وسلم أصحابه بأن هذا الجمل یستعیدیه علی سیده، (یزعم: أنه کان یحرث علیه منذ سنین، و أنه أراد أن ینحره.

إذهب یا جابر إلی صاحبه، فأت به.

قال جابر (رض): فقلت: لا أعرفه.

قال: إنه سیدلک علیه.

قال جابر: فخرج بین یدی حتی وقف علی صاحبه، فجئته به، فکلمه صلی الله علیه و آله وسلم فی شأن الجمل (۱).

و نقول:

قد ذکرت هذه القصه أیضا فی غزوه بنی المصطلق (المریسیع) (۲).

و نحن نسجل هنا النقاط التالیه:

۱- قد ذکرت هذه الروایه: أن الناس کانوا یحرثون علی الإبل فی ذلک الزمان و لا ندری مدی صحه ذلک.

۲- إن هذه الروایه تؤکد ما ورد فی الروایات المتواتره، التی قد تعد۲.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۳ و راجع: بصائر الدرجات ص ۳۴۸ و ۳۵۰/ ۳۵۱ و ۳۵۲.

۲- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۹۲.

بالمئات، و تؤکد علی ما للحیوانات من حقوق یلزم مراعاتها، و الالتزام بها، و قد ألف سماحه العلامه الحجه الشیخ علی الأحمدی کتابا قیما جمع فیه هذه الروایات، نسأل اللّه سبحانه أن یوفقه لتقدیمه إلی المطبعه لیستفید منه طلاب العلم و رواده.

معرفه النبی صلی الله علیه و آله وسلم بلغات البشر، و الحیوان و الجماد، و الشجر:

۳- قد أوضحت هذه الروایه: و دلت الروایات الکثیره غیرها علی أن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم کان یعرف ألسنه الحیوانات عموما، و قد فهم ما قاله الجمل، الذی جاء إلیه صلی اللّه علیه و آله و سلم لیشتکی سیده الذی کان یحرث علیه منذ سنین، و الآن یرید أن ینحره إلخ ..

و نجد فی کتب الحدیث و التاریخ الشیء الکثیر مما یتحدث عن کرامات لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، منذ ما قبل بعثته، و حتی وفاته، مثل تسلیم الحجر و الشجر علیه صلی اللّه علیه و آله، و تسبیح الحصی فی کفیه.

و کذلک امتثال الشجر أوامره، و شهادته له. و مجی ء الشجره إلیه لتظله، و تسلّم علیه، و تأمین اسکفه الباب، و حوائط البیت علی دعائه، و تسبیح الطعام بین أصابعه.

و إخبار الشاه له بأنها مسمومه. و شکوی البعیر له قله العلف، و کثره العمل.

و شکوی بعض الطیور له صلی الله علیه و آله وسلم أخذ بیضه أو فراخه، و سجود البعیر و الغنم له، و تکلیم الحمار له، و شهاده الجمل عنده: أنه لصاحبه الأعرابی دون من ادّعاه، و سؤال الظبیه أن یخلصها لترضع ولدها و تعود، و غیر ذلک (۱).).

۱- هذه الکرامات و سواها موجوده فی کتب الحدیث و السیره فراجع علی سبیل المثال: السیره الحلبیه ج ۳ ص ۲۸۳ و ۲۸۴ و السیره النبویه لدحلان (بهامش الحلبیه ج ۳ ص ۱۲۸ فما بعدها).

و من جهه ثانیه، فقد دلت النصوص الکثیره علی أنه صلی اللّه علیه و آله و سلم کان یعرف لغات البشر أیضا، و قد تکلم بعدد منها فی مناسبات عدیده (۱).

سؤالان یحتاجان إلی جواب:

۱- السؤال الأول:

و السؤال الذی یواجهنا بادی ء ذی بدء هو:

هل إن هذه القضایا و کثیرا غیرها مما زخرت به المجامیع الحدیثیه و التاریخیه، و غیرها، لا بد من تصنیفها فی عداد الکرامات و المعجزات، و خوارق العادات، التی تهدف إلی مواجهه الإنسان المکابر، أو الشاک بالصدمه، التی توصد أمامه کل أبواب التملص و التخلص، و التجاهل للواقع، و دلائله الظاهره، و أعلامه الباهره، و حججه القاهره؟!.

أم أن الأمر یتعدّی ذلک لیصب فی خانه تجلیّ السنن و النوامیس الحقیقیه التی تحکم المسار العام فیما یرتبط بتبلور الشخصیه القیادیه الواقعیه فی نطاق هیمنه هذه القیاده علی المسار الواقعی العام، من خلال تلک النوامیس، و علی أساسها؟!

علما بأن ذلک لا یقلّل من قیمه تلک الکرامات و المعجزات، بل هو یجلیها بصفتها ضروره حیاتیه فی نطاق الهدایه الإلهیه التامه علی أساس نوامیس الواقع و مقتضیاته.

۲- السؤال الثانی:

و ثمه سؤال آخر نعرض له هنا، و هو أنه إذا کان النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم یعرف جمیع اللغات؛ فلماذا یصر علی مراسله عظیم۶.

۱- راجع: مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۱۵ و ۱۶.

فارس، و عظيم الروم، و ملك الحبشه، و المقوقس، و غيرهم بخصوص اللغه العربيه؟!

و هل ثمه خلفيات سياسيه، أو تشريعيه دينيه أو غيرها وراء هذا التمسك باللغه العربيه؟!

و أكثر من ذلك: إننا نجد الإسلام لا يرضى فى عباداته، و فى موارد معينه أخرى بغير اللغه العربيه، فلا تصح الصلاه مثلا باللغات الأخرى، من أى كان من الناس: العربى، و الرومى، و الحبشى، و الفارسى، و غيرهم. فما هو السر، و الدافع إلى هذا الإلزام و الالتزام، يا ترى؟!.

الإجابه و التوضيح:

و نحن فى مقام الإجابه على هذين السؤالين، نقدم الحديث و الإجابه على ثانيهما؛ فنقول:

۱- الإجابه على السؤال الثانى:

إنه يفترض فى كل حضاره تستهدف إحداث تغييرات حقيقيه و جذريه فى المجالات الحياتيه المتنوعه من سياسيه و اقتصاديه، و اجتماعيه، و فكريه، و غيرها و حتى فى بناء الشخصيه الإنسانيه، و التأثير و التغيير فى مشاعر الإنسان، و أحاسيسه، و عواطفه، فضلا عن خصائصه و مزاياه، و كل وجوده.

نعم، إنه يفترض فى هكذا حضاره أن تفرض على الشعوب و الأمم التى تريد أن تحيا فى ظلها هيمنه فكرها، و ثقافتها، و أن تزرع فيها مصطلحاتها و تعابيرها الخاصه بها، ذات الإيحاءات و المداليل المعينه و الهادفه، و تنفذ من خلال هذه المصطلحات و على أساس ذلك الفكر، و بروافد من تلك الثقافه إلى مناطق اللاوعى فى الأحاسيس و المشاعر، و فى القلوب و الضمائر لتلك الأمم و الشعوب. و تتغلغل فى أعماقها،

لتصبح جزءا لا يتجزأ من وجودها، و من شخصيتها، و من كيانها العتيد. بل لقد رأينا أنه حتى الدول لا تألو جهدا فى فرض لغتها، و عاداتها، و مفاهيمها على الشعوب التى تهيمن عليها.

و إذا كان اللّه سبحانه قد أرسل نبيه إلى جميع الأمم فلابد- و الحاله هذه- من أن تهيمن لغه القرآن، و ثقافه الإسلام و الإيمان على العالم بأسره، لأن القرآن كتاب العالم، و دستور البشريه جمعاء، و لعل هذا هو الذى يفسر لنا بعض ما ورد فى الحث على تعلم اللغه العربيه، و تعليمها فراجع.

الإجابه على السؤال الآخر:

أما الإجابه على السؤال الآخر، و هو أول السؤالين المتقدمين، فإننا نقول:

هناك معجزات و كرامات فى اتجاهات ثلاثه:

الأول: من الواضح: أن هناك معجزات قد ظهرت للنبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و للأنبياء السابقين، و كذلك للأوصياء، حينما كانوا يواجهون التحدى الوقح من أهل الشرك و العناد؛ بحيث لو لم تظهر المعجزه، أو الكرامه لاستطاع أولئك الشياطين أن يثيروا الشبهات المضعفه للدعوه؛ و الموجبه لزعزعه درجه الطمأنينه و الوثوق لدى كثير ممن آمن بها و اطمأن إليها، أو يحدث نفسه بذلك.

فتأتى المعجزه لتثبّت أولئك، و تشجّع هؤلاء، و لتسحق أيضا كبرياء المستبكرين، و تكسر شوكتهم. و يكون بها خزى المعاند، و بوار كيد الماكر و الحاقد.

الثانى: و ثمه معجزات و كرامات، و خوارق عادات أكرم اللّه بها أنبياءه و أولياءه تشريفا لهم، و تجلّه و تكريما، و إعزازا لجانبهم. و قد يستفيد

منها المؤمن القوى سموا و رسوخ قدم فى الإيمان، و يتثبت بها ضعيف الإيمان، فيزداد بصيره فى الأمر، و تسكن نفسه، و يطمئن قلبه، على قاعده قوله تعالى:

(قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، و لكن ليطمئن قلبى) (۱).

و على قاعده: (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، لنريه من آياتنا) (۲).

الثالث: ذلك القسم الذى ظهر فيه: أنه يتعامل فيه مع المخلوقات من موقع المدبر، و الراعى، و الحافظ لها، من موقع أنها جزء من التركيبه العامه، حيث لا بد من التعامل معها على هذا الأساس.

و هذا القسم الأخير هو الذى يعنينا البحث عنه هنا.

فنقول:

إن اللّه سبحانه قد أراد لهذا الإنسان أن يدخل إلى هذا الوجود، ليقوم بدور هام فيه. و قد اختار اللّه له هذه الأرض ليتحرك عليها، و ينطلق فيها و منها.

و كان عليه أن يستفيد مما خوله اللّه إياه من طاقات و إمكانات لا عمارها، و بث الحياه فيها، بل و الهيمنه و التسلط على كل ما فى هذا الكون، و تسخيره، و الاستفاده مما أودعه اللّه فيه من طاقات و قدرات، من خلال تفعيل نواميسه الطبيعيه، و إثاره دفائنه و كوامنه، و توظيفها فى مجالات البناء الإيجابى، و الصحيح، الذى يسهم فى إسعاد هذا الإنسان، و فى تكامله، و نموه المطّرد فى مختلف جهات وجوده، حتى فى جوانبه النفسيه و الروحيه، و الفكريه، و العقيديه، فضلا عن النواحى الأخرى، من اجتماعيه و اقتصاديه و غيرها.۱.

۱- سوره البقره، الآیه/ ۲۶۰.

۲- سوره الإسراء، الآیه/ ۱.

کل ذلک وفقا للخطه المرسومه فی نطاق التربیه الربانیه، و الاعـداد و المواکبه المسـتمره لهـذا الإنسان فی تحرکه نحو الأهـداف الإنسانیه.

و الإلهیه السامیه و النبیله العلیا، و هو دائب الکدح إلی اللّه، و من أجله و فی سبیله، لا غیر، و لیس إلا.

(یا أیها الإنسان، إنک کادح إلی ربک کدحا فملاقیه) (۱).

و لکی یتضح ما نرمی إلیه بصوره أوفی و أصفی، نذکر هنا آیات قرآنیه أشارت إلی أن جمیع ما فی هذا الکون مسخر للبشر.

و آیات أخری، تتحدث عن وجود درجه من الشعور و الإدراک لدی المخلوقات، من حیوانات و غیرها.

بالإضافه إلی نماذج من التعامل الإیجابی، و آفاقه. و ما یترتب علی ذلک، فنقول:

تسخیر المخلوقات للإنسان فی الآیات القرآنیه:

لقد أشارت الآیات القرآنیه إلی تسخیر الموجودات للإنسان، و یتضح ذلک. بالتأمل فی الآیات التالیه:

هُوَ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَکُمْ فِیها (۲).

أَ لَمْ تَرَوْا: أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ، وَ أَسْبَغَ عَلَیْکُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَهً وَ باطِنَهً؟!) (۳).

وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ (۴).۳.

۱- سوره الانشقاق، الآیه/ ۶.

۲- سوره هود، الآیه/ ۶۱.

۳- سوره لقمان، الآیه/ ۲۰.

۴- سوره الجاثیه، الآیه/ ۱۳.

وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ لِتَجْرِیَ فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهارَ. وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ، وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ. وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ، وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها (۱).

وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا، وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَةً تَلْبَسُونَها (۲).

الشعور و الإدراک لدی المخلوقات:

ثم إن الإنسان یرید أن یتعامل مع کون لیس جمادا بقول مطلق، و إنما کل الموجودات فیه تمتلک درجه من الشعور و الإدراک، و إن کنا لا نعرف کنهه، و لا حدوده.

و قد تحدث القرآن عن السماوات، و الأرض، و الجبال و الطیر و کل الموجودات، بطریقه ترکز هذا المعنی، و تدفع أی تشکیک أو تردید فیه.

فلنقرأ معا الآیات التالیه:

قال تعالی مخاطبا نبیه موسی علیه السلام: قالَ لَنْ تَرانِی، وَ لکِنِ انْظُرْ إِلَی الْجَبَلِ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکانَهُ، فَسَوْفَ تَرانِی؛ فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا (۳).

و قال تعالی: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَی السَّماواتِ، وَ الْأَرْضِ، وَ الْجِبالِ، فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ، إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولًا (۴).۲.

۱- سوره ابراهیم: الآیات/ ۳۲- ۳۴.

۲- سوره النحل من آیه ۱۴ حتی آیه ۱۸.

۳- سوره الأعراف، الآیه/ ۱۴۳.

۴- سوره الأحزاب، الآیه/ ۷۲.

و قال سبحانه عن داود: إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ. وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (۱). و قال فى آيه أخرى عن داود أيضا: يا جِبالُ أَوِّبى مَعَهُ، وَ الطَّيْرَ (۲).

و المراد بالتأويب ترجيع التسبيح على ما يظهر.

و قال تعالى: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (۳).

و قال: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ (۴).

و قال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ، وَ الْأَرْضُ، وَ مَنْ فِيهِنَّ، وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (۵).

و تسبيح ما فى السماوات و الأرض، مذكور فى عده آيات (۶).

و قال سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً، مِنْ خَشْيَهِ اللَّهِ (۷).

و قال تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ، وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ، وَ النُّجُومُ، وَ الْجِبالُ، وَ الشَّجَرُ، وَ الدَّوَابُّ، وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (۸).۸.

۱- سوره ص، الآيتان/ ۱۸ و ۱۹.

۲- سوره سبأ، الآيه/ ۱۰.

۳- سوره الرعد، الآيه/ ۱۳.

۴- سوره الرحمان: الآيه ۶.

۵- سوره الإسراء، الآيه/ ۴۴.

۶- راجع: سوره الحشر، الآيات/ ۱ و ۲۴ و التغابن/ ۱ و الصف/ ۱ و الجمعه/ ۱ و الحديد/ ۱.

۷- سوره الحشر، الآيه/ ۲۱.

۸- سوره الحج، الآيه/ ۱۸.

و قال جلّ و علا: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ (۱)

فكل ما تقدم يشير بوضوح إلى أن هذه المخلوقات تملک حاله شعوريه و إدراكيه معينه، و ليست مجرد جمادات أو حيوانات خاويه من ذلک بصوره نهائيه.

و هذا ما يفسر لنا أننا نجد أن اللّه قد تعاطى معها بطريقه تكرس هذا الفهم، و ترسخه، و لا تبقى مجالا لأی تشكيک أو ترديد فيه.

نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله:

فإذا كان اللّه سبحانه قد سخر المخلوقات لهذا الإنسان، و اتضح أن هذه المخلوقات تمتلک صفه الشعور و الإدراک، و لها أعمال عقلانيه و مرتبطه بالشعور و مستنده إليه فإننا نذكر هنا نموذجا قرآنيا حيا، و واقعيا لهذا التسخير تجلّت فيه طريقته، و أبعاده و مجالاته بصوره ظاهره. حيث ذكرت الآيات أن اللّه سبحانه قد سخّر الريح، و الطير، و الجبال، و الجن، لسليمان، و داود عليهما السلام. بالإضافه إلى هيمنتهما بدرجه ما على نواميس الطبيعه التی تفيد الهيمنه عليها فی تحقيق الغايات التی يتم السعی لها، و التحرک باتجاهها، كما أشار إليه اللّه سبحانه حين تحدّث أنه تعالى قد ألان الحديد لداود.

فلنقرأ ذلک كله فی الآيات التاليه:

قال تعالى: وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ، وَ الطَّيْرَ، وَ كُنَّا فاعِلِينَ. وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ، لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ. وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِی بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِی بارَكْنا۱.

۱- سوره النور، الآيه/ ۴۱.

فِيها، وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْ ءٍ عالِمِينَ. وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ، وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ (۱).

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ، وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (۲).

و قال تعالى عن سليمان: فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ، وَ الشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ، وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ (۳)

قصه سليمان و داود نموذج فذ:

و إذا راجعنا سوره النمل، فإننا نجد فيها نماذج فذّه عن تعاطى سليمان و داود مع ما آتاهما اللّه سبحانه فى هذا المجال. و أول ما يواجهنا فى الحديث عنهما عليهما السلام، هو أنه تعالى، قد وفر لهما الأدوات الضروريه للتعامل مع هذه المخلوقات فى نطاق رعايتها و هدايتها و توجيهها. فنجدها تبدأ الحديث بأن اللّه قد آتاهما علما. و علّما منطق الطير، و أوتيا من كل شى ء، ثم ذكرت الآيات نماذج تطبيقيه لهذا العلم، و للمعرفه بجميع الألسنه، ثم لتأثير ما آتاه اللّه سبحانه فى إداره الأمور، و توجيهها و رعايتها و الهيمنه عليها بصوره حيويه و بناءه و إيجابيه. لا تأتى إلا بالخير، و لا تؤدى إلا إلى الفلاح.

آيات من سوره النمل:

(.. وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً، وَ قالا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنا٨

۱- سوره الأنبياء، الآيات/ ۷۹- ۸۲.

۲- سوره ص، الآيتان/ ۱۸ و ۱۹.

۳- سوره ص، الآيات/ ۳۶- ۳۸.

عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ، وَ قالَ: يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ، إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ. وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَ الْإِنْسِ، وَ الطَّيْرِ، فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ، قالَتْ نَمْلَةٌ: يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ، لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ، وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها) (۱).

ثم تحدثت الآيات عن قصته عليه السلام مع الهدهد، و الدور الذى قام به، ثم ما كان من الإتيان بعرش بلقيس، بواسطه ما كان لدى ذلك الآتى به من علم من الكتاب. و أن ذلك قد تم قبل أن يرتد طرف سليمان إليه.

مع آيات سوره النمل:

و قد أظهرت الآيات المتقدمه كيف تم توظيف كل القدرات الماديه و غيرها فى تحقيق رضا اللّه سبحانه، و بناء الحياه و تكاملها باتجاه الأهداف الإلهيه، و وفقا للخطه المعقوله و المقبوله له تعالى. بدءا من قصه تبسم سليمان من قول النمله، مرورا بقصه الهدهد، و الإتيان بعرش بلقيس بتلك الطريقه المثيره، ثم تنكير عرشها لها، و انتهاء بأمرها بدخول الصرح الذى حسبته لجه، مع أنه صرح ممرد من قوارير.

و قد تجسد ذلك كله من خلال حاكميه و إمامه سليمان عليه و على نبينا و آله الصلاه و السلام، و رعايته و هدايته التامه و الشامله.

و قد كانت هذه الهدايه و الرعايه مستنده إلى علم آتاه اللّه إياه، و إلى إمكانات ذات صفه شموليه: (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ). فلم يكن ثمه أى۹.

۱- سوره النمل، الآيات/ ۱۵- ۱۹.

قصور فی القدرات الذاتیه، فقد علم سلیمان منطق الطیر، و أوتی من العلم ما یکفیه فی مهمته الکبیره و الخطیره.

کما أنه لم یکن ثمه نقص فی الإمکانات المادیه، کما أشرنا. و کان أیضا سلیمان یحظی برعایه اللّه تعالی له، و لطفه به، و تسدیده و تأییده إلی درجه العصمه.

فلم یبق و الحاله هذه إلا المبادره إلی القیام بالدور المرصود له فی نطاق الاستفاده الواعیه و الإیجابیه و البناءه من کل المخلوقات المسخره لهذا الإنسان، و توجیهها لتؤدی دورها فی الحیاه کاملا غیر منقوص ..

و هذا ما حصل بالفعل، فکانت المعجزه الکبری، و کان الإنجاز العظیم، و هذا ما سوف یتحقق بصوره أکثر رسوخا و شموخا و عظمه فی عهد ولی الأمر قائم آل محمد علیهم الصلاه و السلام.

إعاده توضیح و بیان:

إنه ما دام أن المفروض بالإنسان هو أن یتعاطی مع جمیع المخلوقات التی سخرها اللّه تعالی له، فقد کان لا بد من أن یخضع تعامله هذا و کذلک تعامله مع نفسه، و مع ربه، و مع کل شی ء لضوابط تحفظه من الخطأ و من التقصیر، أو التعدی.

و لقصور الإنسان الظاهر، فقد شاءت الإراده الإلهیه، من موقع اللطف و الرحمه أن تمدّ ید العون له، و هدایته فی مسیرته الطویله المحفوفه بالمزالق و الأخطار هدایه تامه تفضی به إلی نیل رضا اللّه سبحانه، و تثمر الوصول إلی تلک الأهداف الکبری و السامیه و تحقیقها، و هی إعمار الکون وفق الخطه الإلهیه، التی ترید من خلال ذلک بناء إنسانیه الإنسان، و إیصاله إلی اللّه سبحانه، حیث یصبح جدیرا بمقامات القرب منه تعالی، حیث الرضوان و الزلفی.

و إذا كان كذلك فإنه يصبح واضحا: أن المثل القرآنى الذى يتمثل فى تجربه سليمان و داود عليهما السلام، إنما أراد أن يجسد و لو بصوره مصغره هذه الحقيقه بالذات ليتلمس هذا الإنسان الأهداف الإلهيه، و هى تتجسد واقعا حيا، ملموسا، و ليس مجرد خيالات، أو شعارات، أو آمال و طموحات غير عقلانيه، و لا مسؤوله.

و هى أيضا تجسد معنى القياده المطلوبه و الصالحه لتحقيق هدف كهذا، حتى إن طائرا، و هو الهدهد يضطلع بدور حيوى و فى مستوى ملك بأسره، و أحد الحاضرين فى مجلس سليمان يأتى بعرش بلقيس- بواسطه العلم الذى عنده من الكتاب- قبل أن يرتد الطرف.

كما أن هذه الشواهد القرآنيه، و تلك الكرامات و المعجزات النبويه، و منها قصه الجمل التى هى مورد البحث، قد رسخت هذه الحقيقه، سواء بالنسبه لدور الإنسان فى الكون، و تعاطيه معه.

أو بالنسبه إلى حقائق راهنه لا بد أن تأخذ دورها و حقها، و يحسب حسابها على مستوى التخطيط، و على مستوى الممارسه.

أو بالنسبه إلى الدور الذى لا بد لهذه القياده أن تضطلع به، فى مقام الرعايه التامه، و الهدايه العامه. و ما يتطلبه ذلك من طاقات و من إمكانات، و مواصفات قياديه خاصه و متنوعه، لا تحصل إلا بالرعايه و التربيه الإلهيه لها، و لا تكون إلا فى نبى أو فى وصى.

و تصبح معرفه لغات الحيوانات، و الوقوف على كثير من أسرار الخلقه، و نواميس الطبيعه ضروره لا بد منها لهذه القياده، التى لابد أن ترعى، و توازن، و تربى، و تحفظ لكل شى ء حقه، و كيانه، و دوره فى الحياه. حيث لا بد لها من التدخل المباشر، فى أحيان كثيره لحسم الموقف، و لحفظ سلامه المسار. كما لا بد لها من توجيه الطاقات و الاستفاده منها فى الوقت المناسب و فى الموقع المناسب، بصوره قويمه

و سلیمه، کما کان الحال بالنسبه لنبی اللّه داود، و نبی اللّه سلیمان علیهما و علی نبینا محمد و آله الصلاه و السلام.

النقاط علی الحروف:

و بذلک یتضح: أنه لا بدیل عن قیاده المعصوم، إذ أن کل القیادات الأخری إذا کانت عادله لن یکون لها أکثر من دور الشرطی الذی ینجح فی درء الفتنه حینا، و یفشل أحیانا.

أما إذا کانت قیاده منحرفه، فهناک الکارثه الکبری، التی عبرت عنها الکلمه المنسوبه إلی أمیر المؤمنین علی علیه الصلاه و السلام، حیث یقول: (أسد حطوم، خیر من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم، خیر من فتنه تدوم) (۱).

و قد اتضح أیضا: أن وجود الإمام المعصوم فی کل عصر و زمان أمر حتمی و ضروری حتی و لو کان غائبا و مستورا، لأن هذا الإمام لسوف یحفظ و یرعی کثیرا من المواقع و المواضع فی هذا الکون المسخر، للإنسان، التی لو لا حفظها و رعایتها لوقعت الکارثه و لساخت الأرض بأهلها.

و بذلک نعرف السر فی أن الروایات قد ذکرت: أنه لو بقیت الأرض بغیر إمام، أو لو أن الإمام رفع من الأرض و لو ساعه لساخت بأهلها، و ماجت کما یموج البحر بأهله (۲).

و أصبح واضحا معنی الروایه التی تقول: و أما وجه انتفاع الناس بی۸.

۱- البحار ج ۷۵ ص ۳۵۹ عن کنز الفوائد للکراجکی، و راجع: دستور معالم الحکم ص ۱۷۰ و غرر الحکم و درر الکلم ج ۱ ص ۴۳۷ و ج ۲ ص ۷۸۴.

۲- راجع بصائر الدرجات ص ۴۸۸ و ۴۸۹ و الکافی ج ۱ ص ۱۷۹ و ۱۹۸ و الغیبه للنعمانی ص ۱۳۹ و ۱۳۸.

فی غیبتی؛ فکالشمس إذا جللها عن الأنظار السحاب.

و اتضح أیضا سر معرفه الأئمه بعلوم الأنبیاء، و بالسنه جمیع البشر، و بألسنه أصناف الحیوان أیضا (۱). إلی غیر ذلک من خصائص و تفصیلات فی علومهم علیهم السلام و فی حدود ولایتهم و رعایتهم لهذا الإنسان فی هذا الکون الأرحب.ر.

۱- راجع کتاب بصائر الدرجات ففیه تفاصیل واسعه حول علوم الأئمه علیهم السلام فی جمیع المجالات، و راجع أیضا: البحار للعلامه المجلسی، و الکافی ج ۱ و غیر ذلک کثیر.

الفصل الرابع: بدر الموعد

اشاره

بدايه الحديث عن بدر الموعد:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج ماديه تختلف تماما عن نتائجها المعنويه و السياسيه.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيره، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماه الذين كانوا على فتحه الجبل أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لهم بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصه للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجه لا تمثل كل الواقع، و لا يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلك الحرب، على صعيد الربح و الخساره و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركه بهزيمه حقيقيه فاحشه منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحيه العسكريه، و النفسيه، و على صعيد الحاله السياسيه فى المنطقه بصوره عامه.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادره إعلاميه، جريئه تحفظ للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئا من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركه التاليه، و التى قد تكون هى الحاسمه، سوف تكون بعد عام من

تاریخ غزوه أحد.

و قد نسی أو تناسی: أن نفس هذا الإعلان لیس فی الحقیقه إلا إعلان فشلهم فی تحقیق الأهداف التی کانوا یسعون إلی تحقیقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم کانت حرکه المسلمین السریعه فی مطاردتهم عقب انتهاء غزوه أحد، بمثابه فضیحه مخزیه للمشرکین، لا سیما و أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد قرر أن تکون هذه المطارده مقتصره علی خصوص جرحی أحد، بقیاده علی أمیر المؤمنین علیه السلام.

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذی ضربه أبو سفیان کان لا بد من التحرک. و کانت نتیجه هذا التحرک، المزید من الخزی لأبی سفیان، و کل معسکر الشرک و البغی، و المزید من العزه و الشوکه للمسلمین، و للإسلام فی ظل قیاده نبیه الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم.

فما الذی جری فی بدر الموعد؟! و ما الذی نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له فی ما یلی من مطالب ..

تاریخ غزوه بدر الموعد:

یذکر المؤرخون: أن غزوه بدر الصغری (الموعد) (الثالثه)، قد کانت فی هلال ذی القعده فی السنه الرابعه. و قیل: فی شوال.

و قد غاب فیها رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ست عشره لیله.

و المقصود هو بدر الصفراء، التی کانت سوقا للعرب فی الجاهلیه، یجتمعون فیها فی کل عام لمده ثمانیه أیام، ابتداء من أول ذی القعده، ثم یتفرقون (۱).۵۳

۱- راجع فی جمیع ما ذکرناه، کلا أو بعضا: مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۸۴ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۵ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۵ و سیره مغلطای ص ۵۳

و قد ربح المسلمون فيها فی تجاراتهم فی سوق بدر، فی هذه المناسبه بصوره ملفته، كما سنری.

و أما قول موسی بن عقبه: إنها كانت فی شوال سنه ثلاث (۱).

فلا يصح؛ لأنها كانت لأجل تنفيذ طلب أبی سفيان بعد انتهاء حرب أحد بأن يلتقوا للحرب فی بدر، بعد عام. و أحد إنما كانت فی السنه الثالثه كما هو معلوم (۲).

كما أن الأشبه: أنها قد كانت فی ذی القعده، أو قبل ذلك لأن أحدا كانت فی ذی القعده، و كان بينهما سنه (۳).

و الصحيح: أنها كانت فی شعبان كما سيأتی فی غزوه الخندق.

النص التاريخی لبدر الصغری:

يذكر المؤرخون: أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف من أحد نادی:

يا محمد، الموعد بيننا و بينكم موسم بدر الصغری لقابل، إن شئت نلتقی بها فنقتتل.۴.

۱- راجع: السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۵ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۲ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۹ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۱.

۲- أشار إلی ذلك أيضا فی السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۲ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۹.

۳- راجع: نهايه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۴.

و عن مجاهد- كما فى الوفاء- أنه قال: يا محمد، موعدكم بدر، حيث قتلتم أصحابنا.

فقال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم لعمر بن الخطاب: قل: نعم، إن شاء اللّه.

فافترق الناس على ذلك.

ثم يذكر المؤرخون وقائع غزوه بدر الموعد.

و نحن من أجل أن نلمّ بأكثر الخصوصيات التى قيلت فى هذه الغزوه و عنها، نجمع شتات كلمات الرواه و المحدثين، و نقله الأخبار و المؤرخين، و نؤلف بينها، ثم نشير فى نهايه ذلك إلى المصادر التى قد يكون فيها أكثر الذى ذكرناه، أو بعضه.

فنقول:

لما مضى على أحد ما يقرب من عام، و قرب الموعد الذى ضربه أبو سفيان، كره الخروج و خاف من عواقبه، ثم قرّ رأيه بعد المشاوره على الخروج شيئا يسيرا، ثم يعود، فخرج فى أهل مكه، حتى نزل مجنّه، من ناحيه الظهران. و يقال: عسفان. و كان فى ألفى رجل، و معهم خمسون فرسا.

و يقول البعض: إنه بعد أن خرج إلى عسفان أو مجنه ألقى اللّه الرعب فى قلبه، فبدا له فى الرجوع.

فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى، و قد قدم معتمرا؛ فطلب منه: أن يلحق بالمدينه، و يثبط المسلمين. و يعلمهم: أن أبا سفيان فى جمع كثير، و لا طاقه لهم بهم، و وعده أن يعطيه عشره- و عند الواقدى: عشرين- من الإبل، يضعها على يدى سهيل بن عمرو، و يضمنها سهيل له. و حمله على بعير.

و مما قاله له، بعد أن ذكر له: أن هذا عام جدب: (قد بدا لى أن لا أخرج إليها. و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج؛ فيزيدهم ذلك جراءه؛ فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلى).

و بعد ضمان سهيل بن عمرو الإبل لنعيم، خرج مسرعا، حتى أتى المدينه؛ فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان، فسألهم فأخبروه بما يريدون، فقال لهم:

(بئس الرأى رأيتم، أتوكم فى دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم إلا الشريد، فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم؟! و اللّه، لا يفلت منكم أحد).

و جعل يطوف بهذا القول فى أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم .

فكره أصحاب رسول اللّه الخروج. و زاد الواقدى قوله: (حتى نطقوا بتصديق قول نعيم، أو من نطق منهم. و استبشر بذلك المنافقون و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع).

حتى بلغ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أن لا يخرج معه أحد. فجاء أبو بكر بن أبى قحافه (رض)، و عمر بن الخطاب (رض)، و قد سمعا ما سمعا، فقالا: يا رسول اللّه، إن اللّه مظهر دينه، و معز نبيه. و قد وعدنا القوم موعدا، و نحن لا نحب أن نتخلف عن القوم، فيرون أن هذا جبن مناعنهم؛ فسر لموعدهم؛ فواللّه، إن فى ذلك لخيره.

فسرّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بذلك، ثم قال: (و الذى نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدى) (قال عثمان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا فما أرى أحدا له نيه فى الخروج).

فأما الجبان، فإنه رجع، و تأهب الشجاع للقتال، و قالوا: حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و استخلف رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على المدينه عبد اللّه بن رواحه [أو عبد اللّه بن أبى بن سلول (۱)] و حمل لواءه الأعظم على بن أبى طالب، فى ألف و خمس مئه رجل. و الخيل عشره أفراس.

قال الواقدى (۲) (فرس لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و فرس لأبى بكر، و فرس لعمر، و فرس لأبى قتاده، و فرس لسعيد بن زيد، و فرس للمقداد، و فرس للحباب، و فرس للزبير، و فرس لعباد بن بشر).

و خرجوا ببضائع لهم و تجارات. و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا فجعلوا يلقون المشركين، و يسألون عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون أن يرهبوا المسلمين.

فيقول المؤمنون: حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و فى نص آخر: قال لهم المنافقون: قد قتلوكم عند بيوتكم، فكيف إذا أتيتموهم فى بلادهم، و قد جمعوا لكم، و اللّه لا ترجعون أبدا.

و مهما يكن من أمر، فإنهم لما قربوا من بدر قالوا لهم: إنها امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان، يرعبونهم و يرهبونهم، و نزلت آيه: الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم إلخ ..

فلما بلغوا بدرا وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد [و فى الحلبيه (۳) فأنزل اللّه: الذين قال لهم الناس: إلخ] ..

و قال مجاهد و عكرمه: فى هذه الغزوه نزل قوله تعالى: الَّذِينَ۶.

۱- هذا القيل ذكره فى السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۵ و العبر، و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و لم يذكر غيره، و كذا فى السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۰ و السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۹ و البدآيه و النهايه ج ۴ ص ۸۷.
۲- المغازى ج ۱ ص ۳۸۷.
۳- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۶.

اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ.

و عند أكثر المفسرين نزلت هذه الآيه فى غزوه حمراء الأسد.

و بلغ المسلمون بدرا ليله هلال ذى القعده. و الصحيح فى شعبان.

و قد أقام النبى صلى الله عليه و آله وسلم بها ثمانيه أيام، ينتظر أبا سفيان.

و باع المسلمون تجاراتهم و بضائعهم فى سوق بدر، و أصابوا بالدرهم درهمين.

و قد سمع الناس بمسيرهم، و ذهب صيت جيشهم إلى كل جانب، فكبت اللّه بذلك عدوهم.

و انصرفوا إلى المدينه سالمين غانمين.

أما المشركون فرأى لهم أبو سفيان أن يخرجوا، فيسيروا ليله أو ليلتين، ثم يرجعون؛ فإن كان محمد قد خرج احتجوا بأن السنه كانت سنه جدب، و إن لم يخرج كانت هذه لهم عليه.

فخرجوا، و هم ألفان، و معهم خمسون فرسا، حتى انتهوا إلى مجنّه، و هو سوق معروف بناحيه الظهران، و قيل: إلى عسفان. ثم رجعوا.

و فى نص آخر: أن ابن حمام قدم على قريش، فأخبرهم بمسير المسلمين إلى بدر، فارعب أبو سفيان، و رجع إلى مكه. فسماهم أهل مكه: جيش السويق. أى خرجوا يشربون السويق.

و بلغ المشركين خروج المسلمين إلى بدر و كثرتهم، و أنهم كانوا أصحاب الموسم، فقال صفوان بن أميه لأبى سفيان: نهيتك أن تعد القوم، و لم تسمع كلامى. قد اجترؤا علينا، و رأوا: أنا قد أخلفناهم.

ثم أخذوا بالكيد و التهيؤ لغزوه الخندق.

كانت تلك صوره مأخوذه من نصوص ذكرت هنا و هناك فى المصادر

المختلفه (۱) أوردناها فی سیاق واحد، لتکون الصوره التی یرسمها لنا المؤرخون أکثر انسجاما، و استجماعا للملامح الضروریه التی یریدون توجیه الأنظار إلیها.

و قد ذکروا أیضا: أن عبد اللّه بن رواحه، أو حسان بن ثابت قد قال فی جمله أبیات له:

وعدنا أبا سفیان وعدا لم نجدلمیعاده صدقا و قد کان وافیا (۲) و لنا هنا مناقشات و شکوک فی بعض ما ذکروه، کما أن لنا بعض الإیضاحات و التحلیلات التی ربما تکون مفیده هنا، و نحن نذکر ذلک فیما یلی من مطالب، فنقول:.

۱- راجع فی جمیع ما تقدم، کله أو بعضه: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۵ و ۴۶۶ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۵- ۲۷۷ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۶ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و الطبقات الکبری ج ۲ ص ۵۹ و ۶۰ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۶۷ و سیره مغلطای ص ۵۳ و حیاه محمد لهیکل ص ۲۷۹ و ۲۸۰ و مغازی الواقدی ج ۱ ص ۴۸۴- ۴۹۰ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۰ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۰۳ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و الوفاء ص ۶۹۰ و الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۷۵ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۴ و ۱۵۵ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۸ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۲۹ و ۲۳۰ و تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۱۶۰ و أنساب الاشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و الثقات ج ۱ ص ۲۴۴/ ۲۴۵ و التنبیه و الإشراف ص ۲۱۴ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۶۹ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۸۷- ۸۹ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۸۴- ۳۸۸ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۱ و ۱۰۳ و ۱۰۴ عن عبد بن حمید، و ابن أبی حاتم و سعید بن منصور، و ابن جریر، و ابن المنذر.

۲- راجع: البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و السیره النبویه لابن هشام ج ۳ ص ۲۲۱ و مغازی الواقدی ج ۱ ص ۳۸۹ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۶ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۷۰.

آيات سوره آل عمران:

قد تقدم قولهم: إن آيه: الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ، مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، فَاخْشَوْهُمْ، فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ إلخ (۱) ..

قد نزلت فی مناسبه بدر الموعد؛ لأن المسلمين قالوا ذلک.

و لكننا لا نستطيع قبول ذلک؛ فعدا عن تناقض الروايات فی مكان نزولها: فی المدينه، أو فی الطريق إلى بدر، أو فی بدر نفسها، كما تقدم، نسجل الأمور التاليه:

الأول: قال العسقلانی، بالنسبه لآيه: الذين استجابوا للّه:

(و الصحيح: أن هذه الآيه نزلت فی شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد ابن كثير) (۲).

و قد روى المحدثون و المؤرخون، و المفسرون: أنها نزلت فی حمراء الأسد، فراجع ما رووه عن: ابن عباس، و الحسن، و ابن جريج، و عائشه، و أبی السائب، و السدی، و قتاده، و أنس. و من طريق العوفی.

و عن عبد اللّه بن أبی بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (۳).ه.

۱- سوره آل عمران، الآيه/ ۱۷۲- ۱۷۴.

۲- المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۸ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵.

۳- تجد هذه الروايات كلها فی الدر المنثور ج ۲ ص ۱۰۱- ۱۰۳ و قد نقلها بدوره بصوره متنوعه عن المصادر التاليه: ابن إسحاق، و ابن جرير، و البخاری، و مسلم، و أحمد، و سعيد بن منصور، و ابن أبی شيبه، و ابن المنذر، و الحاكم، و ابن أبی حاتم، و البيهقی فی الدلائل، و ابن ماجه، و النسائی و الطبرانی، و عبد بن حميد، و الخطيب، و ابن مردويه.

و روى أيضا عن أبى رافع بطرق كثيره، و كذا عن أبى مريم.

و عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام: أنها نزلت فى على عليه السلام فى حمراء الأسد (١).

الثاني: إن سياق الآيات لا يتلاءم مع غزوه بدر الصغرى، فهى تمدح الذين استجابوا للّه و الرسول من بعد ما أصابهم القرح. و ذلک إنما يناسب غزوه حمراء الأسد؛ حيث إن الذين قاموا بها هم خصوص أولئک الذين جرحوا فى حرب أحد.

أما فى بدر الصغرى، فكان قد مضى عام بكامله على تلک الجراح. و لم يكن فى بدر الصغرى نفسها حرب و لا جراح.

الثالث: إن هذه الآيات تتمدح أولئک الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا. مع أن الروايات التى تتحدث عن قصه بدر الصغرى، قد صرح كثير منها بأن أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قد كرهوا الخروج إلى بدر الموعد، حتى نطقوا بتصديق قول نعيم بن مسعود، الذى كان يخذلهم و يخوفهم، و استبشر المنافقون و اليهود، حتى بلغ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ذلک، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم أن لا يخرج منهم أحد. حتى قال صلى الله عليه و آله وسلم : و الذى نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدى. و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا، فما أرى أحدا له نيه فى الخروج ..م.

١- تفسير البرهان ج ١ ص ٣٢۶ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠٣ عن ابن مردويه. و قد يكون ثمه مبرر لاحتمال أن يكون ثمه تعمد لدعوى نزول الآيات فى بدر الموعد، من أجل إبعاد هذا الأمر عن أن يكون فيه تكريم لعلى عليه السلام، و إشاده بمواقفه الرساليه و الجهاديه. و قد تعودنا من هؤلاء الشى ء الكثير الذى يصب فى هذا الإتجاه، كما هو معلوم.

مواقف لابد من التأكد من صحتها:

و يذكر البعض: أن نعيم بن مسعود قدم المدينه: (و أرجف بكثره جموع أبى سفيان. أى و صار يطوف فيهم، حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين، و لم يبق لهم نيه فى الخروج، و استبشر المنافقون، و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع.

فجاء أبو بكر، و عمر رضى اللّه عنهما، إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و قد سمعا ما أرجف به المسلمون، و قالا له: يا رسول اللّه، إن اللّه مظهر نبيه، و معز دينه. و قد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن. فسر لموعدهم، فو اللّه إن فى ذلک لخيره.

فسرّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بذلک ثم قال: و الذى نفسى بيده، لأخرجن، و إن لم يخرج معى أحد، فأذهب اللّه عنهم ما كانوا يجدون.

و حمل لواء رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على بن أبى طالب الخ ..) (۱).

و نقول:

إن ما يذكر هنا من موقف لأبى بكر و عمر لا يتلاءم مع سائر مواقفهما فى مناسبات كهذه. فراجع موقفهما فى غزوه بدر مثلا. ثم موقفهما فى الأحزاب، و خيبر، و غيرها بالإضافه إلى فرارهما فى المواطن، و منها غزوه أحد، و هى الغزوه التى ضرب فيها الموعد لبدر الصغرى هذه!!

و قد تقدم: أن المسلمين كرهوا الخروج، و تظاهرت بذلک الأخبار عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم حتى خاف أن لا يخرج معه أحد، و قال: و الذى نفسى بيده لأخرجن، و لو لوحدى.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا، و قد قذف الرعب فى قلوبنا فما أرى أحدا له نيه فى الخروج. فكلام عثمان نكره فى سياق النفى يشمل ۵.

۱- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۶ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵.

حتی عمر و أبا بکر، فلا یتلاءم مع ما یذکر من موقفهما هنا.

فإن صح ما نقل عن الشیخین هنا، و لا أراه یصح، فإننا نجد أنفسنا أمام احتمالین، لابد أن یکون أحدهما هو السبب و نرجح ثانیهما، و هما:

الأول: أن یکونا قد رأیا تصمیم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم علی المسیر، إلی درجه عرفا أنه صلی اللّه علیه و آله و سلم لن یتراجع عن قراره بأی ثمن کان، و لو کان وحده. فموقفهما هذا لن یکون له أثر فی ذلک، و لسوف یکون مفیدا فی تسجیل موقف إیجابی لهما، یمکن أن یکون مفیدا لهما فی تحسین موقعهما عند النبی صلی الله علیه و آله وسلم و المسلمین، و لا سیما بعد فرارهما فی أحد، و بعد مشورتهما المتخاذله فی بدر.

الثانی: إنهما ربما یکونان قد وقفا من نعیم بن مسعود، أو من غیره علی حقیقه أمر أهل مکه، و أنهم خائفون من مواجهه النبی صلی الله علیه و آله وسلم و المسلمین بالحرب، لا سیما مع ما نلمحه من وجود قدر من التفاهم و الانسجام فی المواقف أحیانا، کما تقدم فی غزوه بدر، حول الاستشاره فی الحرب، ثم فی قصه الأسری، و بعد ذلک فی غزوه أحد حینما وضعنا بعض علامات الاستفهام حول تحرکات الخلیفه الثانی.

و الخلاصه: انهما إذا کانا قد علما بحقیقه أمر المشرکین، فهما یعلمان مسبقا: أن خروج النبی صلی الله علیه و آله وسلم و المسلمین إلی بدر الموعد لن یشکل أی خطر علی مشرکی قریش، إلا من الناحیه الإعلامیه، و السیاسیه و النفسیه. کما أنهما أنفسهما سوف لا یواجهون أی خطر یخشونه، و لو فی ضمن زحمه المعرکه، کما قد حصل فی أحد.

الأفراح و الأتراح:

إننا- و إن کنا نقدر الواقدی فی حدود معینه، و نراه منصفا شیئا مّا، و هو من حیث نقله ینقل سیره النبی الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم،

بصوره أفضل و أدق مما ينقلها البعض، و لكننا نعتب عليه أحيانا، ليس لأجل إيراده ما ثبت بالدليل القاطع زيفه، أو التزيد فيه من الرواه، فإن ذلک أمر مألوف و معروف، و لم ينج منه مؤلف فی قضايا التاريخ و غيرها ..

بل لأجل وقوعه أحيانا- كغيره- فی المتناقضات، أو فريسه لأصحاب الأهواء، و أهل الزيغ من الحاقدين و الموتورين، و قد وقع هنا فی هذا الخطأ بالذات، حين صورّ لنا أن المشركين كانوا يعيشون أفراح التأهب لحرب بدر الموعد، و كان المسلمون يعيشون الأتراح، و يهيمن عليهم الرعب و الخوف و الجبن، فهو يقول عن المشركين:

(و تهيأوا للخروج، و أجلبوا. و كان هذا عندهم أعظم الأيام، لأنهم رجعوا من أحد، و الدوله لهم، طمعوا فی بدر الموعد أيضا بمثل ذلک من الظفر) (۱).

و يقول عن المسلمين: (فيقدم القادم على أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فيراهم على تجهز، فيقول: تركت أبا سفيان قد جمع الجموع، و سار فی العرب ليسير إليكم لموعدكم. فيكره ذلک المسلمون، و يهيبهم ذلک) (۲).

و نقول:

قد ذكرنا فی بدايه الحديث: أن المشركين لم ينتصروا فی أحد، بل انهزموا هزيمه نكراء. و قد اتضح لديهم: أن ما جرى على المسلمين آنئذ لن يتكرر فی المستقبل، لأن ذلک إنما نشأ عن عدم الانضباطيه لدى الرماه، الذين كانوا يحرسون فی الجبل، و لم يكن بسبب ضعف فی القدرات الحربيه، و لا لجبن فی المقاتلين، أو خور فی عزائمهم، و لا۵.

۱- المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۸۴.

۲- المغازی للواقدی ج ۱ ص ۳۸۵.

بسبب تفرّق الأهواء، و لا لأجل نقص فی كفاءه القیاده. و إنما هو مجرد خطأ شخصی أعقبته حركه قتالیه فریده، تجلّت فیها كفاءات لا یمكن مواجهتها، فی أی زمان، أو مكان و لا سیما من علی أمیر المؤمنین علیه السلام، ثم بعض من لحقه من الصحابه الأخیار.

فلا معنی إذن لابتهاج المشركین بحرب، لو كانت تشبه حرب أحد، فذلك یعنی الدمار الكامل و الشامل لهم.

و أما بالنسبه لحاله المسلمین، التی تحدث عنها الواقدی، فنحن لا نوافق المؤرخین، و لا المحدثین علی ما ذكروه من خوف شامل فی المسلمین من مواجهه المشركین فی بدر الموعد؛ إذ لم یكن ثمه مبرر لذلك، لا سیما بعد أن حقق المسلمون انتصارات رائعه و مثیره علی المشركین فی بدر و أحد، رغم خطأ الرماه الذی تسبب بحدوث كارثه.

ثم إنهم بجهود علی علیه السلام تلافوا الخطأ و هزموا عدوهم.

هذا بالإضافه إلی انتصاراتهم علی الیهود، ثم تحركهم فی المنطقه بصوره زادت من هیمنتهم و نفوذهم، و جعلتهم أكثر قوه و شوكه و ثقه بالمستقبل.

و لنا أن نتساءل: إذا كان المسلمون قد ارتعبوا حتی خاف النبی صلی الله علیه و آله وسلم أن لا یخرج معه أحد، فكیف ارتفع هذا الخوف عنهم، حتی خرج من الشجعان معه ألف و خمس مئه رجل، مع أن الذین خرجوا معه إلی أحد. لیدافعوا عن بلدهم المدینه كانوا ألف رجل (رجع منهم ثلاث مئه مع ابن أبی)؟! مع الإشاره إلی أن عدد المسلمین لم یكن یزید عن الخارجین معه إلا یسیرا.

و هل یمكن أن یذكر لنا التاریخ اسم واحد من أولئك الذین تخلفوا عن الخروج خوفا و جبنا؟!

أما مشركوا مكه فقد تقلص نفوذهم فی المنطقه بدرجه كبیره،

و تشـكك كثير من الناس فى قدرتهم على تحقيق نصـر حاسم على المسلمين بسهوله، لا سيما بعد الهزائم سياسيا و عسكريا التى لحقت بهم حسـبما أشـرنا إليه، ثم ما تتعرض له قوافلهم التجاريه، و عـدم قدرتهم على توفير الأمن لها، بالإضافه إلى توسع منطقه نفوذ المسلمين و تحالفاتهم، على حساب ما كان لهم من نفوذ و تحالفات.

و لعل ما يقال عن رعب فى المسـلمين و تلكّؤ قـد أريـد له أن يجسّـد المصداق للآيات التى تتحدث عن تخويف الناس لهم. مع أن الآيات تذكر تكذيبا لهذه الشائعه، و أن هذا التخويف قد زاد المسـلمين إيمانا و تصميما، و مع أن الآيات إنما نزلت فى غزوه حمراء الأسد.

و لعله قـد أريـد ترتيب أجواء مناسـبه ليقـدم أبو بكر و عمر مشورتهما بلزوم المواجهه، لتظهر شـجاعتهما دون سائر المسـلمين، و ليعوضهما ذلك بعض ما كانا قد فقداه فى حالات سابقه.

و لعل فيما ذكرناه كفايه لمن أراد الرشد و الهدايه.

المجتمع المفتوح:

و قد قرأنا فيما تقدم: أن نعيم بن مسـعود الأشجعى، قد ذهب إلى المدينه بهدف تخذيل المسلمين عن الخروج إلى بدر الموعد. و لعل تردّد المشركين إلى المدينه بتجاراتهم، و متابعه شؤونهم و مصالحهم، هو من الأمور الواضحه و البديهيه تاريخيا.

و ربما يحمل ذلك بعض السلبيات للمسلمين أحيانا، كما لوحظ فى هذه المره، التى قام فيها نعيم بدور مخرب، و مضر جدا.

و لكن من الواضـح: أن الإسـلام و هو يريـد للآخرين، الـذين يناوؤونه أن يعيـدوا النظر فى مواقفهم، فتره بعد أخرى، فكان بعيدا عن أجواء التشنج يفسح لهم المجال للتعامل مع المسلمين بصوره مباشره، ليتلمسوا

بأنفسهم و بصوره عمليه و ميدانيه محاسن الإسلام، و آدابه، و سياساته، و كل آفاقه بحريه تامه. و من دون الاعتماد على الشائعات، و لا على الإعلام الموجه الذى قد يتحفظ الكثيرون تجاهه، لأنهم قد يتخيلونه غير قادر على أن يعكس بعض الواقعيات بدقه و أمانه.

ثم إن هذا التعامل الطبيعي و الحر من شأنه أن يزيل عقدا كثيره ربما لا يمكن إزالتها بدونه، بل هى قد تزيد رسوخا و تجذرا، و تتراكم حولها و فيها الأدران إلى درجه كبيره و خطيره، إذا كانت الأبواب موصده أمامهم، و لا يعرفون عن الإسلام و المسلمين إلا نتفا قد تتسرب- لسبب أو لآخر-، فتصل إليهم سليمه أو مشوهه، حسب الظروف.

و بعد، فإن الإسلام واثق من كل ما لديه، و ليس ثمه شى ء محرج له على الاطلاق، لا فى المجال العقيدى، و لا التشريعى، و لا السلوكى، و لا فى دائره الدوافع و النوايا، و لا فى محيط المرامى و الأهداف. و لا فى غير ذلك من مجالات.

و أما ما ينشأ عن التعامل مع المشركين من سلبيات أحيانا، فإنه يمكن تلافيه، و لا أقل يمكن التقليل من آثاره و أخطاره من خلال تحصين الأمه بالوعى، و بالإيمان، و بالتربيه الصالحه فى مختلف المجالات.

بالإضافه إلى الدور الأساسى و المحورى، الذى تقوم به القياده المؤهله- وحدها- لأن تهدى الأمه، و تقودها إلى الفلاح، و السداد و النجاح، و هى قياده الأنبياء، و الأئمه المعصومين عليهم الصلاه و السلام.

استخلاف ابن أبى على المدينه:

و قد ذكر فى ما تقدم: أن هناك من يقول: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد استخلف عبد اللّه بن أبى بن سلول على المدينه، حين سار إلى بدر الموعد.

و نحن نشک فی صحه ذلک، و نرجح أن یکون ابن رواحه هو المستخلف علیها، کما ذکرته نصوص کثیره أخری؛ إذ من البعید أن یستخلف النبی صلی الله علیه و آله وسلم رأس النفاق، ذلک الرجل الذی کان یمیل إلی المشرکین و الیهود أکثر مما کان یمیل إلی المسلمین، و لم تزل تظهر منه فلتات و کلمات خطیره، لو أراد النبی صلی الله علیه و آله وسلم أن یجازیه علیها، لم یکن جزاؤه أقل من القتل؛ و إنما استخلف صلی الله علیه و آله وسلم علیا (ع) فی غزوه تبوک خوفا من تحرک المنافقین فیها کما سنری إن شاء اللّه.

إلّا أن یقال: إن من الممکن أن یکون النبی صلی الله علیه و آله وسلم یرید أن یتألفه بذلک، کما کان یتألف غیره بإسناد بعض المهام إلیهم.

قوه الاسلام:

قال الواقدی: (و أقبل رجل من بنی ضمره، یقال له: مخشی بن عمرو- و هو الذی حالف رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم علی قومه، حین غزا رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ودّان فی المره الأولی- فقام- و الناس مجتمعون فی سوقهم، و أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أکثر أهل ذلک الموسم- فقال:

یا محمد، قد أخبرنا: أنه لم یبق منکم أحد؛ فما أعلمکم إلا أهل الموسم!

فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؛ لیرفع ذلک إلی عدوه من قریش: ما أخرجنا إلا موعد أبی سفیان، و قتال عدونا. و إن شئت مع ذلک- نبذنا إلیک، و إلی قومک العهد، ثم جالدناکم قبل أن نبرح من منزلنا هذا.

فقال الضمری: بل نکف أیدینا عنکم، و نتمسک بحلفک.

و سمع بذلک معبد بن أبی معبد الخزاعی، فانطلق سریعا، و کان مقیما ثمانیه أیام، و قد رأی أهل الموسم، و رأی أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و سمع کلام مخشی؛ فانطلق حتی قدم مکه؛ فکان أول من قدم بخبر

موسم بدر. فسألوه فأخبرهم بكثره أصحاب محمد، و أنهم أهل ذلك الموسم، و ما سمع من قول رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم للضمرى.

و قال: محمد فى ألفين من أصحابه إلخ .. قال البيهقى: فافزعهم ذلك. ثم يذكر ملامه صفوان بن أميه لأبى سفيان (۱).

و قد يستشف البعض من هذه القضيه: أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم قد أحسّ من مخشى بن عمرو: أنه قد قال ذلك على سبيل الاستهزاء و السخريه؛ فقابله النبى صلى الله عليه و آله وسلم بهذا الأسلوب (۲).

و من الواضح: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن لينقض العهد، و لا يباشر حربا مع أحد إلا إذا اضطرته الظروف (و كان مع ذلك لين الطبع كريم النفس، قد بلغ الغايه من النبل و الأخلاق الكريمه، حتى أنزل اللّه فيه:

و إنك لعلى خلق عظيم (۳) و بعباره أخرى: إنه إنما اتخذ هذا الموقف من أجل أن يعيد إلى ذلك الرجل توازنه، و ليفهمه: أن الأمور أعمق و أخطر من أن يتلاعب و يستخف بها قاصروا النظر، الذين لا يشعرون بالمسؤوليه، و لا يحسنون فهم الأمور.

و نقول:

إن كلام مخشى بن عمرو لا يوحى بأنه كان فى مقام الاستهزاء، غير أن من الواضح: أن هذا الرجل، كان يسعده أن يرى المسلمين و قد أبيدت خضراؤهم، و قتلت رجالهم، و سبيت نساؤهم، و لعله صدق ما بلغه من۵.

۱- مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۸ و راجع السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۹ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۸ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۹/ ۲۳۰ و راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ۳ ص ۳۲۰ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۳ و ۲۰۴ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۵ و ۳۸۷.

۲- سيره المصطفى ص ۴۵۵.

۳- سيره المصطفى ص ۴۵۵.

ذلـك، ثم فوجی ء بعكس مـا كـان يتوقعه. و سـمع به. فجـاء ليعرف السـر فی ذلـك. و كـأنه كـان علی قناعه بأن مشـركی مكه قادرون علی ذلك، و أن المسلمين علی درجه كبيره من الضعف و الوهن فی قبال المشركين.

و ربمـا يكون ما جری فی أحـد، الـذی لم ينقل إليه، و إلی سائر الناس فی صورته الحقيقيه قـد عزّز هـذه القناعه لـديه، لأنه إنما وقف علی نتائج حرب أحد، و لم يعرف ملابساتها، و أنها لم تكن نتيجه ضـعف حقيقی فی عزيمه المسـلمين، و لا لتخاذل منهم فی سـاحه الحرب و الجهـاد، و بـذل المهـج، و خوض اللجـج فی سبيل اللّه سـبحانه. كما أنه لم يكن لأجل قوه متميزه فی جانب عدوّهم. جعلته ينتزع النصـر انتزاعا اسـتنادا إلی قوه السـيف، و السنان، و ثبات فی العزيمه، و شجاعه فی الجنان. كما ربما يحاول القرشيون أن يشيعوه.

فأراد رسول اللّه الأعظم: أن يبدد هذه الغشاوه عن بصره و بصر كل من يسمعون، أو سوف يبلغهم هذا القول. و يواجهه بالحقيقه الناصـعه، و يقول له: إنه صلی الله عليه و آله وسلم ليس فقط قادرا علی سحق قريش بكل ما لديها من حشد و عتاد و قوه، و إنما هو علی استعداد لمواجهتها و معها كل من يلتقون معها و يشاركونها الموقف و الرأی، و البغی علی الإسلام و المسلمين.

و قد أساءت قريش لنفسـها حينما صورت للناس ضآله أمر المسـلمين، و ضـعفهم، فها قد انكشفت للناس أكاذيبها، و رأی الناس حتی القادمون من تجار و غيرهم بأم أعينهم قوه المسلمين، و عزتهم.

فإذا كان مخشـی، و قومه، بل و كذلك سائر القبائل التی حضـرت ذلك الموسم التجاری الواسع قد تحركت فی نفوسـهم نوازع خيانيه، أو خالجتهم أحاسـيس حول ضـعف المسـلمين، أو شـعروا: أن لقريش بعض القوه بسبب ما جری فی أحد، فإن عليهم أن يتأكدوا من صحه تصوراتهم و معلوماتهم قبل أن يقدموا علی أی عمل، أو يتخذوا أی قرار. فهناك أمور

قد خفيت عليهم حتما و جزما. و ما جرى فى أحد لا يمكن أن يكون معيارا و ميزانا، و لا يفيدهم شيئا فى حسابات الربح و الخساره، و النصر و الهزيمه، و القوه و الضعف.

فقولهم: إنه صلى الله عليه و آله وسلم إنما أراد بذلك مقابله حاله الاستهزاء و السخريه، بالتهديد بنقض العهد لا يصح. فإن جوابه صلى الله عليه و آله وسلم لا يتلاءم و هذا الأمر؛ و ذلک لأنه صلى الله عليه و آله وسلم : قد أعطى لمخشى و قومه حريه التصرف فى هذا الاتجاه، و اكتفى هو بالاحتفاظ لنفسه بحق المقابله بالموقف الحازم و الحاسم لو نقض الآخرون عهدهم. و ذلک ظاهر لا يخفى.

لابد من الندم:

إن من الواضح: أن ما أقدم عليه أبو سفيان فى نهايه حرب أحد، حيث قطع على نفسه وعدا بلقاء المسلمين بعد عام فى بدر الصغرى، كان خطأ فاحشا، و رأيا فطيرا، تعوزه البصيره بالأمور، و الواقعيه فى النظره و فى الموقف.

و ذلک لأن المسلمين بعد ما جرى فى أحد، قد أصبحوا أكثر تصميما على توجيه ضربه موجعه و قويه لكبرياء قريش، بعد أن وترتهم فى حرب أحد، التى لا بد أن يكون المسلمون قد استفادوا منها الدروس و العبر، و لن يسمحوا أبدا بتكرر الخطأ الذى وقعوا فيه فيها، مهما كان الثمن.

و قد أدرک أبو سفيان خطأه الكبير ذاک، و لكن بعد فوات الأوان، و كان صفوان بن أميه قد نبهه إلى ذلک فلم يلتفت إليه.

و ذلک لأن المشركين، و إن كانوا قد فاجأوا المسلمين فى بلادهم، و لم يجدوا الفرصه للإعداد و الاستعداد، و لكن المشركين لم يحققوا ما حققوه فى تلک الحرب نتيجه لتنامى قدراتهم القتاليه، و لا لأجل ضعف

فی المسلمین. و ذلک لأن القوی و إن لم تکن متکافئه بین الفریقین من حیث العدد و العده، إلا أن حرب بدر قد أثبتت للجمیع: أن ذلک لیس هو الفیصل فی الحرب، و لیس هو الذی یقرر نتائجها.

هذا بالإضافه إلی أن حرب أحد نفسها قد أثبتت للمشرکین: أن نتائج هذه الحرب- لو استمرت- لن تکون أفضل من نتائج حرب بدر، لو لا الخطأ الذی ارتکبه الرماه علی الجبل حیث جعلهم النبی صلی الله علیه و آله وسلم هناک لیمنعوا من حصول أی تسلّل محتمل للعدو فترکوا مراکزهم، من أجل الحصول علی بعض الغنائم ثم تسلل المشرکون من ذلک الموضع بالذات، و أوقعوا بالمسلمین الذین کانوا قد انصرفوا عن الحرب إلی جمع الغنائم- حسبما أوضحناه فی غزوه أحد فی جزء سابق.

و حتی بعد أن بدأ المسلمون یستعیدون وضعهم القتالی، فإن المشرکین أحسوا بالخطر الداهم، فآثروا ترک ساحه القتال و الانصراف إلی مکه.

فلو کان بإمکانهم تسجیل نصر حاسم، فلن یجدوا المسلمین فی حاله أضعف من الحاله التی هم علیها الآن، و قد کان یهمهم جدا إنهاء أمر المسلمین، و القضاء علیهم نهائیا. و إلی الأبد.

و حتی حینما کان أبو سفیان یطلق و عوده باللقاء فی بدر من العام المقبل، متبجحا بما تحقق لهم فی معرکه أحد، فإنه لم یکن فی موقع یمکنه من حسم الأمر لصالحه و لصالح المشرکین آنئذ.

و قد أدرک فی وقت متأخر: أن الخطأ الذی وقع فیه المسلمون فی أحد ربما لن یتکرر فی المستقبل. مع إدراکه: أن أی حرب سیخوضها ضد المسلمین، سوف یکون المسلمون فیها أکثر استبسالا، و أعظم بلاء من ذی قبل.

کما أنهم سوف یکونون أکثر التزاما بأوامر قیادتهم الإلهیه، بعد أن

صح لهم أن تلك القياده لا تنقصـها الحكمه و لا الشـجاعه، و لا التدبير، و قد لمسوا صوابيه مواقفها، و بعد نظرتها إلى الأمور، و دفعوا ثمن التساهل فی الالتزام بأوامرها غاليا، و غاليا جدا.

و من هنا، فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المسلمين يصرون على الاحتفاظ بزمام المبادره، و على الهيمنه العسكريه على المنطقه.

و كان لا بـد لأبی سـفيان من الاحتفاظ بماء الوجه، و لو شـكليا و لكنه فشل فی ذلک، حتی اضـطر إلى أن يتراجع، و يخلف فی وعـده، متـذرعا بما لا يخفی على أحـد وهنه و عـدم واقعيته. حتی إن أهالی مكه أنفسـهم كانوا يتنـدرون بما حـدث، و يسـمون جيشهم المهزوم روحيا و نفسيا، بأنهم جيش السويق، أی أنهم خرجوا لشرب السويق فی الطريق، لا للحرب، و القتال.

و لو كـان العـام عـام جـدب فعلاـ فلماذا خرج أبو سـفيان بهـذا الجيش الكثيف من مكه، ألم يكن يـدری حين جهز جيشه بهـذا الجدب الذی زعمه، ثم اكتشفه بعد أن قطع مسافه من الطريق، و بلغ إلى مجنّه من ناحيه مرّ الظهران؟!.

الانتظار ثمانيه أيام:

و إذا كانت بـدر تستضـيف الكثيرين الـذين يأتونها من مناطق مختلفه، لأجل السوق؛ فإن حضور المسـلمين فی هـذه السوق على هـذه الصوره الملفته و المثيره، لسوف يكون له تـأثيره القوی على النـاس الـذين يعيشون فی المنـاطق على اختلافها. خصوصا إذا لاحظ الناس هذا الإصرار من المسلمين على لقاء عدوهم، حتی إنهم لينتظرون ثمانيه أيام، ثم يتخلف عدوهم عن الحضور، رغم أنه كان هو الطالب و الراغب بمناجزه المسلمين و قتالهم فی هذا الموضع.

و إذا كـان هـذا العـدو هو مشـركوا مكه؛ بمالها من هيبه، و نفوذ، و ليس عـدوا عاديا من سائر القبائل، فإن القضـيه سوف تصـبح أكـثر حساسـيه بالنسـبه لأولئـك النـاس، و لسوف يكون لهـا أكـثر من مغزى عميق و دقيق، و أكثر من أثر سـلبى و إيجـابى على مشاعرهم و أحاسيسهم، و على نظرتهم إلى المستقبل، بصوره عامه.

و هكذا، فإن الكل سوف يدرك أن ما جرى فى أحد لم يؤثر و لم يغير فى المعادله شيئا، إن لم نقل: إنه قد كانت له آثار سلبيه على المشركين، و إيجابيه على المسلمين كما هو ظاهر.

الاتجار فى بدر الموعد:

اشاره

إن البعض قـد رأى: أنه من غير المعقول أن يحمـل المسـلمون معهم إلى بـدر بضـائع للتجـاره، ما داموا ذاهبين إلى القتال. و إلى منطقه يجتمع فيه خلائق من الناس الذين يلتقون مع قريش فى أهدافها، و فى عقائدها، و مواقفها تجاه الإسلام و المسلمين.

إذن فموضع لقاء المسلمين بالمشركين ليس هو بدر التى هى سوق للعرب.

كما أنهم قد ذهبوا إلى الحرب بلا بضائع. و ليس لأجل البيع و الشراء (۱).

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نوافق هذا الباحث على رأيه المشار إليه، و ذلك لأن سوق بدر لم يكن المجتمعون فيه مستعدين لخوض حرب تحتاج إلى تجهيزات كثيره و متنوعه، من خيول و دروع و أعتده مختلفه. كما أن سيطره۴.

۱- راجع: سيره المصطفى ص ۴۵۴.

الجیش الإسلامی علی الموقف سوف تمنحه الفرصه للتعامل مع الآخرین و عقد الصفقات التجاریه بکل طمأنینه و ثقه.

أضف إلی ذلک: أن جهاز الاستخبارات الإسلامی کان من القوه بحیث أنه کان یرصد أی تحرک یحصل فی مختلف أنحاء الجزیره العربیه علی اتساعها و ترامی أطرافها، و ینهیه إلی الرسول الأکرم فی الموقع المناسب، و یدل علی ذلک: أنا نجد النبی صلی الله علیه و آله وسلم یفاجی ء أعداءه، الذین یتآمرون، و یتأهبون لقتاله، و هم غارون، و قبل أن تصدر منهم أیه بادره، أو أن یجدوا الفرصه لأی تحرک و التفاف، و لو من خلال إعاده تنظیم أمرهم، و لم شعثهم.

فجهاز الاستخبارات هذا لا یعجز عن رصد حاله الناس فی تلک السوق. کما أنه لا یعجز عن موافاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی الوقت المناسب بحقیقه نوایا قریش، و ما أزمعت علیه من کید و مکر إعلامی فاشل.

و من الجهه الأخری، فإن المسلمین کانوا و ما زالوا رغم حروبهم مع أعدائهم منفتحین حتی علی أولئک الأعداء فی النواحی التجاریه و الإنمائیه.

حتی إننا لنجد تجار المشرکین لا یزالون یترددون علی المدینه بتجاراتهم المختلفه. و یحدثنا التاریخ: أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم نفسه کان یشجع هذا التوجه بصوره عامه. کما أوضحناه فی کتابنا: السوق فی ظل الدوله الإسلامیه، فراجع.

و یکفی أن نذکر: أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد أطلق الصناع و أصحاب الحرف فی خیبر لینتفع بهم المسلمون، کما سیأتی حین الحدیث عن غزوه خیبر.

فالجیش الإسلامی إذن لا بد أن یقدم نموذجا من الوفاء و التضحیه و الانضباطیه أولا. کما أنه فی نفس الوقت یقیم علاقات تجاریه مع الآخرین، و یتعامل معهم بطریقه سلیمه و عفویه، و بریئه. من خلال

إحساسه بالثقه و بالقوه و الثبات.

أضف إلى ذلك: أن المسلمين كانوا يشكون فى وفاء أبى سفيان بالوعد، قال: موسى بن عقبه: (و خرجوا ببضائعهم. و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا). (۱)

و من يدرى فلعل النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه قد طلب من المسلمين ذلک، من أجل خدمه تلک العلاقات و الروابط بالذات، و من أجل أهداف تدخل فى نطاق الحرب الإعلاميه و النفسيه للأعداء، و إعطاء فرص إيجابيه إلى أولئک الآخرين الذين كانوا ينتفعون من هذه الفرص لتركيز قناعاتهم، و تبلور مفاهيمهم عن الإسلام و المسلمين، الأمر الذى ستكون له إيجابياته فى المستقبل. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۸ ۳۸۷ غزوه دومه الجندل: ..... ص : ۳۸۷

إيضاحات:

۱- دومه الجندل: مدينه بينها و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينه خمس عشره أو ست عشره ليله. و هى بقرب تبوک (۲).

و قيل: دومه الجندل: اسم حصن (۳).

۲- صاحب دومه الجندل هو أكيدر بن عبد الملک الكندى، و هو۹.

۱- تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۳ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ۳ ص ۱۷۱ و البدايه و النهايه ج ۴ ص ۸۹ و دلائل النبوه للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۵.
۲- راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ عن ابن سعد، و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۷ و سيره مغلطاى ص ۵۴ و نهايه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنيه ج ۱ ص ۱۰۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و السيره النبويه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶.
۳- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹.

یدین بالنصرانیه، و هو فی طاعه هرقل ملک الروم (۱).

۳- هذه الغزوه أول غزوات النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم إلی الروم (۲).

۴- قال المقدسی عن سنه خمس من الهجره: (و هی سنه الزلازل) (۳).

تاریخ هذه الغزوه:

صرح البعض بأن دومه الجندل کانت فی أواخر السنه الرابعه (۴).

و قال بعض آخر: إنها کانت بعد غزوه ذات الرقاع بشهرین و أربعه أیام (۵).

و ثالث یقول: إن الخندق کانت فی السنه الرابعه، و دومه الجندل بعدها فی الخامسه (۶).

و الأکثرون علی أنها کانت فی السنه الخامسه فی شهر ربیع الأول منها (۷).۱۱

۱- التنبیه و الإشراف ص ۲۱۵ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۷.

۲- البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۴.

۳- التنبیه و الإشراف ص ۲۱۵.

۴- راجع: السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۷.

۵- نقله فی تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۹.

۶- تاریخ مختصر الدول ص ۹۵.

۷- راجع ما یلی: السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۷۷ و ۱۷۸ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۹۲ و نقل عن الواقدی: أنها فی ربیع الآخر. و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۹ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۷ و الجامع للقیروانی ص ۲۸۱ و سیره مغلطای ص ۵۴ و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱

و عند ابن سعد: فی شهر ربیع الأول علی رأس تسعه و أربعین شهرا من مهاجره (۱).

هذه الغزوه:

قال البعض: (أراد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أن یدنو إلی أدنی الشام. و قیل له: إنها طرف من أفواه الشام؛ فلو دنوت لها کان ذلک مما یفزع قیصر الخ) (۲).

و قال بعض آخر: إنهم کانوا یعترضون المسافرین إلی المدینه و تجارهم (۳).

غیر أن جمعا آخر المؤرخین یقولون: إنه صلی اللّه علیه و آله و سلم سمع أن جمعا من قضاعه و غسان تجمعوا بکثره فی دومه الجندل. و کان بها سوق عظیم، و تجار، بلغ رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : أنهم یظلمون من مربهم.

و أنهم یریدون أن یدنوا من المدینه.

فاستخلف صلی الله علیه و آله وسلم علی المدینه سباع بن عرفطه الغفاری- و عند المسعودی: استخلف ابن أم مکتوم- و خرج لخمس لیال بقین من شهر ربیع الأول فی ألف من أصحابه.۵.

۱- الطبقات الکبری لابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۸.
۲- مغازی الواقدی ج ۱ ص ۴۰۳ و راجع: السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۷۷ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۹۲ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۹۰.
۳- التنبیه و الإشراف ص ۲۱۵.

فکان یسیر اللیل و یکمن النهار، و معه دلیل من بنی عذره یقال له مذکور. و قد نکب عن طریقهم، فلما کان بینه و بین دومه یوم قال الدلیل:

یا رسول اللّه، إن سوائمهم ترعی عندک؛ فأقم حتی انظر.

و سار مذکور حتی وجد آثار النعم؛ فرجع و قد عرف مواضعهم؛ فهجم بالنبی صلی الله علیه و آله وسلم علی ماشیتهم؛ فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فی کل وجه.

و جاء الخبر إلی دومه الجندل، فتفرقوا. و رجع النبی صلی الله علیه و آله وسلم .

و فی نص آخر: و نذر به القوم، فتفرقوا؛ فلم یجد إلا النعم و الشاء، فهجم علی ماشیتهم و رعاتهم فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فی کل وجه. و جاء الخبر أهل دومه، فتفرقوا.

و نزل صلی اللّه علیه و آله و سلم بساحتهم، فلم یلق بها أحدا؛ فأقام بها أیاما، و بث السرایا، و فرّقها؛ فرجعوا، و لم یصادفوا منهم أحدا، و ترجع السریه بالقطعه من الإبل.

فرجع صلی الله علیه و آله وسلم ، و دخل المدینه فی العشرین من ربیع الآخر. فکانت غیبته خمسا و عشرین لیله (۱) و قال المقدسی: (إن التجار و السابله شکوا».

۱- راجع ما تقدم کله أو بعضه فی المصادر التالیه: تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۴۶۹ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۲ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۷۷ و أنساب الاشراف ج ۱ ص ۳۴۱ و سیره مغلطای ص ۵۴ و حیاه محمد لهیکل ص ۲۸۱. و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹ و الوفاء ص ۶۹۱ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۲ ص ۲۳۲ و الثقات ج ۱ ص ۲۶۰ و التنبیه و الإشراف ص ۲۱۵ و حبیب السیر ج ۱ ص ۳۵۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۲ و تاریخ الإسلام للذهبی (المغازی) ص ۲۱۲ و المغازی للواقدی ج ۱ ص ۴۰۳ و نهایه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۳، و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۱۰۸ و البدایه و النهایه ج ۴ ص ۹۲ و السیره النبویه لابن کثیر ج ۳ ص ۱۷۷ و السیره النبویه لدحلان ج ۱ ص ۲۶۶ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۳ ص ۳۹۰ و ۳۹۱.

أکیدر الکندی عامل هرقل علیها، فسار إلیها فی ألف رجل، یسیر اللیل، و یکمن النهار، و أحس بذلک أکیدر، فهرب، و احتمل الرحل، و خلی السوق، و تفرق أهلها، فلم یجد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أحدا، فرجع) (۱).

کانت تلک صوره عما یقوله المؤرخون عن هذه الغزوه، قد جمعنا شتاتها، و ألفنا بین متفرقاتها و مختلفاتها، فراجع المصادر التی فی الهوامش.

و قبل أن نواصل الحدیث نتوقف قلیلا لنسجل بعض الملاحظات و التحفظات. فنقول:

مده غیبته صلی الله علیه و آله وسلم عن المدینه:

قولهم: إن مده غیبته صلی اللّه علیه و آله و سلم عن المدینه فی هذه الغزوه کانت خمسا و عشرین لیله لا یصح.

لأنهم یقولون: إن دومه الجندل تبعد عن المدینه مسافه خمس عشره أو ست عشره لیله (۲)، فالذهاب و الإیاب منها و إلیها لسوف یستغرق أکثر من شهر، یضاف إلی ذلک: أنه کان یسیر اللیل و یکمن النهار، فقد یحتاج المسیر إلیها و الحاله هذه إلی أکثر من ذلک أیضا.

هذا بالإضافه إلی أنهم یقولون: إنه أقام بها أیاما یبث السرایا فکیف تکون مده غیبته عن المدینه خمسا و عشرین لیله فقط؟!.

رجوع النبی صلی الله علیه و آله وسلم قبل بلوغ دومه!!

۱- البدء و التاریخ ج ۴ ص ۲۱۴ و أشار إلیه الذهبی فی تاریخ الإسلام (المغازی) ص ۲۱۲.

۲- تقدمت مصادر ذلک فی أول هذا الفصل تحت عنوان: إیضاحات.

قد ادعى البعض، كابن هشام: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم رجع قبل أن يصل إلى دومه الجندل (١).

و قد يكون لنا الحق فى أن نشك فى صحه هذا القول، ما دام أنه يعطى انطباعا سلبيا عن حاله المسلمين، فإن الرجوع لابد أن يكون لأحد سببين، أو كليهما، و كلاهما مرفوض.

و هما:

الأول: إنه خاف من التعرض لقيصر، فإنه قد راجع حساباته فى الطريق؛ فأدرك أن هذا فى غير صالحه؛ فآثر الرجوع، و لو تسبب ذلك بنوع من الشعور بالضعف لدى المسلمين، و سوف يؤكد ذلك هيبه ملك الروم فى نفوسهم. و هذا مما لا يمكن قبوله فى حق النبى صلى الله عليه و آله وسلم .

الثانى: إنه قد أحسّ بأن المدينه تتعرض لخطر من نوع مّا فى حال غيابه عنها، سواء من داخلها، من قبل المنافقين و اليهود و غيرهم ممن لم يسلم حتى الآن، أو من خارجها، من قبل قريش و من معها من المشركين المتربصين حول المدينه، و فى سائر المناطق.

و هذه أيضا نقطه ضعف أخرى، كان من المفروض أن يكون صلى الله عليه و آله وسلم قد حسب حسابها، و أعدّ العده لمواجهتها، قبل أن يخرج من المدينه. فلا يمكن أيضا قبول هذا السبب لما بتضمنه من نسبه القصور أو التقصير- و العياذ باللّه- إلى ساحه قدس النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

التوجيه الأقرب:

و إذا صح أنه رجع و لم يبلغها، فالأظهر أنه قد بلغه أن أهلها قد عرفوا.

١- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ۴۶۹ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ عن ابن إسحاق. و البدايه و النهايه ج ۴ ص ٩٢ و دلائل النبوّه ج ٣ ص ٣٩٠.

بمسيره إليهم، فتنحوا عنها إلى جهه غير معلومه، بحيث لم يعد ثمه فائده من المسير إليهم.

لكن الـذى يعترض طريق قبول ذلك هو تلك التفاصـيل الكثيره و الـدقيقه التى يـذكرها المؤرخون مما كان قد حصل فى غزوه دومه الجندل.

و لا سيما مع تصريحهم، بأنه لما كان بينه و بين دومه الجندل يوم قال الدليل: يا رسول اللّه إلخ .. و تصريحهم بأنه أقام أياما يبث السرايا فى النواحى.

فالأقرب أن يقال: إن هؤلاء الذين ادعوا: أنه قد رجع قبل أن يبلغها قد غلطوا فى ذلك و ليس الغلط من مثل هؤلاء بعزيز.

و نسجل هنا ما يلى:

ألف: إننا نلاحظ: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم يختار المسير ليلا و الكمون نهارا، ليمكن له مفاجأه العدو، و أخذه على حين غره. فيحقق بذلك الغرض من دون أن يتكبد المسلمون خسائر كبيره، لو أن المشركين كانوا مستعدين للحرب، عارفين بمسير المسلمين إليهم.

و يكون بذلك قد قدم لنا أيضا مثلا فى التدبير الحربى السليم، الذى يوفر مزيدا من الفرص لتسجيل النصر الحاسم، من خلال الاستفاده من عنصر التخفى فى التحرك نحو الهدف المطلوب.

ب: إن تحرك النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمين، كان بهدف الحفاظ على حريه حركه الناس، و ضرب مصدر المتاعب حينما أصبحت طرق المواصلات و الإمدادات و التموين، الذى يأتى عن طريق التجاره مع المناطق الشماليه كسوريه و ما والاها- إنه صلى الله عليه و آله وسلم قد تحرك، ليصبح طريق الناس آمنا، و ليمكنهم من أن يتواصلوا و ينفع بعضهم بعضا من خلال نقل التجارب

و المعارف، و نقل المنتجات، و غير ذلک، و هذا يشير إلى أن حق الحريه هذا مقدس، و لا يمکن المساس به من أى کان، و أنه لا يمکن للحاکم العادل أن يقف تجاه انعـدام الأمن موقف اللامبالاه، و يعتبر أن ذلک لا يعنيه، و إنما هو مسؤوليه غيره. بل عليه أن يبـادر إلى تحمـل مسؤوليه حمـايه حريه النـاس فى تحرکـاتهم، و ترددهم بتجاراتهم و غيرها. رغم أن ذلک يحمل فى طياته خطر الاصطدام بعامل هرقل عظيم الروم، ثم بهرقل ذاته من بعده.

ج: يضاف إلى ما تقـدم: أن ما جرى فى بـدر الموعـد، قـد أعطى المسـلمين المزيد من النشاط، و جعلهم يتحرکون بصوره أکثر حيويه و فاعليه، حينما توجهوا إلى شـمال الجزيره- بعد أن توطدت هيبتهم فى الجنوب بسبب ما جرى فى غزوتى بدر الموعد، و حمراء الأسد، و غير هما.

و معنى ذلک هو أنهم قد عطفوا نظرهم إلى منطقه يعتبر قيصـر الروم فيها هو الأقوى، و الأعظم نفوذا. و لا يتوقع القيصـر أن تنشـأ فى جزيره العرب حرکه تجترى ء عليه، أو تسمح لنفسها بالتفکير بالتطاول على هيبته و سلطانه.

د: و الأـکثر وقعا و تأثيرا فى هـذه الغزوه: أن نجـد النبى صـلى الله عليه و آله وسـلم حينما وصل إلى دومه الجنـدل، و فرّ أولئک الأشرار منها، قد بقى يبث السرايا و البعوث عده أيام فى مختلف الاتجاهات، بحثا عن أولئک الأشرار الهاربين.

و معنى ذلـک هو أن هـذا الهجوم قـد کـان مـدروسا بعنـايه، و هـدوء، و يراد له أن يترک أثاره فى المنطقه کلها. و لم يکن ثمه تسرّع فى اتخاذ القرار فيه، و لا کان ناشئا عن اندفاع عاطفى، أو ما أشبه ذلک.

ه: إن سرعه تحرک جيش بهذه الکثافه إلى بلد يبعد عنه مسيره أيام

كثيره و ثقته بنفسه، و اطمئنانه إلى عدم جرأه أحد على العبث بالأمن فى بلده من بعده، ليدل على مدى ثقه هذا الجيش بنفسه و بقدراته، و على أنه قادر على تسديد ضربته لكل من تسوّل له نفسه أن يتآمر أو يشارك فى التآمر ضده، و عليه أن يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على التحالف مع أعدائه، و مناوئيه.

و إذا كان المسلمون أقوياء، فلسوف تتشوف نفوس الكثيرين للتحالف معهم، و الوقوف إلى جانبهم، و العيش فى كنفهم.

و لا ـ أقل من أنهم سوف يسعون لإقامه علاقات طبيعيه معهم. أما التحالف مع الأعداء، و مشاركتهم فى مناوأه المسلمين، فإنه يصبح أكثر صعوبه خصوصا من القبائل التى لا تتوفر لديها أعداد ضخمه و كافيه لحمايه نفسها من قوه لها هذا النشاط، و بهذا الحجم و المستوى.

و هذا من شأنه أن يضعف أمر قريش، و يقلل من الفرص المتاحه لجمع الحشود، و تحزيب الأحزاب لمواجهه المد الإسلامى العارم.

و: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمين و هم يحاولون أن يقلّلوا من الخسائر البشريه ما أمكنهم، فإنهم يعتمدون طريقه الضغط السياسى، و الروحى، على الخصم، و كذلك إضعافه اقتصاديا بصوره رئيسه، باستيلائهم على مواشيهم و أموالهم، الأمر الذى يضعف مقاومتهم، و قدرتهم على تنظيم المؤامرات، و بذل الأموال لتجييش الجيوش لحرب المسلمين.

و ليس ذلك لأجل حب السلب و النهب، و جمع الأموال، و الشاهد على ذلك أننا نجده صلى الله عليه و آله وسلم يجعل فداء أسير من أسرى المشركين تعليم عشره أطفال من المسلمين القراءه و الكتابه، رغم شده حاجه المسلمين لأقل شى ء من المال. و قد تقدم ذلك فى غزوه بدر.

كما أننا نراه صلى الله عليه و آله وسلم حين يرتكب خالد بن الوليد جريمه فى حق بعض القبائل، و ذلك حينما أرسل خالدا لدعوه بنى جذيمه، فآمنهم، فلما

وضعوا السلاح أمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف.

نراه صلى الله عليه و آله وسلم لما بلغه ذلک تبرأ من فعل خالد، ثم أرسل علیا فودی لهم الدماء، و ما أصيب لهم من الأموال، حتی إنه ليدی ميلغه الكلب (۱).

دومه الجندل، حقيقه أم خيال؟!:

قال العلامه الحسنی: (إن أخبار هذه الغزوه، أكثرها عن الواقدی، و أخباره فی الغالب من نوع المراسيل، و من البعيد أن يترک النبی المدينه قرابه شهر كامل، كما يدعی المؤلفون فی السيره إلی مكان بعيد مسافه تزيد عن خمسه عشر يوما، و الأعراب من حولها لا يزالون علی الشرک، و هم يترقبون المسلمين، و يستغلون الفرصه المناسبه للوقيعه بهم. و من ذا يمنعهم من المدينه إذا غاب عنها النبی مع ألف من أصحابه، و فيها من المنافقين ما لا يقل عددا عن المسلمين. و كانوا علی اتصال دائم بقريش و أحلافها من المشركين.

من البعيد أن يتركها ليغزو أطراف الجزيره المتاخمه لحدود الشام فی مثل هذه الظروف إلا أن يكون مأمورا بذلک من اللّه سبحانه) (۲).

و نقول:

۱- إننا لا نستطيع أن نوافق علی ما ذكره العلامه الحسنی رحمه اللّه تعالی. لأن ذلک لو كان، لكان مانعا من التحرک نحو أی من المناطق الأخری، قريبه كانت أو بعيده، فإن كثيرا من الغزوات كان النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم يغيب فيها أياما كثيره، فقد غاب فی غزوه بدر الموعد ست۷.

۱- راجع: الغدير ج ۷ ص ۱۶۹ عن سيره ابن هشام ج ۴ ص ۵۳- ۵۷ و عن تاريخ أبی الفداء ج ۱ ص ۱۴۵ و عن أسد الغابه ج ۳ ص ۱۰۲ و عن الإصابه ج ۱ ص ۳۱۸ و ج ۲ ص ۸۱ و عن البخاری كتاب المغازی.

۲- سيره المصطفی ص ۴۵۷.

عشره ليله، منها ثمانيه أيام أقامها فى بدر، و الباقى فى الطريق ذهابا و إيابا، و كانت غيبته فى ذات الرقاع خمس عشره ليله. و كانت غيبته فى غزوه بنى المصطلق ثمانيه و عشرين يوما.

فقد كان بإمكان الأعداء أن يغتنموا فرصه غيابه للإغاره على المدينه، بصوره سريعه و خاطفه، أو احتلالها، لا سيما مع وجود اليهود و المنافقين، و المشركين فيها و حولها.

۲- و من جهه ثانيه، فإن سير الأحداث يعطى: أن الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم كان له أجهزه استخبارات قويه و فاعله لا يفوتها رصد أيه تحركات أو تجمعات مريبه، بل و حتى المؤامرات و النوايا أحيانا.

و قد كانت مبثوثه فى مختلف الأنحاء و الأرجاء قريبه كانت أو بعيده كما المحنا إليه فيما سبق.

و من الواضح: أن مهاجمه المدينه فى غياب الرسول يحتاج إلى جمع قوى كثيره من مختلف القبائل و لن يخفى ذلك على عيون الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

۳- أضف إلى ذلك: أن النبى كان قد عقد تحالفات و معاهدات كثيره فى المنطقه، كما أنه قد عقد تحالفات مع سكان المدينه أنفسهم، يلزمهم فيها الدفاع و النصر، خصوصا إذا هوجم، فكيف إذا هوجموا.

۴- و حين يظعن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم عن المدينه، فإنه لا يخليها نهائيا. بحيث لا تبقى فيها أيه قوه عسكريه قادره على ضبط الوضع داخليا، و الدفاع ضد العدو الخارجى قدر الإمكان لو دهمهم أمر.

و إلى أن يأتى الرسول، و يمسك هو بزمام المبادره.

۵- مضافا إلى أن ضرب المدينه فى غياب النبى لا يحسم الأمر، بل هو سوف يعرض من تسول له نفسه و يقدم على ذلك إلى العقاب الصارم، الذى لن يكون قادرا على دفعه عن نفسه، فإن الكل كانوا أصغر

من أن يجرؤا على ذلك، بعد أن عجزت قريش و فشلت ذلك الفشل الذريع. و لم يكن لأى من القبائل ما كان لقريش من قوه و شوكه، و نفوذ و منعه فى المنطقه بأسرها.

ذكريات أبى موسى الأشعرى فى دومه الجندل:

و يذكر المؤرخون: أن تحكيم الحكمين قد كان بدومه الجندل (۱).

(و فى كتاب الخوارج عن عبد الرحمان بن أبى ليلى قال: مررت مع أبى موسى بدومه الجندل، فقال:

حدثنى حبيبى صلى الله عليه و آله وسلم : أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور، و إنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور، و إنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع.

قال: فما ذهبت الأيام حتى حكم هو و عمرو بن العاص فيما حكماه. قال: فلقيته فقلت: يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول اللّه.

فقال: و اللّه المستعان. كذا أورده المجد) (۲).

موادعه عيينه بن حصن الغادر:

و يذكر المؤرخون: أنه لما رجع النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم من۹.

۱- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و صفين ۵۳۸ و ۵۴۰ و ۵۳۵ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى الشافعى ج ۲ ص ۲۴۸ و راجع: مروج الذهب ج ۲ ص ۳۵۲ و مصادر ذلک كثيره جدا فلتراجع كتب التاريخ، حين الحديث حول قضيه صفين، ثم التحكيم.

۲- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۹ و ذكر هذه القصه أيضا و إن لم يصرح بأن التحكيم كان و سيكون فى دومه الجندل كل من: المسعودى فى مروج الذهب ج ۲ ص ۳۹۲ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى الشافعى ج ۱۳ ص ۳۱۵ و راجع ص ۳۱۶ و راجع: قاموس الرجال ج ۶ ص ۱۰۸/ ۱۰۹.

دومه الجندل وادع عيينه بن حصن الذى كانت أرضه قد أجدبت: أن يرعى بتغلمين و ما والاه إلى المراض، و كان ما هناك قد أخصب، و هو موضع بينه و بين المدينه سته و ثلاثون ميلا على طريق الربذه (۱).

و سيأتى: أنه لما سمن حافره، و انتقل إلى أرضه أغار على لقاح رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم بالغابه ..

حكومه القيم، أم حكومه المشاعر:

و غنى عن القول هنا: أن عيينه بن حصن كان لا يزال هو و من معه على الشرك و الكفر، الذى كان يناوى ء الدعوه الإسلاميه بكل الوسائل.

و لم يكن النبى صلى الله عليه و آله وسلم حين سمح له بما سمح يطمع فى الحصول على أى نفع من قبله، فلم يكن يريد فى مقابل ذلك مالا، و لا كان يريد منه أن ينصره على عدوه، و يتقوى به على مناوئيه، لا فى مال، و لا رجال.

كما أن عيينه لم يكن يملك قوه خارقه للعاده، بحيث يخشاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم و ينصاع لما يطلبه منه.

كما أننا نلاحظ: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم يحاول استغلال حاجه عيينه و من معه، ليفرض عليهم شروطا، و يحصل على امتيازات، سياسيه أو ماديه، أو غير ذلك. بل هو لم يطلب حتى السماح لدعاته بأن يطرحوا مع الناس هناك قضيه الإسلام و الإيمان، فضلا عما هو أبعد من ذلك.

بل تصرف النبى صلى الله عليه و آله وسلم على أساس ما لديه من مثل وقيم، و قناعات و منطلقات إيمانيه و إنسانيه، و من ثوابت أخلاقيه و دينيه.۲.

۱- السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۷۷ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ص ۶۳ و راجع: نهايه الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۳ و سيره مغلطاى ص ۵۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹، و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۳۲.

فالنبی صلی الله علیه و آله وسلم یری أن الحرب إنما تهدف إلی منع قوی الهیمنه و الاستکبار من فرض إرادتها، و مصادره حریه الآخرین فی الفکر و فی الإیمان.

و إلی دفع غائله العدو الذی یرید سحق قوی الخیر، و نسف قواعد الإیمان. و لیس للحرب أی دور حین تجری الأمور بصوره طبیعیه، فإن السلاح الذی یعتمد علیه الإسلام هو الدلیل القاطع و البرهان الساطع، و الدعوه إلی اللّه بالحکمه و الموعظه و الحسنه، و الجدال بالتی هی أحسن ..

بل إن کل الجرائم التی ارتکبها مشرکوا قریش فی حق الإسلام و المسلمین لم تمنع النبی صلی الله علیه و آله وسلم من إرسال الأموال إلی مکه، حین علم أن أهلها یعانون من ضائقه کبیره بسبب الجدب.

و لم یکن منطلقه فی ذلک، و لا- فی موقفه هنا من عواطف ثائره، تتحرک باندفاع و بعنفوان بصوره غیر واعیه و لا- متزنه فی الحالات الطارئه.

بل منطلقه صلی اللّه علیه و آله هو القیم و المثل العلیا، و کل المعانی الإنسانیه الصافیه و النبیله، فلیس ثمه تناقض بین الأحاسیس و المشاعر، و بین الموقف الرسالی و المبدأی. بل إن مشاعر صلی الله علیه و آله وسلم و أحاسیسه قد نمت و تربت فی ظل مبادئه و قیمه و من خلالها؛ فمنها تنطلق، و إلیها تنتهی، و علی أساسها تقوم و تدوم.

ص: ۴۰۱

الفهارس

اشاره

۱- الدليل الاجمالى للكتاب

۲- الدلیل التفصیلی للکتاب

ص: ۴۰۷

ص: ۴۱۰

الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج ۹،ص:۵

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩